ما بـــين النهريـــن

٨١٣,٩٠٥٦٣
ح ٩٨ حول، قاسم
ما بين النهرين
المؤلف، قاسم حول، ط١، البصرة، ديوان محافظة البصرة،
٢٠٢٣م، ٣٦٣ ص. ، ٢٤ سم
١. القصص العربية، – العراق، أ. العنوان.
م.و.
٦٣٧ / ٢٠٢٣م

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٧) لسنة ٢٠٢٣م

طبع في
جمهورية العراق ۞ محافظة البصرة
برعاية
ديوان محافظة البصرة

كل الحقوق محفوظة للناشر

◈ جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فلايجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

◇ All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى
2023

ديوان محافظة البصرة
BASRA GOVERNORATE
Republic Of Iraq - Basra Governorate
www.basra.gov.iq/ar

تصميم جواد الظفر

اللوحات بريشة الفنان التشكيلي العراقي خالد المبارك

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

ما بين النهرين

رواية وثائقية عراقية

تدور أحداثها في الخمسينات من القرن العشرين
في حارة الخندك بمدينة البصرة

قاسم رسول

ديوان محافظة البصرة
2023

إهداء

إلى زوجتي الجزائرية الحبيبة خديجة سليماني

وإلى ابنتي العراقية الجزائرية الغالية ديمه..

هذا وطنـــي.. كان فيما مضـى خيالا في حلم سومري،

وحكاية من ألف ليلة وليلة،

في بلاد ما بين النهرين!

أهــل الخنــدك

الحارة

تقع حارة الخندك، والمعروفة أيضاً باسم أم الدجاج على حافة نهر الخندك الذي يفصلها عن منطقة العشار، مركز مدينة البصرة العراقية. الخندك نهر يتفرع من شط العرب ويتسع مدخله لسفينة واحدة تسمى مهيلة فتصطف السفائن وراء بعضها، ثم يضيق النهر على امتداد الحارة، ويتجاوزها نحو حارات أخرى هو واحد من أنهر عديدة لا يعرف أحد عددها، تسري بين بساتين النخيل والحارات الشعبية. يمر بحارة الخندك من الطرف الآخر نهر أوسع قليلاً هو نهر الرباط. ولأن نهر الخندك يمر بين بيوت الحارة، فإن ضفتيه مليئتان بالأوساخ والعلب الفارغة، فيما نهر الرباط يمر بين بساتين النخيل التي تكثر في الطرف الآخر من الحارة، ولهذا فهو أكثر أناقة ونقاءً وزهواً.

حارة الخندك تقع بين هذين النهرين، نهر الخندك ونهر الرباط، أزقتها ضيقة وبدون أي نظام في تقسيمها. البيوت، وخاصة الفقيرة منها متلاصقة، صغيرها إلى جانب كبيرها، العالي منها والأقل ارتفاعاً، والمشاكل العائلية تسمع وترى بوضوح، والناس تعرف أسرار بعضها وخاصة أيام الصيف عندما ينام الناس فوق سطوح المنازل.

تمتد الحارة بين النهرين لمسافات بعيدة. طرفها الثاني ينتهي عند شارع عريض يربط مركز مدينة البصرة بمنطقة المعقل، الميناء المركزي للمدينة، ويبدأ طرفها الثاني عند شط العرب مدخل نهر الخندك، وحيث تنتشر مخازن القمح والشعير. تصطف السفن على الساحل لتنقل الحبوب من الأرياف إلى مدن العراق.

يجلس الناس في حارة الخندك ليلاً أيام الصيف فوق سطوح

المنازل. يشعر الرجال بالتعب والكسل بعد عودتهم من العمل وبشكل خاص العمال منهم، إذ يعملون تحت الشمس في صيف قائظ وفي جو ترتفع فيه نسبة الرطوبة.

يتوزع باعة الثلج صيفاً في حارة الخندك، ويأتي الصبية والصبايا يحملون المناشف وقطع الجنفاص يشترون الثلج ويشدونه، فيما الباعة يقسمون مستطيلات الثلج بالمنشار فوق المناضد الخشبية.

تضع النسوة قطع الثلج في جرار اللبن والماء مع وجبة العشاء فوق سطوح المنازل، فيسري الكسل في الأبدان ويركن الناس إلى النوم تحت سماء داكنة الزرقة مرصعة بنجوم ذهبية.

من حارة الخندك عرف الأدباء والفنانون والساسة وبزغ التجار وتباينت الفئات الاجتماعية. هي نموذج العراق وبشكل خاص أبان الحقبة الملكية التي عاشها العراق تحت خيمة الاستعمار البريطاني، أبان الصراع الدولي بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية.

أهل الخندك مثل الكثير من الحارات العربية والإسلامية يعتمدون في حياتهم على ما يطلقون عليه الاستخارة فهم حين يرومون السفر يذهبون إلى رجل الدين في بيوت العبادة ويسألونه المشورة فيفتح رجل الدين القرآن لا على التعيين فإن وقع بصره على آية من جنات النعيم قال لهم سفركم مبارك وميمون، وإن وقع بصره على آية من آيات الجحيم نصحهم بتأجيل السفر، وذات الشيء يحصل لتجار الحارة حين يرومون عقد صفقة تجارية أو شراء وبيع العقارات فإنهم يطلبون الاستخارة من رجل الدين في بيوت العبادة ويدفعون لرجل الدين مبلغاً من المال مقابل ذلك.

وظاهرة الاستخارة هي مهنة فئة من رجال الدين الذين لا مهنة لهم سواها. ويكثر في أطراف الحارة النجامون الذين يقرأون الفأل والمستقبل. وحين لا تنجب العاقر والعقيم فإنهم يذهبون إلى النجام

ليكتب لهم دعاء الإنجاب ويشدونه في زنودهم عسى ينجبوا الذكر والأنثى، كما يسمع في أزقة الحارة نداء قارئات البخت والفأل البصارات اللواتي يرمين على قطعة من القماش أحجار القواقع وعظام الزواحف، فترسم قارئة الودع من خلالها دروب أهل الخندك وتبلغهم بما تخبئ لهم الأقدار من الأفراح والفواجع.

وتسافر حارة الخندك بأجمعها في شهر محرم الحرام من كل عام لزيارة مرقد الإمام الحسين في ذكرى استشهاده، وكذلك في أربعينية استشهاده، يتشبثون بشباك مرقده، يقدمون النذور عسى أن يشفى المريض وينهض المشلول ماشياً ويأتي للعانس فارس أحلامها. كما يرجون الإمام الحسين أن ينقذهم من كوارث الطبيعة وعاتيات الدهر، ويطلق سراح سجنائهم وينجيهم من شرور أعدائهم. رجال السلطة وساستها يطلبون الاستخارة من بريطانيا في تحديد طبيعة سياساتهم وطبيعة اقتصادهم، وكذا يفعل اليساريون والشيوعيون في طلب الاستخارة من روسيا، حتى يحددوا موقفهم مما يجري في هذا العالم.

لم يقرأ أحد من اهل الخندك واقع الحارة ويفهمون طبيعة مجتمعهم لكي يرسموا لأنفسهم مستقبلا ينهض بهم من الواقع الصعب. كانت تلك أسباب تدهور حارة الخندك وتدهور الحارات والمدن في العراق الذي كان يطلق عليه في الأزمان الغابرة بلاد ما بين النهرين. وحارة الخندك هي الأخرى تقع ما بين نهرين هما نهر الخندك ونهر الرباط اللذان ينبعان من التقاء نهري دجلة والفرات في النهر العظيم الذي يطلق عليه شط العرب.

يجلس مهاوي الشحاذ الأعمى في نهاية الجسر القصير الذي يربط حارة الخندك بمنطقة العشار مركز مدينة البصرة يتلو آيات من كتاب الله، والناس تضع في صحنه قطعا نقدية. كان يهز رأسه وهو

يقرأ باستمرار سورة يوسف مستمتعاً بما فيها من كيد النساء. يتصاعد صوته ويلون طبقة صوته مع شدة الصوت فيناغم بين الآيات وهو يتلذذ بحكاية يوسف مع امرأة العزيز.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهّ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصرفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

في النهر الثاني، نهر الرباط تجلس ثلاث فتيات جميلات لم يبلغن الثلاثين، يغسلن الصحون والملابس على ضفة النهر. من الضفة الأخرى للنهر ينزل مجنون الحارة سيد صمد في ماء النهر. سيد صمد شاب مجنون جميل الطلعة ممتلئ الجسم، قوي البنية، أبيض البشرة متورد الوجنتين أشقر الشعر. يسير حافياً ويبلل شفتيه بلسانه باستمرار ثم يمسحها بأصابعه. يلبس دشداشة ويرى صدره من فتحتها غير المزررة.

عندما يصل سيد صمد منتصف النهر يبقي واقفاً ويحرك بيده من تحت الماء ما بين فخذيه. تضحك الفتيات الثلاث وهن يتطلعن نحوه ويرمينه بالحجارة، لكنه يظل واقفا يصبو نحوهن. يشعر بالاسترخاء ثم يغادر باتجاه بستان النخيل. يجمع الرطب المتساقط من عذوقها فوق الحشائش والورود الصغيرة المختلفة الألوان التي تنبت في أرض بساتين النخيل.

في الليل يحمل الحارس الليلي بندقيته على كتفه. يراقب الأزقة حفاظاً على بيوت الحارة من لصوصها. يطلق صفارته حتى في آخر الليل إعلاناً عن وجوده وتحذيراً للصوص الحارة.

جلس أبو محمد ليلا متكئاً على وسائد مسندة على سياج السطح المبني من الطين. وأمامه طاسة اللبن، وهو يحدث العائلة.

- هذا اللبن غير بارد.. يحتاج إلى ثلج جامد.

أراد الأب أن يجعل من قضية الثلج حكاية تلك الليلة، وحيث لا حديث يبدد به صمت الصيف الندي، فقال:

- في الصيف أهم شيء هو اللبن. صيف بدون لبن وثلج جامد هو صيف. لكن الثلج في حارة الخندك يذوب بسرعة. الثلج غير جامد. اللبن يحتاج إلى ثلج جامد.

أجابه الأبن:

- بابا. قوالب الثلج كلها محفورة من الداخل.

ردت الزوجة بالقول:

- عمال معمل الثلج ما ينتظرون حتى يجمد الثلج. الناس يكثرون يوم بعد يوم، والمعمل قديم. الثلج قبل ما يجمد، يطلعوه من المكينة. كل قوالب الثلج محفورة من الداخل. ما أدري، العالم بالخارج شلون يوفرون الثلج. ما أظن يغشون مثلنا.

الأب الذي يتحدث بلغة العارف، عدل جلسته وقال:

- في الخارج، وبالأخص في أمريكا وبريطانيا عندهم ثلاجات. ما يحتاجون ثلج. ما سمعتي بالثلاجات؟ فيها قسمين. قسم يبرد الأكل ويحفظه من التلف. وقسم يجمد الأكل. اللحم ممكن تشتريه من الجزار وتخليه بالمجمدة سنة كاملة ما يصيبه تلف. من تسلقين باقلاء أو لوبيا أو فاصوليا يمكن

تحطيها بكيس سلوفان بالمجمدة بعد شهر شهرين سنة تطلعيها من الثلاجة نصف ساعة يرجع الأكل، كأنك طابخته الآن.

ردت الزوجة:

- الله موفقهم. البريطانيين متقدمين علينا. ما تشوفهم مستعمرينا. لأن برأسهم خير. وإحنا كل سنة نرجع ليورا. الناس تمشي للأمام وإحنه ليورا. الله موفقهم.

وتساءلت:

- وإحنا متى توصل إلنا الثلاجات؟ متى تدخل العراق؟

رد الزوج:

- الثلاجات دخلت العراق بس غالية. الحاج كاظم المرهون اشترى ثلاجة.

عقبت الزوجة:

- الله موفقه. إن شاء الله ربي يوفقك وتشتري ثلاجة.

قال الزوج:

- الله كريم. يرزق من يشاء.

علقت الزوجة:

- إن شاء الله، يا رب. بحق السميع العليم تدخل بقائمة اليشاء ونشتري ثلاجة.

سال الابن:

- بابا وكم سعر الثلاجة؟

أجاب الأب:

- ثلاث مائة دينار.

صاح الابن:

- يا بوووووووي!

قالت الابنة:

- بابا يمزح معاك!

قال الأب:

- لا بابا. ما أمزح. هذا سعر الثلاجة الصغيرة. الثلاجة الكبيرة بـ ٥٠٠ دينار.

رد الابن مشككاً:

- كذب!

قالت الابنة:

- بخمس مائة دينار نشتري حوش!

سمعوا صوت بكاء وصـراخ جارتهم حليمة وزوجها ستار يضـربها. صار الكل في حالة إصغاء. همست الأم:

- مسكينة حليمة، سـرقوا فلوسها بالسوق. رجعت بدون شـراء!

قال الأب:

- اعطيهم صحن بطيخ واعطيهم خبزتين. روحي بنتي إخذي لهم بطيخ وخبـز وشوية ثلج. تكسبين أجر. الله سبحانه أوصىٰ لسابع جار.

صفع ستار زوجته، وهو يصـرخ:

- وين اللبن، وين الثلج؟ وين العشا؟ وين الفلوس؟ وين ضيعتي مصروف اليوم؟

مسك الزوج ستار بخشبة وهو يتقدم نحو زوجته حليمة التي دفعتها الصفعة نحو سياج سطح الدار وسقطت أرضاً.

- صارحيني! وين راحت الفلوس؟

ردت حليمة متوسلة:

- أبوس أيدك أبوس رجلك ما تضربني. سرقوني بالسوق. لا ترفع صوتك أبوس أيدك أبوس رجلك. الجيران يسمعون. عيب!

أطلق الزوج كلماته بغضب مكتوم:

- غبية. سرقوا فلوسك ها؟ أنا ثمان ساعات أشتغل بالشمس في الدوكيار مثل الحمار تحت نار جهنم، اصبغ حديد البواخر حتى أجيب للبيت مصروف الأكل وأنت تضيعين تعبي. وين فكرك وأنت بالسوق؟ ليش ما تنتبهين. عذاب والله عذاب. الحياة معك جحيم. أقسم بالله العظيم. جحيم. ولك طفل مثل البشر أسمع ضحكته لسه ما أعطيتيني. طفل لسه ما حملتي. نخله يابسه ما بيها ثمر. أستغفر الله رب العالمين.

- الطفل مو سببي!

- تقصدين سببي؟ ها؟ ملعونة الوالدين!

شعر ستار بالإهانة وهي ترمي عليه بكرة العقم المرعبة. ضربها بالخشبة في خاصرتها فصرخت وقالت له وهي تنشج:

- أبوس أيدك. أبوس رجلك. خاصرتي توجعني. راح أموت من الوجع.

- ياريت.. ياريت أخلص من هذا العذاب. والله إذا سويتيها مرة ثانية.. أذبحك!

سمعا صوتا من الجيران ينادي:

- حليمة.. يا حليمة..

توقف زوجها ستار عن الكلام بعد أن سمع صوت الجيران

- روحي شوفي الجيران شيريدون. فضحتينه.

نهضت حليمة بعد أن مسحت دموعها وهي تمشي صوب مصدر الصوت وقد مسكت خاصرتها من الألم. امتدت يد تحمل صينية وبرز وجه الصبية التي قالت لها:

- تفضلي خاله. هذا بطيخ وخبز وهذه طاسة بيها ثلج.

شكرتها حليمة بالقول:

- الله يديمكم خاله.

أخذت حليمة صينية البطيخ والخبز ووضعته أمام زوجها ستار فسمعت صوتاً آخر. من سياج آخر من سطح الدار:

- حليمة.. أختي حليمة..

توجهت حليمة نحو مصدر الصوت. امتدت يد وبرز وجه امرأة وقدمت لها طاسة لبن.

- تفضلي أختي حليمة. هذي طاسة لبن. بالهنا.

شكرتها حليمة بالقول:

- دايمه أختي. يطول عمركم ويخلي لكم صاحب البيت.

أخذت حليمة طاسة اللبن ووضعتها أمام زوجها ستار الذي بقي شاخصاً ببصره للأمام. سمعت حليمة صوتاً ثالثاً لصبية تنادي من سياج آخر من السطح.

- خاله حليمة.. خاله حليمة..

توجهت حليمة نحو مصدر الصوت. امتدت يد من فوق السياج. ظهر وجه صبية. تقول لها:

- خالة حليمة، تسلم عليك أمي تقول هذا خبز من بركة الإمام العباس«عليه السلام»، وكراث وفجل هدية.

شكرتها حليمة بالقول:

- يطول عمركم خالة.. سلمي على أمك. سلام الله على الإمام العباس أبو فاضل.

وضعت حليمة صينية الخبز والكراث والفجل أمام زوجها. تأمل الزوج شاخصا ببصره. كان غاضبا عندما سألها:

- شعرفهم؟!

صوتك عالي وسمعوا الصياح.

لم تمتد يده نحو الطعام. دمعته تكاد تسترخي فترتد، فيما دموع حليمة تنساب. ساد الصمت بيتهم سوى بقايا صوت النشيج المتقطع لحليمة.

فتاحـــة الفـــال

والشمس تجنح للمغيب في اليوم التالي، جلس الحاج سلمان في مخزن الحبوب يتطلع إلى تجارته من القمح والشعير المغطاة بالقماش السميك الجتري وطيور اليمام والحمام تلقط بقايا الحبوب المتناثرة، فيما حارس المخزن يطبخ الشاي على موقد النار، ويأتي صوت غناء السفانة من النهر وهم على ظهر السفينة القديمة في مدخل نهر الخندك يغنون غناء الأبوذية الحزين:

أنشدك عن حبيب الروح وين صار

وما تدري عليه شكثر ون صار

لون لي بالعشيرة ربع وأنصار

أجل، جان إندعو وياك بيه

قدم حارس المخزن العجوز الشاي الأسود في قدح الاستكانة إلى صاحب مخزن الحبوب الحاج سلمان وصار يحرك الملعقة في القدح مخرجاً نغماً يمتزج مع حزن الغناء الآتي من السفن الراسية في مدخل نهر الخندك. ثمة ما يشبه الصمت وما يوحي بخوف آت من بعيد كأنه ينذر الناس من المجهول. قطع أجواء الحزن المداف بالخوف صوت امرأة تقرأ البخت وتعلن عن رؤيتها لمستقبل الدنيا ومستقبل الناس وحظهم في خضم الصراع فتاحة فال.. بصارة.. شوافه

وفيما الحاج سلمان ينفث دخان سيكارته مع طعم الشاي الأسود بالسكر، طلت البصارة من مدخل مخزن الحبوب بوجهها المرسوم بالوشم الأخضر على الحنك نازلا في الرقبة تحت فوطتها السوداء. ألقت نظرة على مخزن الحبوب. رأت الحاج سلمان وهو ينفث الدخان. بقيت واقفة عند الباب. قالت له.

- مصبحك بالخير يا حاج.

- هله.. مصبحج بالخير. أنا ما شايفك من قبل بهذي الديرة!

- لا والله ما جايه من قبل. أنا من أهل الرمادي مو من البصرة.. تحب أشوفلك الفال.. ما تندم والله. واليطلع من عندك رزق. خليني استفتح منك. فأل خير.. قول إن شاء الله.

- إن شاء الله. توكلي بالله.

توجهت البصارة إلى حيث يجلس الحاج سلمان وخاف من مدخلها اليمام وهي بالجلباب الأسود، فطارت اليمامات والحمامات وأخرجت من رفيف أجنحتها أصواتا تنذر بالشؤوم، ثم حطت فوق سعفات النخيل وكأنها ترقب المشهد لكي يصفو، فتحط ثانية في المخزن لتنقر في حبات القمح والشعير.

جلست البصارة مقابل الحاج سلمان على طرف القماش السميك الجتري الذي يغطي تلال حبوب القمح والشعير. فرشت قطعة قماش مربعة وأخرجت من جيبها كيساً صغيراً مشدوداً بخيط بما يشبه الصرة. أخرجت عدداً من الأحجار والقواقع البحرية وبعض العظام الصغيرة. قالت:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. سمي بالرحمن.

- بسم الله.

رمت البصارة بالحجر على القماشة. تطلعت نحو الأحجار والأصداف والعظام المتناثرة ونظرت في عيون الحاج سلمان. البصارة ذات عيون حادة تقرأ وجه زبونها وتشده إليها. نظرت ملياً للحجر وتحدثت بأداء دقيق فيه إيقاع وفيه فطنة وتأثير على الحاج سلمان الذي يقابلها بانتباه شديد، وبعد كل مقطع تجمع الودع بسرعة وترميه ثانية. وتنظر لوجه الحاج سلمان وتتحدث:

- حياتك زينة ومرتاحة. لا تسمع خايبه ولا نوّاحه. اللي بأيدك كلـه فايـدة وإن شاء الله تجيك الزايده. قول إن شاء الله.

- إن شاء الله.

- مرتك مبشـرة وزينة وصالحه.. بس عين الرجـال تصـير مالحـه. الله موفيـك ومكفيك بس أنا شايفتك يا حاج عينك على نسوان أثنين. وحدة صبية زغيرة مخليتك بحيره. عمرها بالعشـرين وتصير واحـد وعشـرين بشـهر تشـرين. عندها شامة على صفحة الشمال من صـرتها. وهذا فال مو زيـن. الـلي عـدها شامة على مسافة شبر من الصـرة من جهة اليسار. الياخـذها مـا يعـيش بعـد الزواج غير سبعة أيام وثلاث ليال. عوفها. إدعو مـن البـاري عـز وجـل مـا تصيبك بعين ولا تاخذ عقلك الزين.. قول إن شاء الله.

- إن شاء الله.. والثانية؟

- الثانية عمرها مرتين عمر الأولى. نشطه وصاحبة لسان. صعبة وخبيثة وما إلها شبه بين النسوان. أحذرك من عيونها وفنونها. هذي إن خليـت عينـك عليهـا تندم. ما تبقى عندك ولا تذر. وما يبقى لأملاكك جاه ولا أثر. زوجها متوفي. واللي عندك يا حاج يكفي. مرتك زينة النسوان. وأنا شايفتك هـاوي غـاوي. مرة ساكت ومرة ناوي. فدير بالك يا حاج وأحفظ حلالك ومالك. وأمشـي على جادة الصح والصلاح ورب العالمين ينجيك لأن قلبك طيب، وحجاري صادق وما يخيِّب. أدعو من رب العالمين يبعدك عن الشـر. وإذا عينـك عـلى مرة ثانية، الله راح يزرقك. خليها على الله، والنسوان الزينات ماليـات الـدنيا. قول إن شاء الله.

الحاج سلمان:

- إن شاء الله.

فتاحة الفأل تلم الحجر وترميه وتواصل حديثها واستشفافها بنفس الطريقة ونظراتها بنفس الطريقة.

- وين ما تحط تجارتك تربح. والإنسان بالآخر حياته مو إله. ما يبقى وراه غير العمل الصالح. أنت ترحم المحتاج قبل ما تفكر. وبهذي الطريقة السميع العليم يرزقك وما تدري منين يجيك الرزق. شايفة تجارة أجتك وأنت ما مفكر بيها. صحيت من النوم وإجاك الخير المعلوم وأنت لا رايح ولا جاي. قول إن شاء الله.

- إن شاء الله. كلامك فيه صحة.. ما تشوفيلي الدنيا وين رايحه؟

لمت الودع وبقيت ساكتة وبدأ الرعب واضحاً على وجهها أو هكذا أوحت به. رمت الأحجار والقواقع والعظام وقالت..

- شايفه الدنيا جايتها عجاجة صفرا حمرا جمرا.. يا ستار. الدنيا تصير غير دنيا. ما يبقى حاكم سالم. فإنت خلي فلوسك بأمان وأحكم أقفال الدار. تره الوقت غدار.. اللي يموت يموت واللي يهرب يهرب. والطايح رايح. يا ستار.. قول يا ستار.

- يا ستار.

- دير بالك يا حاج لا تحط نظرك على سراب. لأن راح يمر وكت يسيل بيه الدم للرجاب. والناس ما راح ترتاح ولا واحد يقول من قلبه حي على الفلاح. وراها يجون ناس مثل المسودنين. يقتلون الرايح والجاي بلا سبب ولا عتب. الماي يصير موش ماي. ما ينشرب. والهوا فاسد ما ينشم. النخل يقصون عذوقه والتمر مر. السعف يحترق. والدرب يفترق. كلمن يروح بدرب والهور ينشف مايه والدنيا تصير ناسها مثل السباية. بعدين المسودنين يحرقون النخل والزرع والشلب والناس تجوع وتشرد وتهيم بديار الغرب.

ويصير الأخ ما يعرف أخوه. والأب ما يعرف أبنه والإبن ما يعرف أمه. يا حاج.. وأصبرلي يا حاج. وأشوفك صفنت. ربي راح يحفظك لأن عندك وجدان واللي عنده وجدان وضمير ربي يحفظه وما راح يتأذه. بس لازم أشوفلك زين والحجر عندي مو ثابت ولا هو ساكت. خلي بالك يمي يا حاج ولا تخاف. النعمة اللي وهبها السميع العليم إلى هذي الديرة راح تنهب.. ينهبوها المسودنين، وما تدري شيريدون. والباري عز وجل يريد يمتحن أهل الديرة. ويريد يشوف الشريف من غير الشريف والعفيف من غير العفيف. الناس يا حاج ما راح يكون عندهم وقت يصفنون ويدبرون حالهم. والعالم تظل تدك وتلطم وتصيح بمجالس عزاء الإمام الحسين ربنا لا تسلط علينا من لا يرحمنا. لكن السميع العليم راح يسلط عليهم من لا يرحمهم.. يريد يمتحنهم لكن ما راح ينجحون بالإمتحان لأن نيتهم مو صافية، واللي نيته مو صافيه الله ما يعطيه العافية. قول يا ستار..

- يا ستار..

- ويا حاج لا تحمل كلامي مثل الحجر اللي يتحرك أمامي. أوزنه يميزان الذهب، فهذا الكلام ما جاي من هب ودب. الديره ما لتكم راح تصير ديرتين والديرتين راح تتقسم وكل من إله. وفد يوم لا على البال ولا على الخاطر. ما تشوف الناس ألا وهي صاحية. كأنهم كانوا بحلم أسود. وكل واحد يقول لصاحبه ماذا عملنا بأرواحنا.. ليش الآن صحينه بعد ما فات الوكت علينا، وأصبح من الصعب يرجع الزمن من الأول؟ الراح راح. وأنتوا بعدكم بأول الطريق إذا ما شفتوا دربكم زين راح يجيكم الشين والناس راح تسأل وين سافروا أولادنا، وليش لسه ما رجعوا.. وين راح يندفنون.. بديار الغرب؟ بس الله موجود وهو أرحم الراحمين.. قول أستغفر الله رب العالمين.

قال الحاج سلمان وهو شارد الذهن.

- أستغفر الله رب العالمين.

صدح المغني وهو على ظهر السفينة فيما صاحبه يرتق الشراع وكان الرسام محمد راضي وحيداً عند ضفة النهر ينث الألوان على الكونفاس، يرسم المناظر الطبيعية فيرسم الأشرعة والسفانة والسماء الزرقاء حين خرجت فتاحة الفال وهي تصيح شوافه.. تشوف زين.. فتاحة الفال.. بصاره وكان صوت المغني يصدح من فوق ظهر السفينة ويتردد في المسافات ويتكرر ويتلاشى مع الصمت. وفي مخزن الحبوب كان الحاج سلمان صافنا يتطلع نحوه الحارس العجوز.، والرسام محمد راضي هائم في المكان يرسم الشراع الأبيض المرتق على صفحة الكونفاس الأسمر. ويلون السماء الصافية باللون الأزرق المضبب بلون غروب الشمس وشفقها الأحمر، حتى بدت السماء حمراء في لوحته على قماش الكونفاس.

النجامون

اقتصاد أهل الخندك

يخرج الناس من الحارة. رجال بملابس العمل ذاهبون لأعمالهم. نسوة يخرجن حاملات السلال متوجهات نحو السوق. بعض الشباب يذهبون للمدرسة على دراجاتهم الهوائية.

اللغط في الصباح والحركة في أزقة الحارة، توحي بحياة لا معنى لها. مجرد حركة تبدد السكون ولا شيء. يعبرون جسر الخندك تاركين الحارة شبه خالية مثل كل يوم ومهاوي الشحاذ الأعمى يقرأ لهم كل يوم سورة يوسف وهم يعبرون الجسر، ويتلذذ بمشاهدها بين يوسف وامرأة العزيز:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

ثمة باخرة راسية في مرسى ميناء البصرة الدوكيار والعمال يدهنون جدرانها بالبوية. ستار وعامل آخر هو الشيوعي مظلوم وعامل باكستاني مهر دين منهمكون في دهن السفينة، فيما يجلس على سطحها مستر جون مساعد الكابتن الإنكليزي وهو يراقب العمل.

ستار زوج حليمة العامل المتعب الذي لا ينجب، حزين مهموم ويعمل بجهد واضح. الباكستاني مهر دين يتحدث العربية باللكنة الباكستانية وهو يعمل ويتحدث مع العمال حينا ومع الإنكليزي مساعد القبطان حيناً آخر. قال الباكستاني مهر دين لستار:

- والله أنت يأخذ مرتك إلى شيخ محمد بالباكستان. يرجع عندك مو طفل واحد.. إثنين.. توم.. أيباه شيخ محمد. طالما إنت مسلم، شيخ محمد ما ياخذ فلوس. الله شيخ محمد الله. ربي يحفظ شيخ محمد. أنا بعد ما يموت يروح للسماء. يشوف شيخ محمد واقف هناك في باب الجنة. شيخ محمد يشوفني يقول: ها مهر دين إبني. سلام عليكم. تفزل تفزل أدخل أدخل. رأسا أناً

يروح للجنة. الله شيخ محمد. إنت ستار لازم يروح للشيخ محمد. يكتب لك دعاء. يرجع عندك إثنين أولاد. إن شاء الله ولد وبنت.

ابتسم ستار ابتسامة حزينة. ثم بدأ الباكستاني مهر دين يتحدث مع مساعد الكابتن الإنكليزي:

- وأنت مستر جون لا زم يصير مسلم. يقصون مال أنت إثنين ثلاثة مليمتر ويروح للشيخ محمد بالباكستان يقول الشهادة، يصير مسلم. يدخل الجنة. هناك... حووور إيييين. يتزوج حور عين. يجوع ياكل عسل. يعطش يشرب ماي. يرتاح يشرب حليب. يشرب لبن. أنهار حليب وعسل وماي. هناك واحد ما يموت. ولا يصير عجوز. إنت لازم يصير مسلم كابتن جون. أنت آدمي زين. كل مسلم هو زين. وكل واحد زين لازم يصير مسلم.

علق الشيوعي مظلوم فيما هو يدهن جدار الباخرة:

- وشلون عرفت كل هذي التفاصيل بالجنة وأنت ما شايفها؟
- أستغفر الله رب العالمين. أنت واحد كافر. أنت شيوعي. والله انت يروح للنار. شلون أنت يسأل مثل هذا سؤال؟ أنت ما يقره قرآن. طبعا ما يقره قرآن. أنا يسمع شيخ محمد يقره قرآن ويفسر قرآن. شيخ محمد يعرف كل شي. شيخ محمد يقره قرآن آنا يسمع زين. أنت كافر بعدين يشوف شيصير بيك. أنا يروح للجنة أشوفك بالنار تصرخ. أنا يقول شفت مزلوم ما سمعت نصيحة مهر دين خليك بالنار يتعذب وما يموت. والله مستر جون. أنت لازم يصير مسلم. والله يروح للجنة. إنت إذا يروح للشيخ محمد بالباكستان ويسمع زين ويفتهم رأساً يصير مسلم. بس مال إنت يقصون منه إثنين ثلاثة مليمتر ويروح للشيخ محمد يسوي شهادة يصير مسلم. الله شيخ محمد.. الله.

سأل مظلوم مساعد الكابتن عن الاسم الذي يريده لو أصبح مسلماً. فقال له: محمد ما جعل الباكستاني مسروراً.

وصل الصبي نصير أبن مظلوم الشيوعي. صبي في حوالة السادسة عشر من عمره يحمل مجمع قدور صغيرة صفرطاس وسلم على الحاضرين. قال الباكستاني مهر دين

- بابا مزلوم أنت ليش يسمي أبنك نصير. ليش ما يسميه عبد الله، محمد، حسين. ليش يسميه نصير. أنت مظلوم ماراح يدخل الجنة والله العظيم ما يدخل الجنة. راح يشوف أنت. أنا يشوفك بالنار تصرخ وتبكي. لا أنا ما يساعدك. أنا يشوفك بالنار يقول لك ها مزلوم أنت ما سمع كلام مهر دين ما سمع كلام شيخ محمد يظل في النار يبكي.

وصلت حليمة زوجة ستار حاملة مجمع القدور المركبة الصغيرة الصفرطاس ثلاث قدور.

وضعت حليمة مجمع القدور الصغيرة على الطاولة، فيما غادر الباكستاني مهر دين مع البريطاني لجلب الطعام من المطعم. على الطاولة الكبيرة فرش ستار شرشفاً من البلاستك كان معلقا على الحبل. وضع ستار ومظلوم قدور الطعام الصغيرة، في بعضها رز وفي بعضها الآخر صلصة البامية والفاصوليا وقدور فيها خضار من الفجل والرشاد وثمة أرغفة خبز. دخل مهر دين وجون يحملان طعاماً في علب من الكرتون فيها دجاج مشوي وكباب وخبز ومخلل فبدت الطاولة متنوعة بالأطعمة. بدءوا بتناول الطعام ووضع مظلوم شيئاً من الرز في صحن مهر دين وكذلك فعل ستار الذي قدم الرز والبامية إلى جون فيما جون ومهر دين يضعان الكباب والدجاج أمام ستار ومظلوم

تحدث الباكستاني مهر دين مخاطبا ستار:

- شوف ستار. مرة مال أنت ما يصير يشتري مواد من السوق ويطبخ ويغسل ملابس ويجيب الأكل مال أنت للشغل. مسكين مرة مال أنت. خطية. لازم يصير عندك أولاد. يساعدوكم ويجيب إبنك الأكل مال أنت للشغل. ما يصير مرة مال أنت يسوي كل شي.. حرام.

- إنت يروح لواحد مثل شيخ محمد بالباكستان. يسوي دعاء مال ولاده، يصير عندك إن شاء الله إثنين أطفال. إن شاء الله ولد وبنت. ما يصير إنت ما يكمل دين مال إنت. بعدين لا سمح الله يموت منو يحفظ اسم مال إنت؟

مقترح للإنجاب:

- صراحة حليمة موضوع الطفل صار مشكلة عندي.

قالها ستار وهو على سطح الدار، وقد جلس على حصير وعليه فراش، وثمة وسائد مسندة على سياج السطح، إتكأ ستار عليها وهو يشرب اللبن المليء بقطع الثلج متلذذا بطعم اللبن لكنه شارد الفكر. يقول لزوجته حليمة التي تقابله وأمامها قدور الطعام وبطيخة حمراء.

- أربع وعشرين ساعة بالشغل يسألوني متى إن شاء الله يصير عندكم طفل. حتى الصباغ الباكستاني مهر دين صار يسألني ويقول روح للباكستان إلى شيخ محمد يكتب إلى إمرأتك دعاء إن شاء الله يصير عندك طفلين.
- خليني أروح للمنجِّم. إلى محلات المنجِّمين في منطقة العشار بعد جسر التميمية واحد منجِّم يمتدحه الناس. الكل يقولون يكتب دعاء فاعل. عسى ولعل.
- المشكلة ليست عند المنجِّم. المشكلة عند واحد من عدنه حليمة. نحتاج فلوس. الفلوس تحل كل المشاكل. الفلوس تجيب العروس والعروس تجيب الطفل والطفل يجيب الحياة. من وين نجيب الفلوس!؟ أنا من الصبح حتى مغيب الشمس أشتغل بهذا الحر القاتل بثلثمائة فلس ما تكفي طعام وإيجار. كيف نجمع الفلوس!؟
- نجرب. ما يكلفنا شي. خمسين فلس أجور المنجِّم.
- هؤلاء دجالون حليمة.. النجامون دجالون.
- خلينه نجرب. ما نخسر شي!
- جربي. حتى ما يبقى عتب!

النجامون

هرعت حليمة في أول الصباح نحو شارع فيه بضعة نجامين يجلسون في دكاكين غريبة مظلمة. في أحد الدكاكين جلس النجُّام الذي يسمونه المنجِّم ذي اللحية الطويلة بالغترة الحمراء والعقال وثمة ضوء خافت وصور طلاسم وكتابات دينية، وأمامه موقد صغير غريب الشكل في داخله جمر ينبعث منه الدخان وهو يغذيه بالبخور بين الفينة والأخرىٰ. دخلت حليمة متوجسة الخيفة وجلست قبالته. صارت تروي له الحكاية متقطعة المفاصل. تخاف أن تمس وجدان زوجها حيناً وتتحاشىٰ الحديث عن العقم، وحيناً تلقي اللوم علىٰ القسمة والنصيب وفي النهاية تبحث عن الحل. المنجِّم الذي يرصدها مثل نمر يرصد غزالا من وراء أشجار الغابة. قال لها:

- أنا أكتب لك دعاء ولكن خبريني هل تعرفين السبب؟
- السبب ما يعرفه غير الله سبحانه وتعالىٰ.
- هذا صحيح. ولكن لابد من وجود سبب في العائلة. أما أن تكوني أنت السبب فهذا أمر غير وارد، لأن جمالك جمال امرأة أنثىٰ ولاّدة. أما أذا كان الزوج هو السبب فالأمر يهون. الدعاء في مثل هذه الحالة يخفف عنك الشعور بالذنب!

انتبهت حليمة. تأملت لحظة لاستيعاب ما قاله لها الدعاء يخفف عنك الشعور بالذنب

- ماذا تقصد يا عم؟
- أرجو عدم مخاطبتي عمي، فأنا لا أكبرك أكثر من عشرين عاماً وهو فارق طبيعي بين الرجل والمرأة. أنت جميلة وحرام تبقين بدون طفل.

نظرت إليه بغضب ونهضت، فنهض هو الآخر كمن يرجوهـا أن لا تغـادر وهـو مأخوذ بسحر جمالها.

- وين رايحة.. أنت جميلة وأرجو أن ما تكوني فهمتي غلط!

- ما فهمت غلط. فهمت صح. أتركني يرحم والديك.

- إسمعي خليني أحل لك المشكلة. أنا شفت جمـال بـس مـا شـفت مثـل هـذا الجمال!

حاول بشكل غير مباشـر اعتراض طريقها فقالت له:

- خليني أطلع يرحم والديك.

وقف المنجّم أمامها كما التمثال كمن يمنعها من المغادرة. مسكت قنينة عليها بقايا شمع من شمعة ملصقة على عنقها. وقالت له:

- إذا ما تبتعد، أصـرخ. وأكسـر راسك بهذه القنينة. تبتعد أو أصـرخ؟

نفذت حليمة من المكان وظل هو صافناً وجلس على كرسـيه منهاراً.

سوادي

على ضفة نهر الخندك في الشارع الموازي للنهر يقع دكان غانم الأوتجي كان غانم منشغلا يكوي الملابس وإلى جانبه وقف سوادي وهو أحد الشخصيات الطيبة في أهل الخندك. شخص فقير وطيب بمثابة ضمير الحي، رجل داكن السمرة نحيل الجسم، تركت سنوات الفاقة بعض التجاعيد على وجهه، مع إنه لم يتجاوز الأربعين من عمره. أسنانه متصدعة سوداء، ورغم الفقر والحياة الصعبة، إلا إنه ضاحك الوجه، لا يفارقه المزاح، ولا تفارقه النكات اللاذعة. قوي الملاحظة، طيب ونبيل. يلبس الدشداشة العراقية ويضع العرقين على رأسه. غير متزوج. ليس له عمل سوى بيع الحلويات في ما يسمى جمبر وهو صينية مستطيلة من الخشب. سوادي صديق لجميع أهل الخندك.

مرت حليمة في الشارع حيث سوادي يقف إلى جانب غانم نظرا إليها مأخوذين بجمالها وهي تبعد مرتجفة لا تزال من بعد محاولة اغتصابها من قِبل النجام.

تقدم غانم من سوادي وقال:

- حليمة حلوة.

أجابه سوادي

- صحيح حلوة بس آخ. لو تشوف نسوان عبادان!؟ اللي راحوا إلى عبادان يتحدثون العجايب. كل مرة تقول هذه أنا. وعبادان عبور نهر، عشر دقائق تعبر نهر كارون وما تشوف نفسك إلا وأنت بعبادان. وجيب ليل وإخذ نسوان.
- والله أنا أريد أجمع شوية فلوس وأتزوج.
- صحيح، لكن الما عنده فلوس زواج شيسوي!؟

مجيد الأعور

مجيًد...

مجيّد الأعور أشقياء الحارة. يده اليمنى أقصر من يده اليسرى، ومشوهة عند الكف، ورجله اليسرى أقصر من اليمنى، فيعرج أثناء المشي، وهو يلثغ بحرف السين ويلفظها ثاءً. يترك حارة الخندك مساء كل يوم، ويذهب إلى حانته المحببة في محلة العشار حانة القنديل ومنها يستعمل صديقه سوداي تعبير راح تقندل؟ حين يراه عابراً جسر الخندك. ولدى عودته في آخر الليل يحمل معه ربعية عرق، يرشف منها كلما صحا من سكرته. وحين يكون معه صبيا يعاشره في غرفته الطينية التي تقع في نهاية مقبرة الخندك يكون أقل عدوانية مما يعود وحيداً مجتازاً بساتين النخيل التي يخاف أهل الحارة اجتيازها ليلا، إذ يعتقدون بأن أرواح الموتى وبعض الطناطل والأشباح تأتي من المقبرة للاستراحة في بساتين النخيل ليلا، وتسمع أصواتهم همسا ويضحكون بهدوء، وإذا ما مر إنسان عبر البساتين، فإنهم ينزعجوا منه ويرمونه بالحجارة. وحتى سوادي الصديق الحميم إلى مجيّد الأعور فإنه لا يزوره ليلا خوفا من هذه الطناطل، لذلك كثيرا ما يسخر مجيّد من صديقه سوادي وينعته بالجبان. لا أحد يعرف من أين يوفر مجيُّد الأعور المال الشحيح الذي يغطي حاجات يومه من الطعام والشراب.

وقف مجيُّد الأعور عند باب حانة القنديل. دخل أحد الزبائن. قال له:

- وليش متردد مجودي. هذه هي حانة القنديل. كلنا نقندل.. تفضل أدخل.

في حانة القنديل جلس مجيُّد الأعور وحده على البار يحتسي من العرق. الحانة صغيرة ومزدحمة. ثمة من يغني.

الواحد ما يصير إثنين بالقيد. وما عندي حجي العذال بالقيـد. وحـق الأســروه للشام بالقيد. سـرىٰ دمعي، فضحني، وعم عليٌ

بكل أجواء المرح. ومزاح النادل مع الزبائن. قال أشـقياء العشـار كـريم سـجينه المتواجد عند المقصف في البار. قال لـمجيد الأعور:

- يا أعور. تحب تشـرب كاس علىٰ حسابي؟
- هذي دعوة لو حرشة؟
- الإثنين، دعوة زائداً حرشه. كيف ما يعجبك أحسبها!
- والله أنا شايفها حرشه!
- وأنا أقصدها، مثل ما أنت فهمتها!

قال مجيٌد للنادل:

- دير لي كاس آخر!
- كل يوم تثلٌث. أشو اليوم تربٌع!
- أيضاً بسـيطة. ميخالف!
- بصـراحة وجودك بالعشار عندنا، مو راحة!
- ليش؟!
- لأن العشار بيها أشقياء واحد ما يصير إثنين! بيها كريم سـجينه وبـس. إنـت أشقياء الخندك خليك بالخندك.
- بالخندك ما عدنه حانة. وين أقندل؟

قدم النادل كأساً لمجيُّد. أخذ منه رشفه. أكل شيئاً من الحمص المسلوق. عند طاولة ثانية من الحانة الضيقة جلس مجموعة من الزبائن الشعبيين. أحدهم مخمور وهو يقرأ شعراً شعبياً:

من شفت دهري بحدُّه المهجتي فيُّها
سجيت راجب ذلولي كاطع فيِّها
عن شجرة عن أرضها حرمت فيُّها

يا قبح الله فيَها وفيُّها من فاي
تنعد بلادي وأعدها من الأرض منفاي
تالله ما ساعة ذمها وقع من فاي

موش الأرض، مقصدي الناس الذي فيِّها.

قال له أحد السكارىٰ:

- الله الله أبدعت.. أبدعت أبو عطا
- كأنك في قلبي
- هذي جواهر جواهر.. خليني أبوس أيدك
- أستغفر الله.. أستغفر الله..

رفع صاحب البار صوت الراديو. كان صوت المطربة عفيفة إسكندر يصدح في الحانة. هبُّ الجالسون وبشكل خاص الطاولة التي كان جلاسها يقرأون الشعر. هبُّوا سوية بالغناء والرقص وهم يرددون مع عفيفة اسكندر أغنيتها المنطلقة من جهاز الراديو القديم.

وفيما الجميع منهمك في الغناء وأشقياء العشار يشرب الخمر، نهض مجيٌد الأعور مغادراً وسط الدخان والضجيج. وبعد أن رمى بمبلغ الحساب مرٌ قرب أشقياء العشار. أخرج سكينته من جيبه بهدوء وضرب بشكل خاطف أشقياء العشار في رقبته. تدفق الدم من رقبة كريم سجينه. بقي مجيٌد هادئاً رافعاً السكينة بشكل يهدد من يتقدم منه. ثم غادر الحانة.

ما أن أصبح مجيٌد خارج الحانة حتى ركض وهو يعرج. بعض جلاس الحانة خرجوا من الحانة ووقفوا عند الباب وهم ينظرون إلى مجيٌد الأعور يركض ويعرج أثناء الركض مختفيا وسط صمت الحارة وظلامها.

في أزقة الخندك

في زقاق في حارة الخندك كان مجيد يتمايل ثملاً حين شاهده الحاج عبد الله العائد من عمله ليلاَ. قال له:

- مجيٌد أنت عار على أهل الحارة. لا تخاف من الله ولا من عبد الله. حارة محافظة متدينة، وأنت أربعة وعشرين ساعة سكران وتتمايل بالحارة. أنت عار على أهل الخندك.

وبصق الرجل في وجهه

- تفو.

عندما تحرك الرجل مغادراً، سحب مجيٌد سكينته وطعنه في يده وهرب.

انتبه الرجل إن الضربة خفيفة جداً فقد جاءت في ردائه الذي تمزق قليلاً فاتجه نحو منزلة.

سار مجيٌد ثملاً في المقبرة مترنحاً يعرج بين قبورها، ثمة غرفة من الطين هي بيته. يدخل في غرفته الطينية، يبدد سكون المقبرة صوت طير غريب ونباح كلاب المقبرة.

ولع مجيٌد الأعور الفانوس. وأغلق الباب بصخرة صلدة كبيرة، واندس بملابسه داخل فراشه الوسخ على الأرض، ونام.

ناصر وصالح

ناصر وصالح قبضايات الحارة الشرفاء سارا في المقبرة فجراً متوجهين نحو غرفة مجيٌد دفع صالح باب الصفيح ولم يفتح. وصاح ناصر:

- مجيٌد.. مجيٌد.
- مجيٌد تعمل نفسك ما تسمع. أطلع جبان.

ازداد الصوت والطرق على الباب قوة ومجيٌد يتململ في فراشه. رفس صالح الباب بقدمه فصحا مجيٌد دون أن ينهض. دخلا ومسكه صالح وهو في فراشه. وقف مجيٌد وهو بين يدي صالح كالفأر في حجمه أزاء الرياضي المفتول العضلات. قال له صالح

- ماذا عملت ليلة البارحة؟
- ما أتذكر!

قال له ناصر:

- ما تتذكر.. ها!

صفعه وأطاح به أرضاً. سحبه صالح وقال:

- كيف تضـرب الحاج عبد الله بالسكين البارحة. جبان. كم مرة خبرنـاك أهـل الخندك خط أحمر ممنوع واحد يعتدي على أي واحد من أبناء الحارة. جبان.

صفعه صالح فسقط على سياج الغرفة. قال له:

- يله أمشـي معنا إلى بيـت الحـاج عبـد الله وهـو يقـرر مصـيرك. جبـان. خـلي مراجلك على الغريب مو على أهلك. حقير.

سار صالح وخلفه مجيٌد وخلفهما ناصـر وقف صالح قرب أحد القبور. وإلتفـت نحو مجيٌد وقال له:

- مجيٌد لوعٌتنا أنت. أنت عار على الخندك. تعرف إحنا كنا مقررين نـدفنك حـي إهنا في هذي المقبرة. بس هذي آخر مرة.

مسكه من أذنه ولواها وقال:

- ندفنك هنا لا أحد يغسلك ولا أحد يصـلي عليـك. ولا أحـد يبكـي عليـك. إفهمت؟

في ديوانية الحاج عبد الله انحنى مجيٌد على يد الحاج عبد الله ليقبلها فسحب الحـاج عبد الله يده قائلاً:

- لا داعي لا داعي.

بدأ مجيٌد يبكي ويضـرب رأسه بيده.

- عمي الحاج عبد الله إقتلني. أنـا حقـير عمـي الحـاج عبـد الله أنـا حقـير والله العظيم أنا حقير. ما كنت بعقلي عمي الحاج. إقتلني يرحم والديك إقتلني. أنا ميت ميت حتى ما تحتاجون تحملون نعشـي. أنا عايش أصلاً بالمقبرة. أقتلنـي أخي صالح إقتلني أخي ناصـر يرحم والديكم أقتلوني.

قال له الحاج عبد الله:

- أنا ما راح أسويلك شـــي. ولا راح أخـلي أحـد يعـرف بالحـادث. أنـا قلـت الأولادي انجرحت بالمحل والجرح خفيف. بس تعطيني وعد ما تشـرب خمر بعد؟

أجاب مجيُّد:

- أكيد عمي. بعدين قريبا جاي شهر محرم الحرام وأنا كل سـنة قبـل شـهر مـن شهر محرم أتوقف عن الشـرب.
- لا. موبس بشهر محرم الحرام. تتوقف عن شـرب الخمر للأبد. قطـرة خمـر مـا تدخل حارة الخندك. تعرف أنت السكير الوحيـد بالخنـدك. مـا أظـن يوجـد غيرك يشـرب خمر.

عقب ناصـر بالقول:

- موجود كم واحد عمي الحاج. بس يشـربون بالسـر. من يشـربون ما يطلعون بالشارع.

قال مجيُّد:

- ممكن تسامحني عمي الحاج؟
- أسامحك أسامحك.
- من كل قلبك؟
- من كل قلبي. لا تعيدها مرة ثانية.

قبَّل مجيُّد رأس الحاج عبد الله. ثم قبل رأس صالح وناصـر وغادرهم وهو ينشج باكيا.

نكون أو لا نكون

في بستان النخيل

وقف المجنون سيد صمد في الجانب الآخر من النهر بين بساتين النخيل ونظر نحو الفتيات الثلاث اللواتي يغسلن الصحون والملابس كل يوم على ضفة نهر الرباط. ثلاث فتيات يسحرن الناظر بجمالهن، وهن يرتدين العباءات السوداء ولم يبلغن الثلاثين بعد.

- **الفتاة ٣:**

- ها أها. ما ناقصنا غير هذا المجنون.

- **الفتاة ٢:**

- شوفيه.. شوفيه شلون حلو. بس يا حيف مجنون. ولك سيد صمد شخبلك؟

قهقه سيد صمد واستمر بالضحك يضحك ويضحك. فضحكت الفتيات معه.

صاح سيد صمد من البستان:

- أنا مو مجنون!

- **الفتاة ١:**

- بس شلون شكله المجنون؟ أحمر؟ أصفر؟

- بنفسجي!

ضحكت الفتيات وضحك سيد صمد هو الآخر وصاروا يضحكون.

- **الفتاة ٢:**

- يخبّل! أشقر. كأنه إنكليزي.

- **الفتاة ١:**

- شتنتظرين؟ تزوجيه!

- **الفتاة ٢:**

- لو ما مجنون؟ والله أتزوجه.

- آنا مو مجنون. أنا مجنون ليلى!

ضحكت الفتيات وصار سيد صمد. يضحك هو الآخر، ويتناغم الضحك بينهم. قالت له الفتاة الثانية:

- إسمع سيد صمد لا تنزل بالنهر اليوم.

سألها سيد صمد:

- شسمك أنتي؟

- **الفتاة ٢:**

- يله روح أمشي.

- إنتي أسمك مها، لمى، سها، نوال، ناتالي، سوزان، إليزابث، سوسن، روزا، سناء، هيفاء، سيدوري، ليلى، منتهى، تمارا، جوليت، جينا، نورا، سماء، ندى، أنهار، أوفيليا.

وفيما يلفظ الأسماء ينزل في النهر.

- **الفتاة ١:**

- روح. سيد صمد روح. إطلع من النهر.

- **الفتاة ٢:**

- روح سيد صمد روح يرحم والديك.

- **الفتاة ٣:**

- أتركيه ما تخلين عقلك ويه المجانين.

الفتاة ١:

- إذا نتركه يجوز يهجم علينه. روح أمشي.

رمينه بالحجر وسقط قريبا منه ورذاذ الماء يتطاير على وجهه.

سيد صمد الذي كان ينظر إلى الفتيات ساكتاً، ينزل رويداً رويداً في النهر حتى يصل الماء إلى صدره. يظل ينظر إلى الفتاة الثالثة وهي الأجمل بين الفتيات. الفتيات ينظرن إلى بعضهن ويقهقهن.

- **الفتاة ٢ تقول للفتاة ٣:**

- يحبك!

- **الفتاة ٣:**

- حبته حبه.

تمسك حجارة وترميه بها فيتطاير رذاذ الماء على وجهه، فيما هو مستمر بالتطلع نحوها ويمد يده في الماء باتجاه ما بين فخذيه. الفتيات يضحكن بصمت وهو شاخص ببصره نحو الفتاة الثالثة، ثم يشعر بالاسترخاء ويغادر النهر.

الفتيات يقهقهن. هو يبتعد بين البساتين. يجد بعض التمر المتساقط. يتناول بضعة حبات من التمر ويأكلها.

يقف قرب نخلة ويتكئ عليها ثم يدور حولها ماسكاً جذعها كمن يعانق عشيقته، وهو يردد بعض الكلمات من مسرحية هاملت لشكسبير:

- نكون أو لا نكون؟ ذلك هو السؤال. أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه، أم يشهر السلاح على بحر من الهموم، وبصدها ينهيها؟ نموت.. ننام.. وما من شئ بعد.

مشى سيد صمد في أزقة الحارة وشاهد دراجة ملقاة على الحائط في الحارة.. أخذها وإعتلاها حتى وصل الجسر الذي يربط بين حارة الخندك ومنطقة العشُّار. توقف قليلا عند الجسر وتأمل النهر. سلم على الشحاذ مهاوي، ثم إنطلق بدراجته نحو العشُّار مركز مدينة البصرة.

وصل سيد صمد على دراجته إلى مركز مدينة البصرة ثم اجتاز حارة العشُّار مغادراً مركز المدينة.

وقف أمام المدرسة الثانوية للمدينة وهي المدرسة التي كان يدرس فيها. تقدم نحو المكان الذي يضعون فيه الدراجات وضع دراجته، ودخل المدرسة.

سار في الرواق الطويل. وقف. تطلع إلى الساحة الكبيرة حيث ملعب كرة القدم الواسع. تطلع إلى الطلبة، ابتعد قليلا عن البناء، أصبح في الساحة، تطلع إلى الصفوف المتلاصقة في الطابقين والتي تشكل ضلعين متلاصقين يشكلان زاويتين بينهما السلم. ذهب باتجاه البناء صعد السلالم راكضا، والجميع مندهش من تصرفاته.

وقف في الطابق الثاني. تأمل قليلا، وفجأة اتجه إلى الصف الرابع الأدبي. وفيما المدرس يعطي درس القواعد وقف المجنون سيد صمد أمام الطلبة قرب المدرس

وتحدث لهم بالإنكليزية مقطعا من مسرحية هاملت لشكسبير، ألقى الحوار بصوت مسرحي مرتجف، وكانت عيناه تحدقان في الطلبة. ثم أكمل المقطع المسرحي بالعربية.

- نكون أو لا نكون؟ ذلك هو السؤال. أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه، أم يشهر السلاح على بحر من الهموم، وبصدها ينهيها؟ نموت.. ننام.. وما من شيء بعد.

ضحك الطلبة، ثم توقفوا عن الضحك حينما نظر نحوهم وأشار لهم بيده أن يسكتوا.. شكسبير بقوله نكون أو لا نكون، يقصد الوجود أو العدم ذلك هو السؤال!

وغادر الصف. قال المدرس لطلابه:

- هذا سيد صمد كان يدرس بنفس هذا الصف. رابع أدبي وصارت عنده لوثة عقلية. كان ذكي جداً.

مشى سيد صمد في الرواق، ونزل على السلالم. وعندما وصل الساحة، تطلع باتجاه غرفة طويلة في آخر الساحة. ركض مجتازاً ملعب الكرة ليصل إلى الغرفة الطويلة حيث صنابير المياه الخاصة بلاعبي كرة القدم في المدرسة.

داخل الغرفة الطويلة تصطف عدد من حنفيات المياه. وضع كفيه تحت الحنفية. بدأ يجمع الماء بهما وغسل وجهه. وضع رأسه تحت الحنفية وبلل شعره فسال الماء على رقبته وملابسه. الطلاب تجمعوا قرب غرفة حنفيات المياه ينظرون إليه باندهاش. خرج من الغرفة. تطلع نحوهم. استعرضهم. ابتسم لبعضهم. هرع نحو ساحة المدرسة راكضاً.

توقف في ساحة المدرسة والطلاب مدهوشون من تصرفاته وشخصه المجنون المتوازن في ذات الوقت. التفت نحوهم. صار يركض تارة ويتوقف تارة أخرى

داخل ساحة المدرسة. شاهد بعض الطلبة وهم يلعبون كـرة القـدم. دخـل السـاحة وصار يلعب الكرة وهم يمزحون معه. سدد هدفاً فصفقوا له. ركـض متجهـاً نحـو باب الدخول للمدرسة حيث ترك الدراجة. أخذ دراجته مسـرعاً. إعتلاهـا وغـادر المدرسة.

تجول بدراجته في شوارع مدينة البصـرة بين السـيارات، وأربـك حركـة المـرور. صار شـرطة المرور يطلقون صفاراتهم، والسـيارات تطلق أصوات المنبهات.

وصل كورنيش شط العرب. نزل من دراجته. القاها جانبا. جلس متأملا النهر.

لغط في حارة الخندك

كان سـيد محسن الأخ الأكبر لـ سـيد صمد يمشـي مسـرعاً يبحـث عـن أخيـه المجنون. أوقفه الحاج سلمان في الزقاق.

- سـيد محسن ألا توجد أخبار عن أخيك سـيد صمد؟
- لا والله، ولا خبر.
- رحت للمستشفى، قد تكون ضـربته سـيارة لا سمح الله؟!
- رحت.. ما له أثر.
- ما يجوز معجزة أخذته للسماء. ربما يكون ملاك صالح وأحنه ما ندري!
- الله أعلم!

عاد الصبية الطلاب من المدرسة. ثمة تلميـذان يسـيران وحـدهما. كـان غيـاب سـيد صمد موضوع حديثهما.

- هو ما مات. يمكن صعد للسما.

- شلون يصعد للسما!؟ هذا ضربته سيارة ومات!

- راح يتزوج جنية.

- لك أنت تبقى بهذا العقل؟ يتزوج جنية!

الفتيات اللواتي اعتدن غسل الصحون في نهر الرباط كان اختفاء سيد صمد حديثهن وهن منشغلات في غسيل الصحون.

- **الفتاة ١:**

- له وحشة سيد صمد. يجوز ضربته سيارة.

- **الفتاة ٢:**

- يمكن ما مات. يمكن أخذته وحده جنية وتزوجته!

- **الفتاة ١:**

- لماذا الجنية تتزوج واحد مجنون!؟

- **الفتاة ٣:**

- الجنيات حلوات.

- **الفتاة ١:**

- شمعرفنا! منو الشاف جنية حتى يعرف حلوات لو مو حلوات.

- **الفتاة ٢:**

- الجنية ما تنشاف. حتى من تتزوج. الرجال يسمع صوتها وما يشوفها.

- **الفتاة ٣:**

- إذا ما يشوفها شلون يتزوجها!؟

- **الفتاة ٢:**

- قدرة قادر!

نهضت الفتيات وغادرن ضفة النهر. وفي طريق عودتهن إلى البيت واصلن الحديث.

- **الفتاة ١:**

- هنيئا يا سيد صمد لو حصلّت جنية حلوة.

- **الفتاة ٢:**

- لو ندري بيه يغيب كان وصيناه على كم جني. حتى الوحدة اللي ما يطلع إلها نصيب ما تبقى معنسة.

- **الفتاة ١:**

- إنتي السبب. بس يجي تضربينه بالحجارة. والله كان عاقل. ما كان يسوي شي المسكين.

- **الفتاة ٢:**

- ما تعرفين شكان يسوي. ينزل بالماي ويسكت. ما تعرفين شكان يسوي؟ يتصبب علينا وحده وحده. يمه يمه! يخوُّف!

جلس مهاوي الشحاذ الأعمى في بداية الجسر الذي يفصل حارة الخندك عن نهر العشار وهو يتلو من القرآن.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وصل سيد محسن قرب الشحاذ وأعطاه قطعة نقدية بعد أن سلم عليه.

- سلام عليكم شيخ مهاوي
- وعليكم السلام ورحمة الله. كثر الله من أمثالكم. ما هي أخبار أخوكم سيد صمد؟
- والله حتىٰ الآن ما عرفنه عنه شي.
- هو من طلع من الخندك سلم علي. كل مرة يسلم علي وهو ماشي. هذه المرة سمعت رنة جرس بايسكل، وحسيت هو راكب علىٰ بايسكل وسلم علي. لأن سمعت صوته يبتعد ورن الجرس مال البايسكل. بس صوته هو أكيد وراح باتجاه العشار. لأن صوته رايح من هذا الإتجاه.. باتجاه العشار. راح تروح تبحث عنه؟
- أروح أمشي بالعشار ربما أشوفه. إذا ما شفته أروح أسأل عليه بمركز شرطة العشار.
- سيد صمد ما شاء الله عاقل ما يسوي مشاكل. لا تقلق.
- مع السلامة.
- الله وياك الله وياك. الله يكون بعونك مع السلامة.

وواصل تلاوة القرآن.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصرفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

وقف سيد صمد قرب بائع تفاح يقف إلى جانب عربته. سأله:

- بكم كيلو التفاح؟
- مية وخمسين فلس.
- غالي قياساً بمستوى المعيشة.
- نعم؟
- غالي قياساً بمستوى المعيشة. راتب الفرد ما يتناسب مع سعر كيلو التفاح. وبالتالي مبيعاتك راح تكون مقتصرة على أصحاب الدخل العالي. وبالتالي أيضاً راح تكون عندك مرتجعات من التفاح. ولأن البلد ليس فيها مصانع لتحويل مرتجعات الفواكه إلى مربيات مثلاً أو إلى عصائر معلبة. فراح تكون خسارة مضاعفة لمالية الدولة. لأن الاستعمار بالأساس يمتنع من إنشاء معامل وترسيخ القاعدة المادية للإنتاج الصناعي، لأنه يخاف من تنامي الطبقة العاملة التي تشكل عامل من عوامل التغيير. الاستعمار يفضل الاقتصاد الزراعي على الاقتصاد الصناعي. لكن بالمقابل ينبغي أن تحسبوا حساب العلاقة الجدلية بين المردود المالي والشراء. هل أستطيع آخذ تفاحة. شوية جوعان. آنا أخو سيد محسن أو بالأحرى سيد محسن هو أخي. نحتاج ثلاث نسوان شابات حلوات على ضفة نهر الرباط، حتى الصحون والملابس تبقى نظيفة. عدا ذلك الحياة ما إلها قيمة. أنت تعرف حليمة زوجة ستار. المفروض تعرفها. هي أجمل امرأة في حارة الخندك. بس المشكلة ما تولد. النخلة اللي ما تعطي تمر مو نخلة. وربما والعلم عند ربي يحتاج واحد ينقل اللقاح من النخلة الذكر للنخلة الأنثى. شوف الله سبحانه وتعالى خلق كل شي بحساب. أنت أكيد تتصورني مجنون. مسألة الجنون مسألة نسبية. أنا أريد تفاحة واحدة.

اندهش بائع التفاح. تناول تفاحة وقدمها إلى سيد صمد تطلع سيد صمد إلى التفاحة وقال:

- شوف لي تفاحه خدها أحمر!

أعطاه البائع تفاحة موردة الخدين.

وغادر سيد صمد بائع التفاح.

وبقي بائع التفاح ساكتاً متأملاً.

انطلقت زغاريد بعض النسوة وهن يشاهدن سيد صمد عائداً على الدراجة عابراً الجسر. ذهب لذات المكان الذي كانت فيه الدراجة مركونة على الجدار وأعادها في مكانها.

البيت المجنون..

يسكن سيد صمد مع أخيه سيد محسن في دار قديمة لها باب خشبي سميك تنزل منه ثلاث سلالم تؤدي إلى مدخل رطب مظلم فيه بابان صغيران، الأول هو مدخل الدار المستأجرة من قبل عائلة أبو سامي وهي عبارة عن باحة ترابية، في نهايتها غرفة طينية طويلة يسكنها أبو سامي مع زوجته وأولاده سامي وهلال وسامية أما الباب الصغير الثاني فهو مدخل إلى بيت سيد محسن حيث يعيش مع زوجته سميه التي لم تنجب له، ومعهما أخوه سيد صمد كان سيد محسن في عراك دائم مع زوجته سميه التي تبكي وتندب حظها كل يوم، حيث يبدأ الشجار عن أي موضوع. المهم أن يكون ثمة شجار يختمه سيد محسن بنفس الجملة قبل أن ينام. سيد محسن في شجاره مع امرأته يقول:

- يوجد فيلم مصري اسمه غرام وإنتقام أما انتي فعذاب وإنتقام.

قالت الزوجة:

- الله بلاني بإثنين مجانين إنت واخوك. أخوك أخذ البايسكل مال الناس وهام بالشوارع. روح دخله بمستشفى المجانين وخلصنا. مخبل أخوك مخبل وراح يخبلني.

كانت لعبة سيد صمد المحببة، أثناء الشجار بين أخيه وزوجته، هي أن يصعد على الحائط الطيني الذي يفصل بين البيتين، بيتهم والبيت المستأجر من قبل عائلة أبو سامي يظل يسير من أول الحائط حتى نهايته ويعود، وكان هلال يرتعد خوفا فينصحه بالكف عي المشي فوق الحائط مخافة أن يسقط. ويقول:

- عيني سيد صمد لا تمشي فوق الحائط.. أخاف لا تطيح.

- لا تخاف، لا تخاف. ما أطيح بصفحتكم. تتصور أنا مخبل؟ أنا مو مخبل!

ويظل يروح ويجئ فوق الحائط مردداً.

- أنا مو مخبل!

علقت سمية زوجة سيد محسن:

- بس شلون شكله المخبل؟ أحمر أخضر! رايح جاي فوق سدة الطين. ويمكن يطيح في بيت الجيران. سمعت يدورون على بيت يستأجروه بسببكم. من اللي يستأجر غرفة في بيت مجانين.

قال هلال خائفاً:

- عيني سيد صمد الله يخليك لا تروح تطيح.

- إذا أطيح، ما أطيح بصفحتكم. أطيح في جهة بيتنا. أنا أعرف شلون أطيح.

صاح أبو سامي منادياً سيد صمد قائلاً:

- إبني، أترك هذي اللعبة. تروح تطيح وتتكسر.
- أنا قلت لك ما أطيح. وإذا أطيح، أطيح في جهة بيتنا.
- أنا عمري ما شفت واحد يلعب هكذا لعبة. رايح جاي طول الليل فوق السياج. هذا سياج طين يمكن ينهد، أبني.

مسك سيد محسن بعمود خشبي وتوجه نحو أخيه الذي يمشي فوق الجدار وهدده بالنزول.

- إنزل.. إنزل..
- خليني أخلص حديثي مع جيرانه.

نادت سمية زوجها سيد محسن.

- تعال أكعد. إرتاح. لا تضرب الحايط. يروح يتهدم ويوقع أخوك وندخل بمشكلة جديدة.

صاح زوجها سيد محسن:

- إرجعي المكانك. أنت عذاب وإنتقام.

نادىٰ أبو سامي:

- سيد محسن سمي باسم الرحمن. وأنت أبني سيد صمد إنزل من السياج وروح نام. روح إتعشىٰ ونام.

رد سيد صمد:

- إذا الواحد يتعشىٰ وينام يحلم أحلام مزعجة وكوابيس. ما تعرف المثل اللي يقول تعشىٰ وتمشىٰ ينبغي علىٰ الإنسان أن يتمشىٰ بعد الأكل حتىٰ يهضم الطعام.

علق أبو سامي قائلاً:

- بالله بشرفكم هو هذا كلام مال واحد مجنون!

بقي سيد صمد يمشي فوق الجدار وهو يردد مقطعاً من مسرحية هاملت:

- نكون أو لا نكون؟ ذلك هو السؤال. أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه، أم يشهر السلاح على بحر من الهموم، وبصدها ينهيها؟ نموت.. ننام.. وما من شيء بعد.

صار سيد محسن بضرب الجدار وهو يصيح:

- إنزل. الله بلاني بيك. أنزل.

صاح سيد صمد:

- خليني أكمل المسرحية. عيب تقاطعني وأنا أمثل مقطع من هاملت لشكسبير.

رد سيد محسن:

- يا شكسبير هذا؟ منين جبت لي شكسبير؟ وين يسكن شكسبير هذا؟

- بالله هل يوجد واحد بالكون ما يعرف شكسبير. شلون متخلف هذا أخي. شكسبير هذا اللي قلب الدنيا بمسرحياته ما تعرفه؟

سيد محسن الذي يضرب الجدار بالعمود. يصيح:

- إنت اللي راح تقلب الدنيا على راسي مو شكسبير! أنزل. إنزل.

وفيما هو يضرب بعصاه على الجدار الطيني ويتساقط بعض الطين سقط سيد صمد في بيت أبو سامي وصرخ هلال وأخته سامية ثم صرخت سميه زوجة سيد

محسن ركض سيد محسن وخرج من داره ثم دخل منزل أبو سامي ومسك أخيه المجنون وخرجا.

عند الباب فلت سيد صمد من يد أخيه سيد محسن وهرب في شوارع الحارة ليلا.

ركض سيد صمد في ظلام الليل وهو يدلف من زقاق إلى آخر. يخفي نفسه قرب أحد الأبواب، فيما سيد محسن يركض ويردد وهو يلهث..

- سيد صمد.. سيد صمد.. سيد صمد..

سيد صمد إختفى عند باب أحد البيوت. باب من الطراز القديم وفيه شبه فسحة بعيدة عن الشارع وثمة ضوء خفيف من عمود كهرباء في الحارة يلقي بضوئه على وجه سيد صمد الذي يلهث. سيد صمد ينظر إلى الحارس الليلي وهو يمشي في الزقاق ويطلق صفارته ويبتعد. سيد صمد يبتسم، أنه فلت من يده أخيه الذي قد يضربه ضرباً مبرحاً. سمع صوته في الحارة وهو يصيح:

- سيد صمد. سيد صمد.

شاهد سيد محسن الحارس وسأله:

- يرحم والديك.. ما شفت أخي سيد صمد؟

- لا والله ما شفته. أستغفر الله رب العالمين. ليش ما تدخله مستشفى المجانين وترتاح. هذا كل يوم يعمل مشكلة!

بين الأزقة ثمة شخص يتلفت ويرمي بمنشورات حزبية شيوعية في زوايا الشارع.

شاهد سيد صمد أخيه يركض تارة وتارة يمشي مسرعاً. يركض مسافة في الزقاق فيترك سيد صمد الباب حيث كان يختفي ويتجه نحو زقاق آخر.

دفعت الريح بأحد المنشورات في الزقاق. سيد صمد شاهد المنشور يدفع به الهواء. تناوله وقرأ العنوان. دعوة الجماهير للتظاهر ضد الإستعمار ضحك ورمي المنشور الذي دفعت به الريح.

مشى سيد محسن مسرعاً يفتش بين أزقة الحارة ومنعطفاتها. أضوية مصابيح الحارة تدفع بظله ظلالاً على جدران البيوت الطينية.

ركض سيد صمد في الأزقة ووقف مقابل بساتين النخيل على ضفة نهر الرباط.

مشى سيد محسن ليلاً بين بساتين النخيل يفتش عن سيد صمد دون جدوى.

وقف سيد صمد قرب النهر وهو ينظر نحو بساتين النخيل، وشعر أن أخاه يمشي فيها حتى إختفى وعاد خائبا دون أن يعثر عليه.

بعد أن تأكد سيد صمد أن أخاه عاد أدراجه نحو البيت. نزل في النهر وعبره نحو بساتين النخيل.

بين النخيل وتحت ضوء القمر كان يمشي لوحده. شعر أنه وحده وحيداً في هذا العالم. صوت الريح يصفر في البستان ويحرك سعفات النخيل ويسمع حفيفها. نظر إليها. شعر بإسترخاء وهو يسمع حفيف سعفات النخيل. لمسات ضوء القمر تكشف في وجهه قراراً قد أتخذه مع نفسه!

وغاب سيد صمد دون أن يعود ودون أن يعرف عنه أحد شيئا!

في مركز الشرطة جلس سيد محسن أمام الشرطي الذي كان يسجل المعلومات عن أخيه المجنون.

- صار أربع أيام من غادر البيت.
- في الليل أو في النهار؟
- في الليل.

- في أي ساعة؟
- تقريباً ساعة تسعة.
- لماذا لا تدخله إلى مستشفى المجانين؟
- إذا أدخلته مستشفى المجانين سوف يجن أكثر.
- هل ضربته؟
- كلا.

النوارس..

جلست الفتيات الثلاث على ضفة نهر الرباط.. كان المد يدفع المياه نحو بساتين النخيل.

- **الفتاة ١:**
- سيد صمد إله وحشة.. إشتقنا له. وين راح؟
- **الفتاة ٢:**
- شمعرفنا. يمكن عنده صاحبه مجنونة يروح عندها.
- **الفتاة ٣:**
- هو جداً حلو لو ما مجنون.
- **الفتاة ١:**
- يقولون المدرسة خبلته. هو كان يقرأ بالمدرسة الثانوية وتخبل. لأن المدرسة والدراسة الأكثر من اللازم تخلي الواحد يفكر. وبعدين يتخبل.

- **الفتاة ٢:**

- مو المدرسة اللي خبلته. وحده وحدة صابئية من محلة الساعي كان يحبها. يوصفوها مثل القمر. أهلها ما قبلوا يزوجوها. وصار يكتب أشعار عنها. قصتهم مثل قصة قيس وليلى.

- **الفتاة ٣:**

- يا حيف مخبل. أه ما عدنا حظ. الحلوين مخابيل والموحلوين عطالة بطالة. بالله مو حرام أحنا ما خلونا نكمل مدرسة. أي ليش طلعونا وإحنا بالإبتدائية. ما نعرف شيصير ما يصير في هذه الحياة.

- **الفتاة ١:**

- أوي.. مدرسة وقراية وكتابة! ما نحصل غير وجع الراس. الواحدة تتزوج واحد غني وتقعد ترتاح بنعمته. وكل سنة نروح لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، ونشتري حلاوة جزر من كربلاء. ماذا حصلت المتعلمات. يشتغلن من الصبح إلى الليل. ولسه ولا وحده منهن تزوجت. كلهن معنسات.

- **الفتاة ٢:**

- ولا واحد يتزوج. صار تقريباً سنة سمعتي واحد تزوج من أهل الخندك؟

- **الفتاة ٣:**

- شلون يتزوجون!؟ عطالة بطالة. لا راتب ولا وظيفة ولا تجارة. أربع وعشرين ساعة رايحين جايين يتمشون على نهر الخندك. وبالليل يرمون منشورات سياسية بالشوارع. لا شغل ولا عمل. عمت عينهم والله. ولا واحد منهم يفكر يتزوج ويبني عائلة. الله بلانا بهذي الأحزاب.

- **الفتاة ١:**

- سمعت ليلى عندها صديق وراح يخطبها!

- **الفتاة ٢:**

- قصة حب!

- **الفتاة ٣:**

- مع من؟

- **الفتاة ١:**

- ما أدري؟

- **الفتاة ٣:**

- حلوة.. تستاهل.. جداً حلوة.

- **الفتاة ٢:**

- يا حلوة! ... أنفها كبير مثل الطوبة.

- **الفتاة ٣:**

- شويه كبير بس مو مثل الطوبة. والله أنفها مفصل تفصال على وجهها. تستاهل. إذا أجتها القسمة.

إلتفت الفتاة الثالثة نحو النهر وكمن أصيب بالذهول وقفت تبسمل.

- بسم الله الرحمن الرحيم.. يا ستار.. كأنه سيد صمد!!

وقفت الفتيات الثلاث يبسملن ويضعن الملابس المغسولة في السلال بسرعة.

- بسم الله الرحمن الرحيم.. يا ستار.

- يا عليم يا رحيم..

- إلهي سترك ودفع بلاك.. أنت أرحم الراحمين.

كان جسد سيد صمد طافياً ومنفوخاً فوق المياه. فوقه وحواليه بعض القش والأحراش. وفوق جسده وقف طائر النورس.

تدمع عيون الفتيات ويغادرن النهر مسرعات.

جسد سيد صمد وحده منساباً وسط صرخات النوارس من بعيد.

طار النورس الواقف على جسد سيد صمد بقي جسده وحده منساباً فوق المياه، والنوارس تحوم حوله وتصيح، كأنها تبكيه!

انتقال عائلة أبو سامي

وقفت عند باب بيت سيد محسن عربة في مقدمتها حمار وعائلة أبو سامي تنقل الحقائب وبعض الأثاث البسيطة. أم سامي تحمل ماكنة خياطة علامة سنجر كتبت بمادة ذهبية اللون، فيما سامية تقبل القرآن وتضعه في كيس قماش ثم داخل علبة من الكرتون في العربة. وصل سيد محسن وقال:

- أبو سامي أنت جار عزيز. وآنا أشعر بالحزن لإنتقالكم. أعرف كان وضعكم في البيت صعب بسبب مشاكل المرحوم سيد صمد

- الله يرحمه!

- ويرحم والديك. بس المرحوم إلى رحمة الله ذهب إلى دار القرار. وبعد ما عادت مشكلة. الحقيقة ما كانت عندي الرغبة أن تتركوا الدار. حتى بدون إيجار نزلتم أهلاً وحللتم سهلاً.

- أفضالكم، ومشكورين. لكن البيت شوية رطب وبارد. وتوفقنه في بيت حجر وتدخل فيه الشمس. صحي. ونتمنى يأتيك مستأجر يريحك.
- الحقيقة ما يتحصل جار مثلكم أشهد ما بالله ما يتحصل جار بطيبتكم وشرفيتكم. نتمنى لكم الموفقية وسامحونه من كل تقصير.
- وإنتو أيضاً سامحونه من كل تقصير. نبقى أخوة إن شاء الله تزورونا ونزوركم.
- مبروك ألف مبروك وتستاهلون كل خير.

وصلت عند مدخل الدار سميه زوجة سيد محسن وهي تبكي لمغادرة الجار. وتقول لـ أم سامي:

- خاله أم سامي سامحونه على التقصير.
- ما قصرتوا أشهد ما بالله ما قصرتوا.

قبلت زوجة سيد محسن أم سامي وأجهشتا بالبكاء. وقبلت زوجة سيد محسن إبنة العائلة ساميه. وعانق سيد محسن أبو سامي وكذلك سامي وهلال وفيما هم يصعدون العربة قال سيد محسن:

- بالتوفيق، وين إستأجرتوا بيت؟
- حصلنا بيت بجانب مدرسة عتبة بن غزوان أي والله. يعني هلال لو يريد يروح للمدرسة يمكن يعبر من السطح.

تحركت العربة يجرها الحمار الهزيل وهي تصعد بصعوبة في الزقاق الترابي المرتفع قليلاً لتختفي وسط الحارة.

بقيت الحياة في حارة الخندك ما بين النهرين، تسير بشكل رتيب. كان يبدد رتابتها مجنون يفجر في كيانها أسئلة محيرة عن الوجود والعدم.

هادي دوغلاس

كيرك دوغلاس

جلس هادي دوغلاس في صالة السينما. مهووس بمشاهدة فيلم فيه الممثل كيرك دوغلاس كان المشهد مطاردة في سيارة على الشاشة. هادي دوغلاس مشدود إلى كيرك دوغلاس وهو يقود السيارة على الشاشة بسرعة جعلت الناس يفرون نحو الأرصفة والسيارات تهشم بعضها، وتأثرت من الإصطدامات سيارة الممثل كيرك دوغلاس وهو منتش يقود سيارته في شوارع نيويورك.

بعد أن غادر هادي دوغلاس صالة السينما، جلس في غرفته متمعناً في صورة كيرك دوغلاس التي وضعها على الجدار وصورته إلى جانبها، وهو يلبس قميصاً، قريب من قميص كيرك دوغلاس إلتفت إلى صورته في المرآة. صورة أمامية وأخرى جانبية. مشي أمام المرآة. إنحني بالتحية (هاي) بالإنكليزية. مشي بهدوء. دخل صالون البيت. رأى والده نائماً ومفاتيح المنزل على الطاولة. سحب مفتاح السيارة من بينها وخرج بهدوء.

غادر البيت ماشياً كما الممثل كيرك دوغلاس فتح باب السيارة. أدار محركها وانطلقت السيارة. ضغط على البنزين أكثر. إنعطفت سيارة هادي دوغلاس في زقاق. داس على فرامل السيارة، وأخرجت أصواتا، ثم رجع إلى الوراء وإستدار بسرعة، ومر في الشارع الموازي لنهر الخندك حيث دكان غانم وقد وقف سوادي وعبد النبي وهلال وجواد وبقية الشلة وكاد أن يدهسهم فهربوا داخل الدكان. ضربت السيارة صينية سوادي الصغيرة وتناثرت قطع الحلوى. هرب الناس من الأزقة. صارت النسوة يتطلعن إلى المشهد باندهاش من فوق سطوح المنازل. ضربت السيارة بعض أطراف الجدران، وصار بعض الناس يركضون في الأزقة هلعا.

وصل جاسم الشرطي حاملاً بندقيته بصعوبة وهو يركض باتجاه دكان غانم ليستفسر عما يجري في حارة الخندك. توقف الشرطي أمام دكان غانم علق عبد

النبي عند مشاهدته الشـرطي.

- انتهت المشكلة! لا زال حضـر جاسم الشـرطي، حلت المعضلة. هلـه بعمـي جاسم فيلم سـينمائي بطولة هـادي دوغـلاس وجاسـم الشـرطي في سـينما الحمراء الصيفي.

مرت السـيارة مسـرعة قريبة من جاسم فقال:

- هذي شنو معناها؟

قال عبد النبي ساخراً:

- معنى هذا، حياتنا صارت فيلم سـينمائي. معنى هذا، أنـت خراعـة خضـرة، فزاعة عصافير، ما تقدر تعمل شـي.

أجابه جاسم بالقول:

- ولك أنت واحد موسقوفي. يسقط يسقط يسقط يعيش يعيش يعـيش. شـوف لك شغله بيها خير.

- وإنت عاد فد نمونه. واحد شـرطي. لو بيك خير جان صـرت نائب عريـف، عريف.

- ادعوا للحاج سلمان اللي طلعكم من المعتقل. لو بيـك خـير جـان تـروح ويـه أهلك لزيارة الإمام الحسـين عليه السلام. يعيش يعيش يعيش يسـقط يسـقط يسقط. هذه هي شغلتكم. خلي روسـيا توكلكم خبز. هيه روسـيا تقدر تهـزم بريطانيا؟ لو روسـيا تقدر على بريطانيا. أنت تقدر علي. ما عدكم غـير يعـيش يعيش يعيش يسقط يسقط يسقط.

مرت سـيارة هادي دوكلاس مسـرعة.

صاحت امرأة من أعلى السطح وهي تنظر لما يحدث فنادت جاسم الشـرطي.

- يلا عيني جاسم ما تراوينه مراجلك. ليش حامل بندقيتك. خراعة خضـــرة. بس تقدر على الشـيوعيين.

- أما صحيح أنتي وحدة بربوك

قال له عبد النبي:

- أنتبه، إذا يسمعك زوجها يقتلك.

أجابه جاسم:

- ليش آنا ماذا قلت حتى يقتلني. أنا أمدحها. بربوك يعنـي شـاطرة مـا تغـرق. البربوك معناها كرب مال النخل. ترميه بالنهر يظل مطوف وما يغـرق. أنـت تتصور بربوك فشـرة. وين الإفتهام مالتك؟

سمعوا فرملة السـيارة في زقاق. ركض جاسم الشـرطي وصعد عـلى دكـة أحـد البيوت. بعد أن مرت السـيارة مسـرعة. ضـحكت النسـوة فـوق سـطوح المنـازل. السـيارة تروح وتجيء وتفرمل. وجاسم الشـرطي يردد:

- هذي شنو معناها؟

تكاثر الناس فوق سطوح المنازل، ولم يجرؤ أحد من الوقوف في الشارع، وهـادي دوغلاس يختفي من زقاق ليظهر في زقاق آخر. ثم فجأة خرج من الزقاق المـؤدي إلى الشارع الموازي لنهر الخندق، وبدلا من أن يستدير في الشارع ضـغط عـلى البنـزين، وطارت السـيارة نحـو النهـر وسـقطت في الطـين، فهـرع سـوادي وأبنـاء الحـارة، واستطاعوا أن يفتحوا باب السـيارة ليخرجوا هـادي دوغـلاس أشـبه بقطعـة مـن الطين. قال لهم بالإنكليزية:

- Thank you

البلياردو

ليلا وفي صالة نادي موظفي شركة نفط البصرة، جلس هادي دوغلاس يقرأ في صحيفة أجنبية ولا يحدث الآخرين. يرشف البيرة الباردة ويتمزمز بشرائح الجبس منتظراً دوره في لعب البلياردو. كان هادي دوغلاس قد شاهد الممثل كيرك دوغلاس في أحد الأفلام وهو يلعب البلياردو. إثنان من موظفي الشركة يلعبان البلياردو وقريبا منهم على طاولة صغيرة بعض السندويتش والحمص المسلوق اللبلبي ويرشفون البيرة وهم يتسلون بكرة البلياردو. ثمة طاولات طعام ولغط. رجال ونساء يتناولون وجبات العشاء. نهض هادي دوغلاس ليلعب البلياردو مع شخص بريطاني. أغنية أجنبية ينطلق صوتها من الراديو مع أصوات كرات البلياردو ودردشة الموجودين في النادي الجديد للخندك والخاص بمنتسبي شركة نفط البصرة.

هادي دوغلاس يرشف من البيرة ويعيدها للطاولة الصغيرة ثم يتأمل كرة البلياردو وبات مقتنعا بأنه يلعب البلياردو على شاشة السينما، وفيه مواصفات الممثل كيرك دوغلاس من الأنف المدبب والشعر الأسود السلس وطبيعة الملابس التي يقتنيها والتي تشبه ملابس الممثل كيرك دوغلاس فيزداد قناعة بأنه على الشاشة، على شاشة سينما الوطني وهو يلعب البلياردو.

في سينما الحمراء

وفيما غانم منشغل في كي قمصان أبناء الحارة وسوادي إلى جانبه، مر هادي دوغلاس وحياهما بإشارة من يده. قال سوادي:

- أكيد هادي راح يشوف فيلم بالسينما. سوادي أنت تشوف أفلام بالسينما؟

- أنا أحياناً أشوف أفلام عربية. يعرض الآن بسينما الحمراء فيلم إلك يوم يا ظالم إذا تريد نروح نشوفه سوا.
- إن شاء الله ما بيه بوس. أنا أستحرم.
- لا ما بي بوس. فيلم اجتماعي. طبعا بيه نسوان حلوات.
- يجلسن معنا بالسينما؟
- ولك نسوان يطلعن على الشاشة البيضاء. نسوان نسوان. فاتن حمامة، وشادية، وماجدة، ومديحه يسري، ومريم فخر الدين؟
- شلون تعرفهن؟
- شلون أعرفهن؟ يطلعن على الشاشة!
- وشلون عرفت أسمائهن؟
- قبل الفيلم يطلعون دعاية ويقولون أسمائهن.

سوادي حاول أن يقنع غانم بالذهاب للسينما، وكان غانم يخاف السينما وتأثيرها عليه اجتماعيا إذ يظن أن سمعته من رواد السينما سيحول دون تمكنه من الاقتران بزوجه تسعد حياته، فهو لم ير فيلماً في صالة سينما. وكان قد وقف ينظر إلى هادي دوغلاس وهم يخرجونه من حافة النهر غارقاً في الطين فقال.

- شفت أخي سوادي شلون طلعنا هادي من السيارة. السينما تخرب العقول!
- ولك ما تخرب العقول. بس هذا هادي هو عقله ترللي بكره، الحاج سلمان يطول عمره، يعطي أمي المساعدة الشهرية. وأدعوك للسينما على حسابي.
- لا أخي سوادي أخاف تسمع أمي وتزعل. أمي تقول السينما تخرب العقول. أمي تقول حرام نجيب راديو بالبيت. تقول حرام ندخل رجال غريب

بالبيت. هي تعتقد المذيع موجود بالراديو ويقره نشرة الأخبار. ويشوفها ويسمعها.

- أنت بس شوف السينما مرة واحدة وأكيد راح تغير رأيك. توجد أفلام اجتماعية أفلام دينية. قبل شهر عرضوا فيلم ظهور الإسلام ليش واحد ما يشوفه؟

- أخاف أروح للسينما وما يعطوني مرة. تطلع علي سمعه مو زينه. من نروح نخطب يقولون عني هذا أبو السينمات.

- حبيبي نروح نشوف أفلام اجتماعية. فيلم إسمه إلك يوم يا ظالم. ما تصدق، اسأل هلال.

وقف سوادي مع غانم داخل السينما ينظرون إلى أفيشات الأفلام. وغانم مندهش. تقدم سوادي نحو بائع التذاكر ومعه غانم وسأله.

- رجاء أخي أي فيلم اليوم تعرضون بالسينما؟

- فيلم إلك يوم يا ظالم بطولة فاتن حمامة ومحسن سرحان ومحمود المليجي.

- أقطع إلنا تذكرتين أبو الأربعين.

ناول قاطع التذاكر سوادي تذكرتين بعد أن دفع المبلغ. قال له غانم:

- سمعته يقول بطولة فاتن حمامه يعني الفيلم بيه نسوان. أنا أخاف ينتشر الخبر وما يعطوني مره.

- ولك أمشي بطولة فاتن حمامه ربما تطلع فاتن حمامه أخت محسن سرحان بالفيلم تطلع أمه. شمعرفنا!

جلس سوادي مع غانم داخل صالة السينما. باعة المرطبات والأكل يصيحون وبائع المرطبات يضرب على القناني بالمفتاح ويصيح:

- بارد.. باريييد..

بائع السندويتش يصيح هو الآخر:

- أبيض وبيض.. عنبه وصمون.. أبيض وبيييض.

سوادي ينادي بائع السندويتش ثم بائع المرطبات.

- إعطينا رجاء لفتين أبيض وبيض. وأنت أخي إعطينا إثنين ناملیت.

قال غانم:

- أنا أدفع.

- أنا داعيك ما يصير أنت تدفع.

- أنت دفعت التذاكر. أنا أدفع الأكل.

- مالك علاقة مالك علاقة. تفضل أخي. وأنت أخذ مال إثنين ناملیت

يبدءان بالأكل وعندما إنطفأت الأضواء قال غانم:

- طفوا الضوء. خلصت السينما نرجع للبيت؟!

رد عليه سوادي:

- بعده ما بدء الفيلم. كانت مقدمات دعاية مال الأسبوع القادم وبعدين ناخذ فرصة ثم فيلم إلك يوم يا ظالم.

- شمعرفني أنا تصورت من طفوا الضوه خلصت السينما. كل من يروح إلى بيته.

- حلاوة السينما تنشاف بالظلام.

جلس غانم مندهشاً من صالة السينما. شاف شيئا كما الحلم الجميل. نسي المكان والواقع وحارة الخندك. الناس يمشون في شوارع المدن على الشاشة، يتخاصمون، يضحكون، ويسمع قهقهاتهم، ويسمع خلافاتهم. ينتظرون سعادتهم ويتخاصمون من أجل السعادة. شاهد الأنذال والمتآمرين. سمع همسات الحب، وصوت المرأة مجسداً يسمعه بكل حواسه. السيارات تمشي غير السيارات التي تمشي في شوارع الحارة والمدينة. الباعة هم غير الباعة الذين يعرفهم. شاهد الخصام والعراك، وشاهد الحب الخفي ومشاعر المرأة وهي على سرير النوم تحلم. لأول مرة يرى امرأة جميلة تحلم وتضع الشرشف فوق جسدها وتغفو. كانت اللهجة المصرية عسيرة عليه، فهو لم يسمع نغم الكلمات المصرية. لم يكن يهتم ماذا كانوا يقولون باللهجة المصرية. فهم بعض الكلمات، لكن تركيزه كان على الناس الذين يتحركون على الشاشة. كان يتمنى أن يرى شخصا مثله يكوي الملابس، وكان منشغلا بملابس الشخصيات التي تتحرك على الشاشة من ترى يكوي ملابسهم. ينظر بعض الممثلين إلى ساعاتهم ويعرفون الوقت، بعضهم يطلب يد امرأة ويسعى للزواج منها. شاهد باعة يتجولون في الأسواق، وشاهد نهر النيل ولم يعرف اسمه. قارنه بنهر شط العرب فأحس بأن نهر شط العرب أكثر سعة من النهر الذي شاهده على الشاشة. ظن في بعض الأحيان أنه نائم وأن ما يراه ليس سوى حلم جميل. مد يده ليتحسس فيما إذا كان سوادي جالساً إلى جانبه. لم يكن يريد الالتفات نحو سوادي حتى لا يخسر المشاهدة. تحسس كتفه فحسب، فشعر بالاطمئنان وتأكد أنه موجود في الواقع لكنه في هذا المكان الذي يسمونه السينما والذي لم يعرفه من قبل.

وكمن استفاق من حلم جميل، تحدث بامتنان مع سوادي وهما في الطريق نحو حارة الخندك.

- أخي سوادي أشكرك على الدعوة. فيلم، كأنه قصة من صدق. أيباه. شلون أقنع أمي حتى تجي تشوف الفيلم. بس مو بأيام عاشوراء. أقول لك، خلال أيام محرم في عاشوراء، هل يعرضون الأفلام؟

أجاب سوادي:

- يعرضون أفلام نعم، لكن كلها أفلام دينيه واجتماعية عدا يوم عشرة محرم تعطل السينمات. أقول غانم توجد امرأة معينة براسك تتزوجها؟
- أمي. أمي تبحث لي على امرأة.
- ليش أمك راح تتزوجها لو أنت؟
- أمي.. أمي أحسن. تدخل بالبيوت وتعرف الحلوة من اللي موحلوة. وتعطيني أوصافها. ويجوز تدعو أمها عدنا بالبيت وتجيبها وياها وأسلم عليهم وأشوفها.
- إنت شايف البنات اللي يغسلن الصحون والملابس بنهر الرباط؟ كل واحدة تفك المصلوب من حبل المشنقة. روح إلى نهر الرباط بالبستان سوي نفسك تجمع تمر. انظر وتمعن. راح تشوف الله سبحانه أيش خالق من الجمال واليخلق أجمل. جمالهن شي أعجوبة.
- لا، أنا ما أروح للبستان. أخاف يقولون عني صار مجنون مثل سيد صمد لأن يومية سيد صمد المجنون يروح للبستان وياكل تمر وينزل بالنهر ويروح. أخاف يقولون عني مجنون.
- وأنت ليش تنزل بالنهر؟! روح أجمع تمر وبصبص من جوه ليجوه. وحدد اللي تريدها وإخبر أمك عنها. هذي الشغله ما تحتاج عبقرية. إذا تستحي، نروح أنا وياك.

وجهاً لوجوه

يسير سوادي إلى جانب غانم يأخذان بعض الرطب المتساقط. يمسحان الرطب بإيديهما ويأكلان.

كانت الفتيات في الجهة المقابلة للبستان يغسلن الملابس والصحون. غانم سأل سوادي:

- شوف لي أي وحدة أحلى يرحم والديك؟ أريد تجيب أمي تشوفها حتى نخطبها!

- ليش جبتني؟ ليش ما أجيت وحدك؟ حتى يعرفن من الذي يريد أن يتزوج!

- وحدي أستحي. خلينا نعمل نفسنا نمشي. نروح ونجي. وأنت شوف زين.

غانم وسوادي يمشيان جيئة وذهاباً ويتطلعان للفتيات.

الفتيات يضحكن بهدوء ويتحدثن بهمس.

الفتاة ٣:

- مبين هذا غانم ناوي عليها.

الفتاة ٢:

- بس شغلته ما أعرف شلونها. يكوي ملابس!

الفتاة ١:

- شكو بيها. أنتي تغسلين الملابس وهو يكويها!

الفتاة ٢:

- لسه يكوي علىٰ الجمر. الكهرباء دخلت بالبيوت. والمكاوي الكهربائية وصلت للبصرة. وبعد من يرسل ملابسه للكوي. كوي في البيوت علىٰ الكهرباء.

الفتاة ١:

- يغير شغلته. يترك الكوي ويصير يبيع سكر وشاي. يبيع خضرة. أهل الخندك شاطرين لا تخافين عليهم.

الفتاة ٣:

- هناك فرق بين ما يقولون فلانه تزوجت أوتجي وبين ما يقولون فلانه تزوجت معلم.

لا يزال غانم وسوادي يمشيان في البستان. يتحاوران.

- شوف زين؟
- شفتهن.
- أي واحدة الأحلىٰ.
- اللي علىٰ يمينك.
- أي واحدة علىٰ يميني؟ التي من هذه الجهة؟
- لا، من الجبهة الثانية.

سوادي يدير ظهره للصبايا ويمسك غانم في مواجهته. ويقول له:

- وين يدك اليمين؟
- هذه هي اليمين!

- التي مقابل يدك اليمنى. نمشى رايحين جايين وإعرفها زين. بدون خطأ. حتى من تجيب أمك تعرفها. يجوز تغير مكانها وتجلس بالجهة الثانية. انتبه.

الفتيات يرقبن حركات غانم وسوادي. تتساءل الفتاة الأولى.

الفتاة ١:

- هؤلاء يمكن جايين يطوشون تمر.

الفتاة ٢:

- غشيمه! جايين يطوشون نسوان!

سوادي وغانم يروحون ويجيئون لمسافة قصيرة متظاهرين المشي حينا وجمع الرطب المتساقط حينا آخر، فيما صوت العصافير في البستان تتداخل مع أصوات اليمام.

الفتيات ينظرن بإتجاه غانم وسوادي يتطلعن لبعضهن ويضحكن. يتحاورن بصوت منخفض.

الفتاة ١:

- غانم يلبس دشداشة. الآن لابس بنطرون!

الفتاة ٢:

- أفندي.. هو ما داخل مدرسة!

الفتاة ٣:

- ومن لبس البنطرون يتصور نفسه صار معلم! ما يعبر علينا قرش مغشوش!

فيما سوادي وغانم يروحان ويجيئان. يقول سوادي:

- ما هي الخطوة القادمة. راح ترسل خطابة؟

- أول مرة أكمل الفلوس. أنا فتحت حساب توفير بالبنك. أنت مثل أخوي الله يشهد. جمعت إلى الآن خمسة وتسعين دينار. من يصير رصيدي ميتين دينار، أجيب أمي وتشوفها. وهي راح تعرفها.
- شوفها زين حتى لا تغلط. مثل ما قلت لك يجوز من تجيب أمك تكون هي جالسة بالوسط، أو على أيدك اليسرى. لا تغلط. انتبه هن ثلاثتهن سمر. وثلاثتهن عمرهن قريب الثلاثين. وثلاثتهن لابسات عباءات. وثلاثتهن لابسات شيلة. وثلاثتهن حلوات، فإنتبه.

الفتيات يضحكن بهدوء. يتهامسن. يضحكن. أحداهن تضرب صاحبتها مازحة على وجهها لأنها أسمعتها شيئا يثير الإحراج. الثانية تنقل ما قالته الأولى للثانية بوشوشة. الثالثة تضربها على رأسها مازحة. الأولى ترمي رذاذ الماء على الثانية. الثانية ترمي برذاذ الماء على الثالثة.

سوادي وغانم يقفان قرب نخلة. غانم يقول:

- لو أعرف اسمها؟
- تريد أسألهن عن أسمائهن؟
- لا أخي سوادي أرجوك. لا تصير مشكلة.
- أنا راح أجيب أسمها.
- بدون أن يعرف أحد!

يتظاهران بجمع التمر المتساقط. يتناولان التمر ويأكلان.

يصفو الماء المختلط. تبدو صورة الفتيات الثلاثة في الماء.. جميلات. يبتسمن. خرجت صور الصبايا الثلاث من الماء عندما غادرن المكان.

موطنـــي

حسيو.. والمعلمون

صعد هلال على صندوق صغير في سطح بيتهم الجديد الملاصق للمدرسة وقفز إلى سطح المدرسة حيث الصفوف والبالكونة. شعر بأن في يده تراب من السياج الطيني الجاف. خاف من عقاب المعلم غني الديراوي فمسح يده في بنطاله ثم مسح بنطاله. عدل هيئته ونزل السلم.

في ساحة مدرسة عتبة بن غزوان الإبتدائية. الطلاب في داخل الساحة والمعلم غني الديراوي يمشي بينهم مختالاً وبيده عصا وهو يتطلع في وجوههم. الجميع خائفون منه لا يجرؤ أحد أن ينظر في عينيه. توجه نحو هلال وقال له.

- هلال، تعال هنا!
- نعم أستاذ سلام عليكم!
- إنت كيف دخلت المدرسة. أنا كنت أراقب كل الطلاب وغلقت باب المدرسة بإيدي وأنت ما دخلت المدرسة. خبرني كيف دخلت المدرسة؟
- إستاذ معقول ما شفتني!؟ دخلت المدرسة وسلمت عليك. قلت لك صباح الخير أستاذ وأنت ما جاوبتني!
- لا دخلت ولا سلمت علي.
- معقولة أستاذ ما شفتني؟! مو قلت لك صباح الخير. أكيد أستاذ بالك كان مشغول.
- هلال أنت عفريت. أنت ما دخلت المدرسة اليوم مع الطلاب.
- أنا من دخلت أنت بالصدفة تكلمت مع المدير ويمكن ما شفتني.
- المدير كان بغرفته وما طلع اليوم.

- يعني شلون دخلت أستاذ. قابل نزلت في برشوت من الطيارة؟ دخلت من الباب وقلت لك صباح الخير وأنت إلتفتت ما أعرف ويامن تكلمت أو ما أعرف يمكن أنت ما إنتبهت. قلت لك صباح الخير أستاذ.

رن ناقوس المدرسة إيذاناً ببدء الإصطفاف. هرع الطلبة للإصطفاف بسرعة وكلهم خائفون من المعلم غني الديراوي لقسوته.

وقف المعلم غني الديرواي وهو ينظم الإصطفاف وبيده أكثر من قلم رصاص.

- إستعد. إسترح. إستعد إسترح. إستعد. مدوا أيدكم للأمام للتفتيش.

تحرك المعلم غني الديراوي ينظر إلى أظافر الطلبة وقد وقف هلال إلى جانب حسيو توقف المعلم عند هلال تمعن في أظافره جيداً فوجدها مقروضة. قال له:

- أقلب إيدك.

قلب هلال كفيه. قال له المعلم غني:

- أيدك فيها تراب.

- الدفاتر عليها غبار أستاذ. سامحني. اليوم أمسحها.

- ولك يا شيطان والله ما شفتك دخلت للمدرسة من الباب.

تمعن المعلم غني الديراوي في وجهه جيداً. أغمض هلال عينيه. تحرك المعلم نحو حسيو

قال المعلم غني الديراوي مخاطباً حسيو الذي صار يرتجف:

- ليش أظافرك طويلة؟

- إستاذ. أمي طلبوا الجيران منها المقص على أساس يرجعوه. وما رجعوه. رحت وطرقت الباب على الجيران وما موجودين طالعين خطار ضيوف. رحت للجيران الثانيين ما عندهم مقص. والله العظيم أستاذ ما أكذب.

انتبه المعلم غني الديراوي إلى سروال حسيو الأسود وعليه رقعة بيضاء صغيرة. قال له:

- وكم مرة قلت لك ما يصير تجي باللباس الداخلي. ينبغي أن يكون عندك سروال قصير. ثم لباسك أسود ليش مرتقه برقعة بيضا.
- أستاذ والله العظيم ما عدنا. أحنا فقراء. قلت لك ذاك الأسبوع أن أبي متوفي وأمي تبيع حمص لبلبي وبس يصير عدنا فلوس، أمي تشتري لي بنطلون قصير. والبارحة انفتق اللباس مالي وما عدنا قطعة سودا. فرقعته أمي بقطعة بيضا. استاذ سامحني لا تضربني والله ما بيه حيل. أنا مريض أستاذ.
- تعال أطلع من الاصطفاف.

خرج حسيو من الإصطفاف. وضع المعلم غني الديراوي قلمي رصاص بين أصابعه وضغط على كفه بقوة. صار حسيو يصرخ. الطلاب مرعوبون. ينظرون بخوف. وصل مدير المدرسة. وقال للمعلم غني الديراوي:

- أستاذ غني آذيت الطفل.. لا تقسو كثيراً.
- ما يتعلمون وما يمشون صحيح بدون العين الحمرا. الرخاوة ما تنفع أستاذ.

أخذ المدير زمام مبادرة الإصطفاف. قال لـ حسيو:

- يله حسيو أرجع إلى مكانك. تفضل أستاذ غني قريهم النشيد.

صاح المعلم غني الديراوي:

- جميع الطلاب نشيد موطني.. أبدأ.

الطلاب بين الخوف ونشيج حسيو الذي يضع البصاق على أصابعه كي تبرد قليلاً وهو ينشد معهم.

- موطني موطني... الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك.. في رباك.
- والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك في هواك
- هل أراك هل أراك
- سالماً منعما وغانماً مكرما
- هل أراك في علاك
- تبلغ السماك تبلغ السماك
- موطني موطني.
- موطني موطني.
- الشباب لن يكل همه أن تستقل أو يبيد
- نستقي من الردى ولن نكون للعدا كالعبيد كالعبيد
- لا نريد لا نريد
- ذلنا المؤبدا وعيشنا المنكدا
- لا نريد بل نعيد
- مجدنا التليد مجدنا التليد
- موطني موطني
- موطني موطني
- الحسام واليراع لا الكلام والنزاع

- رمزنا رمزنا
- مجدنا وعهدنا وواجب من الوفا
- يهزنا يهزنا
- عزنا عزنا
- غاية تشـرف وراية ترفرف
- يا هناك في علاك
- قاهراً عداك قاهراً عداك
- موطني موطني

المعلم غني الديراوي ينظر بعينين حمراوين نحو الطلاب ويؤشـر لهـم مثـل قائـد الأوركسترا ومدير المدرسة ينظر للعلم، والعلم يرفرف فوق سماء المدرسـة وأحيانـاً المدير يمشـي مستعرضاً الطلبة وحسـيو ينشد وينشـج ويبكـي وثمـة طالـب ينشـد ويرتجف خوفاً. وآخر نسى كلمات النشـيد فيلكزه صاحبه أن ينشد والعلم يرفرف.

انتهت تلاوة النشـيد فأطلق المعلم إيعازه.

- إلى اليسار در. إلى الصفوف سـر.

بإنتظام ذهب الطلاب إلى الصفوف.

وقف إبراهيم نعُوم معلم اللغة الإنكليزية أثنـاء الـدرس يلقـن الطـلاب أسـئلة الإمتحان.

- كل واحد منكم يفتح دفتر الامتحان. أكتبوا الأسئلة.

أكتب باللغة الإنكليزية الكلمات التالية.

خروف.. خاروف

شمس.. شامس

علم.. علم

معلم.. موعاليم

سلحفاة.. سولحافاة

شـرطي.. شورطي

رز... روز يعني تمن

خبز.. خوبز.

بقرة.. باقاره

حليب.. حالييب

تململ الطلاب. بدأ بعضهم بالكتابة. بعضهم كتب الكلمات التـي يعرفهـا. قـال لهم المعلم نعُوم.

- الغش بالحياة مبدأ غلط. مو بس بالأمتحان وبالمدرسة. الغش حرام في الدين. أولادي من غشنا ليس منا. لا أحد يتكلم مع صاحبه. اللي يتكلم يترك الصف وياخذ صفر بالإمتحان. مفهوم. عندكم ربع ساعة للإجابة.

أحد الطلاب. كتب كلمة شمس ومعلم وخبز وبدأ يفكر.

طالب آخر كتب بقرة وشـرطي.

حسـيو وهو لا يزال ينشج ويبلل أصابعه باللعاب من شدة الوجـع، كتـب خبـز وبقرة وعلم ومعلم ورز وشمس وحليب وسلحفاة.

طالب لكز الذي أمامه بقدمه وسأله:

- كيف نكتب سلحفاة بالإنكليزي؟

طالب آخر لكز بقدمه الذي أمامه.

الطالب هامساً:

- سلحفاة سولحافاة.

طالب إتكأ ليقترب من الذي خلفه ولفظ متسائلاً.

الطالب:

- سلحفاة.. سولحاااااافاااااااة.

الطالب الآخر:

- ما أعرف..

الطالب:

- تعرف.. إذا ما تقول لي من نطلع أضربك.

الطالب الآخر:

- والقرآن ما أعرف.

الطالب:

- خليني أشوف دفترك

الطالب الآخر يسحب دفتره ويمرره من تحت الطاولة. يأخذه الطالب الآخر وينظر للإجابات ويرئ أمام كلمة سلحفاة فارغة. ويعيد له الدفتر. بعد أن يستعيد الطالب دفتره يكتب الطالب كلمة سلحفاة بالإنكليزية أمام كلمة سلحفاة.

توقف حسيو بعد أن كتب كل الكلمات بشكل صحيح. كان يكتب ودموعه تنساب بين الحين والآخر وهو يعصر بأصابعه من شدة الألم.

هلال كتب بسرعة كل الكلمات بالإنكليزية.

الطالب الذي يجلس خلف هلال سأله همساً.

الطالب:

- هلال.. هلال.. هلالالالالالالالالالال. إتكئ على الرحلة حتى تسمعني.

هلال الذي إتكأ مقترباً من الطالب الذي سأله.

- شلون تكتب حليب بالإنكليزي؟ Mlik أم أل آي كي أو Milk أم آي أل كي؟

- ما أعرف.

- شلون ما تعرف؟ معقول ما تعرف؟

- أقول لك، ما أعرف.

- شلون ما تعرف. بالدكان مال أبوك مو تبيعون حليب نستله. مكتوب حليب بالإنكليزي على العلبة ميلك شلون مكتوب؟

- آي.

- الآي قبل الأل لو بعدها؟

- قبل الأل.

- يعني بعد الأم.

- أي بعد الأم.

- يقول ما أعرف. والله لو ما خبرتني جان عرفت شسويت بيك بعد الدرس!

انتبه معلم اللغة الإنكليزية وصاح:

- أسمع كلام.. اليغش يترك الصف وياخذ صفر.

لكز الطالب الأول ثانية الطالب الذي أمامه بالقلم وسأله:

- سلحفاة.. سولحافاة؟

- لا يروح يطلعنه من الصف وناخذ صفر.

- المعلم سمعه ضعيف مثل الأطرش ما يسمع زين. لا تخاف.

سحب الطالب دفتره وأعطاه لصاحبه من تحت الرحلة. أخذ الدفتر ونقل كلمة سلحفاة بالإنكليزية، وأعاد له الدفتر.

سأل طالب آخر صاحبه:

- سلحفاة.. سولحافاأأأأأأأة؟

صاح المعلم:

- أنتهى الوقت. إجمعوا الدفاتر. كل واحد يخلي دفتر الامتحان على طاولتي. بسرعة.

قال هلال:

- أستاذ، انا عندي سؤال.

- تفضل أبني هلال

- سؤالي أستاذ أنتو ليش ما تعلمونه الإنكليزي من الصف الأول مو من الصف السادس. مو بس إنكليزي علمونه أسباني ألماني فرنسي صيني. حتى نعرف اللي يصير بالعالم. لأن واحد وهو صغير يتعلم بسرعة. كلما يكبر الأنسان

يصير صعب يتعلم. وأنتو تمتحنونا ويجوز واحد يخاف فيصير يغش. لأن اللي يرسب بالامتحان يخاف مو بس من أهله. يخاف من نفسه.

قال المعلم:

- جيبوا دفاتركم بسرعة. وأنت هلال لا تطلع أبقى بالصف.

نهض الطلبة ووضعوا الدفاتر الواحد بعد الآخر وغادروا الصف. قال المعلم لهلال:

- تعال أبني هلال اجلس على الرحلة هنا.

أشار المعلم إلى الرحلة في الصف الأول. جلس هلال على الرحلة الأولى. قال له المعلم:

- إبني منو علمك هذا الكلام؟
- أستاذ، أنا بعد المدرسة، أروح أقرأ بالمكتبة العامة.
- عافرم.
- أستاذ، هذي عافرم كلمة مو عربية.
- صحيح أبني. هذي كلمة تركية. بارك الله فيك. تفضل أبني.

نهض هلال وغادر الصف. عند الباب ناداه المعلم قائلاً:

- هلال، أريد أسألك. أنت ما غشيت بالامتحان؟
- الصحيح أستاذ. الطالب اللي يجلس خلفي سألني شلون نكتب كلمة حليب. وعلمته.
- ليش علمته؟
- إذا ما أعلمه. يضربني بالفرصة وخفت. الخوف أستاذ يخلي الواحد يغش.

- تفضل أبني روح.
- أستاذ، أرجوك ما تنقص درجتي؟
- لا.

خرج هلال أغلق الباب بهدوء. ابتسم المعلم ثم اغرورقت عيناه بالدموع.

الحفل السنوي للمدرسة

وقف مجيد الأعور عند أول جسر نهر الخندك وهو يصغي لقارئ القرآن الأعمى الذي يشحذ من المارة عند أول الجسر.

﴿رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

وصل سوادي ليعبر الجسر وهو يلبس الغترة والعقال. فيرى مجيد وهو جالس مقابل الشحاذ. قال سوادي لمجيد الأعور.

- شكو عندك واقف هنا؟
- اسمع قرآن.
- أمشي وياي.
- أسكت.. خل يخلص قراية القرآن.

قارئ القرآن ينهي قراءته بالقول صدق الله العظيم

- يله أمشي إنتهى مهاوي من سورة يوسف
- أنتظر نسمع نشرة الأخبار

- يا نشـرة أخبار

- بعد القرآن يقرأون نشـرة الأخبار

- بالراديو مو هنا.. تريد هذا المسكين يقرأ نشـرة الأخبار

- لحظة خل ننطيه فلوس.. ما يقرا بلاش!

توجه مجيد نحو مهاوي وأعطاه عشـرة فلوس وقال له

- أخذ عمي مهاوي هاي عشـر فلوس مو تضيعها. مرة ثانية بعد ما تقرا القرآن إقرا نشـرة الأخبار مثل الراديو

ضحك مهاوي..

- مجيًد هذي النكتة مالتك جدا قوية، لكنهـا فكـرة ممتـازة.. عسـى يـوفقني الله فأصبح مذيع..

غادر سوادي ومجيًد المكان وسأله مجيًد..

- أشوفك مهندم اليوم.. خير؟

- اليوم الحفلة السنوية لمدرسة عتبه بن غزوان.. مدرستنا.

في الساحة الصغيرة أمام مدرسة عتبة بن غزوان الإبتدائية في حارة الخندك حيـث تقيم المدرسة حفلاً سنوياً خطابياً ومسـرحياً، تجمع أهالي الحارة من الآباء والأمهات تمهيدا لدخول الحفل. وقفت أمام المدرسة ليلى الخطيبة المتوقعة لنـديم. وقـف سـتار مع الحاج أبو محمد. حليمة تقف مع زوجة أبو محمد. الصبايا الثلاث اللواتي يغسـلن الصحون والملابس عند ضفة نهر الرباط وقفن يرقبن ويترقبن. هلال يلـبس بنطـالا قصيراً وقميصاً أبيض اللون ويقف قرب غانم الأوتجي. وصـل سـوادي مـع مجيـد. حماة الحارة صالح وعلاوي متواجدان.

أم سامي وهي أم هلال تقف مع بعض النسوة. خرج معلم من المدرسة ونادىٰ نديم وهلال أن يدخلا بإعتبارهما من شخصيات البرنامج، وخاطب الحاضرين قائلاً:

- أخواتي أخواني ربع ساعة وتتفضلون بالدخول. نديم وهلال تفضلوا.

الجميع عيونهم تتوجه نحو نديم وهلال اللذين دخلا المدرسة وأغلق المعلم الباب.

وصل سوادي ومعه مجيد. سلما علىٰ الحاضرين. يلاحظ الرجال في جانب والنساء في جانب آخر. ثمة أعيان الحارة يقفون قرب بعضهم وهم يتحدثون عن الواقع الإقتصادي. الشباب عيونهم شاخصة نحو الصبايا. النسوة بالعباءات العراقية. سوادي توجه نحو الحاج سلمان الذي يساعده وأمه في العيش. سلم عليه.

- سلام عليكم عمي الحاج.
- وعليكم السلام سوادي. شلونك شلون الوالدة؟
- بخير ألف الحمد لله بصاية الله وصايتك إحنا بخير.
- أستأذن عمي أبو داود.
- هله بيك سوادي هله بيك.

عاد سوادي إلىٰ حيث يقف مجيد. قال له مجيد:

- خوش آدمي الحاج سلمان كلش خوش آدمي.
- الله يكثر من أمثاله. بصراحة لو ما هو صعب نعيش أنا وأمي.

انتبه سوادي فجأة لملابس مجيد وقال له:

- ولك أنت المفروض تلبس ملابس مال حفلة. أي هي هذي ملابسك ما

عندك غيرها. نفس البنطلون ونفس القميص من قال وبلى.

- أنا وين أعرف يا سوادي. ويـن أعـرف بالحفلـة. أنـا جنـت أسـتمع للقـرآن بالجسـر وأنت جبتني.

- إسمع. بيتنا قريب أمشـي أمشـي وياي إستر حالك ألـبس لـك عبايـة فـوق هذي الملابس وخليلك شـي على راسك غترة وعقال. أمشـي.

وصل سوادي البيت ومعه مجيد ودخلا الدار. صاح مجيد:

- سلام عليكم أم سوادي. مساج الله بالخير.

- أدخل أدخل سلام وعليكم! ليش أمـي كاعـدة بالبيـت واليـوم الحفلـة مـال المدرسة. ما شفتها شلون مهندمة وواكفه مع السـيدات.

لبس مجيد العباءة فوق ملابسه ثم وضع الغـترة والعقـال عـلى رأسـه. جلـب لـه سوداي قطعة مرآة مكسورة. تطلع مجيًد بالمرآة وعلق قائلا:

- أكابر.

- أكابر والله أكابر. هسه ينطلع بيـك. يلـه أمشـي حتـى نلحـك عـلى الحفـل. أمشـي.

شنو يله أمشـي. أنا أمشـي وأنت تمشـي وراي.

خرج مجيًد وأغلق سوادي الباب.

بدأ الناس بالدخول. الأكابر أبناء الحارة أولاً ثم الرجـال الآخـرون وبعـد ذلـك دخلت النسوة ثم الشباب. وصل سوادي ومجيد. وقفا إلى جانب غانم الأوتجي.

مجيد بعباءته وهيأته الجديدة بالعباءة والعقال بدا مختلفاً وإلى جانبه سـوادي وهمـا يقفان بكل إتزان إحتراماً للمناسبة فهما بقدر عبثيتهما وطريقتهما الساخرة من الواقـع

إلا أنهما يقفان إزاء الواقع الإجتماعي موقف الإحترام.

بعد أن دخل جميع المنتظرين وقف مجيد وسوادي بعيداً وبدءا بالتحرك نحو بـاب المدرسة. جاء عبد النبي متأخراً. نظر إلى مجيد وقال له:

- هذا مجيًّد. ما معقوله. أبهة.
- يصلح عضو بالبرلمان؟!
- طبعاً يصلح. هكذا برلمان يحتاج هكذا نواب.
- يله دخلوا تره تأخرنا عن الحفل.

دخلوا المدرسة بهدوء وجلسوا في الصف الأخير.

جلس أعيان الحارة في الصفوف الأمامية، ومعهم مدير المدرسة وطاقم التدريس، وجلس الآخرون في الصفوف الخلفية، فيما جلسـت النسـوة في الطـابق الثـاني. بـين النسوة تزهو حليمة بجمالها وإلى جانبها فتيات النهر الثلاث وليلى المتوقـع خطوبتهـا لنديم وتجلس على مسافة منهن أم هلال.. وفي الطـابق الأرضي الآبـاء، وبيـنهم أبـو سامي وسامي.

خرج نديم من فتحة الستارة ليعلن عن كلمة المدرسة:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها السـيدات والسـادة. كلمـة الهيئـة التدريسـية كتبها معلم اللغة العربية الأستاذ محمد عبد الوهاب. يلقيها الطالب هلال عبد الكريم.

خرج من فتحة الستارة الطالب هلال عبد الكريم وبدأ بإلقاء كلمته

هلال:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

- أيها الحفل الكريم.
- السلام عليكم.
- تحتفل مدرستنا مدرسة عتبة بن غزوان بذكرى ميلاد الرسول محمد«ﷺ».
- علينا أيها الآباء ويا أيتها الأمهات أن نتخذ من هذه المناسبة مثالاً للعلم والمعرفة والتقدم في الحياة، متخذين من نبينا محمد«ﷺ» مناراً نستنير به في حياتنا وندعو الآباء والآمهات كي يتعاونوا مع المدرسة في العمل على نهضة المجتمع وأن لا يهملوا التعاون في توجيه أبنائهم نحو هذه المهمة الوطنية الكبيرة.
- أيها الآباء ويا أيتها الأمهات. أناديكم راجياً أن تعيروا إلي آذاناً صاغية وقلوباً واعية لأقول لكم.
- من منكم أيها الآباء حل في المدرسة طفلا يسأل عن إبنه؟ ومن منكن أيتها الأمهات طلبت من ابنها السعي ومنعته عن الخروج. كونوا أيها الآباء ويا أيتها الآمهات مرتبطين والمدرسة لتشاركوا في خلق جيل صالح للوطن العزيز.

هب التصفيق في الصالة وواصل هلال كلمة الهيئة التدريسية.

خلال الكلمة التي ألقاها هلال ثمة حوارات.

الحوار الأول بين الصبايا الثلاث اللواتي يذهبن إلى نهر الرباط بإستمرار.

الصبية ١:

- شوفي. شوفي ليلى زين تكولين خشمها جبير. مفصل تفصال على وجهها.

الصبية ٢:

- إلمن مخطوبة؟

الصبية ٣:

- ولج مو دغيتج من طلع علىٰ المسرح يتكلم. هذا اللي لابس بنطلون أسود وقميص أزرق. نديم. لعد علويش دغيتج. غير حتىٰ تشوفينه.

صبية ١:

- بصراحة أحلىٰ منها. يخبل!

صبية ٢:

- وهي هم تخبل. شنو الينقصها. شوفيها خشمها جاي مفصل تفصال علىٰ وجهها. الله يوفقهم. يستاهلون واحد للثاني. أه..

صبية ١:

- الحسرة العدوج. ليش تحسرتي؟؟

صبية ٢:

- ما عدنا نصيب!

صبية ١:

- يجي. النصيب يجي بدون ما تدرين.

صبية ٢:

- وينه؟! وينه النصيب. ما عنده رقم تلفون؟

صبية ١:

- لو النصيب عنده تلفون جان خابرته، ليش أنطيج رقمه.

في مكان آخر من الحفل. جلست ليلى وأمها إلى جانبها وإلى جانب ليلى حليمه وإلى جانب أم ليلى أم هلال وأخته سامية.

على المسرح هلال يختتم كلمته قائلاً.

هلال:

- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دخل هلال المسرح وظهر نديم عريف الحفل وقال.نديم:

- والآن نقدم لكم مسرحية الحلاق الظريف من أداء فرقة عتبة بن غزوان المسرحية.

صبية ٣:

- هو هذا خطيب ليلى. فدوه رحتله. يخبل.

إنسحب نديم وإختفى من خلال فتحة ستارة المسرح.

ليلى تشعر بالفخر.

أطرت أم ليلى على هلال في كلمته فقالت لأمه:

- يا أم سامي، ما شاء الله هلال. الله يبعد عنه عيون الحاسدين. ما شاء الله أبنج يرفع الراس.

- يطول لي عمرج أم ليلى.

في جانب آخر حيث يجلس سوادي إلى جانب مجيد. مجيد يقول لسوادي:

- هذا هلال شلون يفتهم. منين جايب ها الفهم. يومية نشوفه يم غانم الأوتجي ولا نهتم بيه.

فُتحت الستارة وعرضت مسرحية الوفاء بالوعد وهي مسرحية تاريخية وبعدها قدمت مسرحية كوميدية لنشاهد حلاقاً يحلق ذقن الزبون. وكلما إلتفت الحلاق أكل الزبون الصابون الذي على وجهه. وعندما يلتفت الحلاق ولا يرى الصابون يغرق الجمهور بالضحك. مجيد يغرق بالضحك ويظل يضحك ويضحك..

سوادي يضحك ليس بسبب المسرحية أو الزبون الذي يأكل الصابون ولكنه يضحك بسبب مواصلة مجيد الضحك..

هلال الذي وقف خلف الكواليس يسمع مصمم المناظر وهو يقول لزميله. حضر اللبن المساعد غرف من اللبن وأعطاه للحلاق.

ضحك هلال وهو خلف الكواليس وبدأ يتعرف على لعبة المسرح

صرخ الحلاق وهو يشاهد الزبون يأكل الصابون. صاح فيه له.

الحلاق:

- إنت اللي خلصت الصابون مالي.. ها؟!

بدأ الحلاق بضرب الزبون ثم دلق الماء على رأسه والجمهور غارق بالضحك.

مجيًد غارق بالضحك أكثر. قال سوادي:

- هاي شلون ياكل الصابون؟

أسدلت الستارة. قال مجيد:

والله المسرح حلو أخويا سوادي. أشكرك. زين سويت جبتني.

ظهر نديم على المسرح وأعلن نهاية الحفل قائلا:

- وهكذا سيداتي سادتي أيها الآباء وأيتها الأمهات. نأتي إلى نهاية حفل هذه الليلة وكل عام وأنتم بخير.

صبية ١:

- آه... يخبل!

صبية ٣:

- تعرفين منو أحله وحدة بالحفل. صراحة صراحة. حليمة! سبحان الله الخالقها والخالق أحسن منها.

مسرح الصريفة!

في اليوم التالي وفي باحة بيت شعبي بنيت فيه أكثر من صريفة. قالت الأم لإبنتها:

- يله بنتي روحي جيبي إلنه كيلو طماطه قبل ما ينسد السوق.
- عبايتي ما موجودة.
- إلبسي عبايتي.

دخلت الإبنة الصريفة. خاطبت الأم قائلة:

- ما موجودة!
- رميتها على السرير. شوفيها فوق الفراش.

تعود الأبنة وتقول:

- ما موجودة
- أخذي عباية أختج.
- هم دورتها وما لكيتها.

- معناها موجودة سرقة بالبيت. صدق يمكن مسروقين. لأن قبل شوية فتحت صندوق الثلج. وأكو طاسة لبن بالصندوق. ما موجودة. يا غفور يا عليم. متأكدة كل العبايات ما موجودة؟

- ولا عباية؟

- متأكدة؟

- طبعاً متأكدة.

- أسمع هوسة بالصريفة مال الدجاج.

- الأولاد يلعبون بالصريفة.

توجهت الأم نحو الصريفة ولحقت بها إبنتها. كمية من الدجاج في أقفاصها وثمة لغط أطفال. وصلت الأم إلى مدخل الصريفة – الباب وهو مغلق قليلا. دخلت الأم وإبنتها وتوقف لغط الأولاد فيما كانوا يضحكون.. حوالي عشرة صبية داخل الصريفة. شاهدت الأم العباءات معلقة على حبل بين طرفي الصريفة. أخذت العباءات وكذا إبنتها أخذت عباءتها، فأنكشف المسرح عن هلال عبد الكريم وإبنها وشخص ثالث. ابنها قد وضع اللبن على وجهه وهلال يمثل دور الحلاق والصبي ممثل دور مساعد الحلاق بشبه مشهد المسرحية في المدرسة. سألت الأم أبنها.

- هاي شتسوون.. أنت اللي أخذت العبايات؟

- نمثل مسرحية.

- شنو يعني مسرحية؟

إنتهبت الأم إلى صحن اللبن وسألت أبنها

- وهذا اللبن أنت أخذته من صندوق الثللج؟

- أي.. أنا أخذته.

- عزا العزاك يا مصخم.. وأنت هلال ما شاء الله أكبر منهم والعاقل.. وأنتو أولادي روحوا لبيوتكم.

نهض الأولاد المشاهدون وترددوا في المغادرة.. قال أحدهم:

- خاله إحنا دفعنا فلوس كل واحد فلسين حتى نشوف المسرحية.

- يا مسرحية؟

- هذي المسرحية.. الحلاق الظريف.

قالت ألأم لأنبها الذي يلعب دور زبون الحلاق واللبن على وجهه على أساس رغوة الصابون.. سألته:

- وين فلوس الأولاد؟

- عند مغامس.

مد مغامس مساعد الحلاق يده إلى جيبه وأخرج العشرين فلسا وأعطاها للأم.. عدت الأم النقود. نظرت للأطفال العشرة وبدأت بإرجاع النقود لهم فلسين لكل شخص.. ثم وجهت كلامها إلى هلال..

- إنت هلال روح البيتكم وبعد لا تلفي هنا.. إفتهمت؟

إنسحب هلال كما المهزوم في معركة.. لحس ابنها اللبن من وجهه بشكل آلي.

شيوعيو الخندك

تلاوة قرآنية شيوعية!

في المقبرة، في غرفة كتب عليها حارس المقبرة للتمويه، جلس شخص وقد وضع جهاز مسجل وفيه تلاوة آيات قرآنية. حتى يخفي صوت طابعة الرونيو. يستعمل الحزبيون هذه الغرفة لطباعة بياناتهم السياسية ونشراتهم السرية. شخصان أحدهما يكتب على الآلة الطابعة وشخص آخر وهو شاكر يملي عليه ما كتبته لجنة الحارة الحزبية. وفي نهاية البيان أملى شاكر على كاتب الآلة الطابعة:

- ... ويا جماهير شعبنا المناضلة. إن الاستعمار يعتبركم بقرة حلوباً، فأحفظوا حليب أبقاركم لأطفالكم. عاشت جماهيرنا المناضلة والموت للاستعمار. الحزب الشيوعي العراقي منظمة حارة الخندك.

قال شاكر:

- وبعد ما تسحبها بالرونيو، تسلمها للرفيق عمران حتى يوزعها بالليل بالحارة وتخبره يرمي أكثر شي، قرب المدرسة، حتى المعلمين يقرأون البيان. ويرمي كمية قرب الجامع وكمية قرب الحسينية.

وغادر شاكر المكان. مر بين القبور ليلاً وبيده فانوس وهو ينشد مع نفسه:

- يا ظلام السجن خيِّم.. إننا نهوى الظلاما.

سمع صوت وقع أقدام. توقف ثم رفع الفانوس قليلاً فوضح الشخص القادم عمران الذي يلثغ بحرف الراء. وسأله فيما إذا أنجز طبع المنشورات؟

- ساعة زمان وتخلص. شلون معنوياتك؟ ما خايف؟

أجاب عمران:

- المناضل الحقيقي ما يخاف رفيق. الصبح تشوف النشرات بالمدارس والحسينيات والجوامع وبكل الطرقات. روحي فداء الحزب والعراق.

مشى عمران في ازقة حارة الخندك ليلاً وأخرج المنشورات من جيبه ثم أعادها خائفاً. تلفت يمنة ويسرة، ولم يجرؤ على رميها. وقف قرب مدرسة عتبة بن غزوان. حاول رمي منشور تردد وأتكأ على الجدار وتلفت. سحب منشور واحد ليرميه، فتوقف فجأة حين سمع صوتاً.

- سلام وعليكم عمران.

قفز عمران وأرتعد ثم تلفت نحو مصدر الصوت فشاهد الحارس الليلي. وقال:

- أهلاً عمي أبو حمزة مساكم الله بالخير.

- خيرك؟ أشو ترجف؟

- أي والله عمي أبو حمزة بعيد عنك حرارتي شوية مرتفعة.

- سلامتك. روح غلّي ماء وخليه يغلي زين وحط بيه بابونج وهرش دارسين وتغطى زين. الصبح إن شاء الله تصحه مثل العربيد. لا تخاف لا تخاف. إذا مريض ليش طالع بهذا الليل؟ أنا مضطر. هذي وظيفتي أنت ليش طالع بهذا الليل؟

- أنا ما طالع، بس أنا رجعت من العشار. رحت أشتريت دوا من الصيدلية. أشكرك عمي أبو حمزة راح أروح للبيت وأسوي بابونج.

- مع هرش دارسين ما تنسى.

- نعم هوش داوسين هرش دارسين لا عمي ما راح أنسى إن شاء الله. يطول عمرك عمي أبو حمزة لو ما أنت من اللي يحمينا من الحرامية؟!

- لا يوجد حرامية بالليل. الحرامية شغلهم بالنهار. سلامتك. سلامتك. روح لف راسك ونام.

- مع السلامة عمي أبو حمزة مع السلامة.

وقف عمران أمام بيت أم حسيو طرق الباب. وصاح:

- حسيو. حسيو

خرج حسيو قال له عمران:

- تعال حسيو عندي شغل معك.

ابتعدا قليلاً عن الباب، وتحت ضوء فانوس الشارع. قال عمران:

- حسيو عندي نشرات مرة ثانية أعطيك مئة فلس وإرميها قريب المدرسة والحسينية والجامع. وشوية نشرات بالشوارع.

- وليش ما ترميها إنت؟ ماذا مكتوب بالنشرات؟

- أنا يعرفوني. أنت محد يعرفك. هذي منشورات وطنية. الصبح من أشوفها بالشارع أنطيك مئة فلس.

- الدفع مقدماً. المرة الأولى اتفقنا على مئة فلس إعطيتني خمسين. أنا أريد أجمع شوية فلوس حتى أشتري بنطلون قصير. هلكت من معاقبة المعلم غني الديراوي أصابعي راح تتكسر من العقاب.

- خذ هذي مئة فلس، بس ترميها كلها. مو ترمي ورقتين ثلاثة والباقي بالزبالة. المرة السابقة حوالي مائة نشرة وجدوها بالزبالة.

سلمه عمران المنشورات بعد أن أعطاه المائة فلس، وغادر.

وقف حسيو قرب الجامع. إلتفت ورمي بعض الأوراق قرب باب الجامع.

رمى حسيو بعض النشرات في أحد الأزقة.

إلقى حسيو بنشرات أمام مدرسة عتبة بن غزوان. إمتدت يد رجل أمن نحو كتف حسيو ومسكه وأخذ منه النشرات.

جلس حسيو أمام مدير الأمن ووجهه مدمى. بكى حسيو وقال:

- عمران عبد موسى أعطاني مئة فلس وقال لي أرمي هذي الأوراق بالشوارع.

قال المسؤول الأمني مخاطباً رجل الأمن:

أخذه وخليه بالمعتقل وروحوا جيبوا هذا عمران عبد موسى

كان عمران عبد موسى يمشي مع شاكر رفيقه الحزبي وهو يحدثه عن الكيفية التي وزع فيها النشرات وكان يكذب عليه قائلاً.

- الأمن كانوا متوقعين توزيع منشورات. كانوا منتشرين بكل الحارة. حتى واحد منهم مسكني من كتفي بعد ما رميت كل النشرات. فتشني ما وجد عندي شي. تصور بالجامع دخلت بالجامع وخليت النشرات تحت السجاد. تحت كل سجادة أربع نشرات. طلعت طرف النشرة بحيث اللي يصلي يشوف ورقة طالع طرفها. نفس الشي بالحسينية. أما بالمدرسة، دخلت نشرات تحت الباب بصعوبة. ساحة المدرسة لو كنت الصبح تشوف الساحة كأنها مرسومة بالورق من كثر النشرات اللي صفطتها.
- الماشين باتجاهنا هم من الأمن. خفض صوتك. خلي نفترق.

فاجأتهم قوات الشرطة السرية. لم يتحدثوا مع شاكر لكنهم قالوا لـ عمران:

- سيد عمران تفضل معنا. عندنا سؤال وجواب معك.

انسحب شاكر وتسارع في مشيته.

في غرفة في بيت أم عبد الزهرة نام ولدها حسيو على الفراش، وآثار الجروح والكدمات على وجهه ويديه، وأمه تمسح له الدم وتعطيه ماءً وهو منهك. سمعت الأم طرقاً على الباب. خرجت.

هلال وإثنان من أصدقاء حسيو عند الباب عندما فتحت أم عبد الزهرة الباب ودموعها تنساب، رأت هلال يحمل كيساً فيه برتقال. قالت:

- هله بيكم يمه. مصيبة ودارت علي. ما بقى بيه شي. جابوه للبيت مكسر يا هلال. تفضلوا. يمه فدوه رحت الكم. يطول عماركم.

دخل أصدقاء حسيو إلى البيت والغرفة.

جلس هلال وزميلاه وهم ينظرون إلى حسيو المغمى عليه. قدم هلال كيس البرتقال. أم عبد الزهرة فتحت الكيس ووضعت البرتقال في صينية إلى جانبها. وقالت.

- حسيو إبني حسيو أجو أصحابك اليقرأون معاك بالمدرسة. إنهض يمه. جابوا لك برتقال. فدوه رحت إلك يمه. ما عندي أحد خاله. أبني الكبير عبد الزهرة يشتغل بالكويت. وأنا وحدي يمه.
- حسيو يا روحي وحياتي.. لو رحت من يبجي بمماتي
- ما بقت بيه روح خاله، ما بقت بيه روح. كسروه تكسر. ما أدري يا ظالم لعب براسه وخدعه حتى يرمي أوراق ضد الحكومة. الله لا يعطيهم العافية.
- حسيو ألك صورة بمنامي.. شراح أكول لأهلي وعمامي.
- حسيو كلمني يمه. إنهض شوف ربعك أجو يدعون لك بالشفا. تعرفون يمه هو مريض وما يتحمل. الله بلاه بمرض البلهارزيا والما يخافون الله ضاربينه ضرب ما بيه رحمه. الله لا يوفقهم الورطوه. ما يتحمل!

حسيو لا يجبب. كمن في غيبوبة. هلال يناديه:

- حسيو أخي حسيو.. حسيو.

- ها..

قالت الأم:

- يطول عمرك يا هلال هاي أول مرة يطلع صوته من سمع صوتك. يمه حسيو تشاهد قبل ما تجيك المنيُه لا سمح الله. تشاهد على سبيل الاحتياط.

- أشهد.. أن.. لا.. إله..

تلاشى صوت حسيو قالت الأم:

- يا ساتر يا رب.. بسم الله الرحمن الرحيم.

في وداع حسيو..

سار بضعة رجال يحملون نعش حسيو عندما وصلوا المقبرة. أمه تتقدم الجنازة وهي تضرب بكلتا يديها على صدرها وتبكي. بعض رجال يمشون مع النعش وعدد من زملائه الصبية في الصف بينهم هلال يسيرون بخشوع. يرددون:

- لا إله إلا الله..

وقفوا قرب القبر المعد للدفن. باشروا بالصلاة على النعش. أنزلوا النعش في القبر. شاهدوا عن قرب الغرفة التي يستعملها الشيوعيون وكراً لنشاطاتهم الحزبية داخل المقبرة. وفيما الجميع يهيلون التراب على نعش حسيو وصلت المقبرة سيارة شرطة مسلحة. وقفت قرب غرفة الشيوعيين التي يبثون منها الآيات القرآنية.

نزل الشـرطة بسـرعة وتوزع بعضهم قرب الغرفة شاهرين السلاح. وثمة ثلاثـة يركل أحدهم الباب بقدمة ودهموا الغرفة. صوت الشـرطة داخل الغرفة.

- لا تتحرك. محد يتحرك. أرفعوا أيديكم. أنزلوا للأرض. وجوهكم لـلأرض. حقراء. ما أحد يتكلم ولا حركة.

تسمع خرطشة سلاح. الصوت متواصل.

- شدوا عيونهم وخلـوا الكلبجـات بأيـديهم. أجمعـوا الأوراق والآلـة الكاتبـة والرونيو. توقف صوت المسجل الذي يبث الآيات القرآنية.

فيما الدفان يهيل التراب على القبر. وفيما أم حسـيو تبكـي، كـان بعـض الرجـال وبعض الطلبة ينظرون باتجاه المداهمة لغرفة حـارس المقـبرة. وينظـرون للأشـخاص المعتقلين والمشدودي العيون والمقيدين بالكلبجات.

الشـرطة تمسك بالمعتقلين ويدفعونهم في سـيارة. خرج مـن الغرفـة أحـد رجـال الأمن ومعه شـرطة وهم يحملون الآلة الكاتبة وآلة الطابعة الرونيو.

في باحة مركز شـرطة الخندك في بيت قديم مفتوحة باحته وفيه غرفة وهي معتقل يشاهد عمران عبد موسى بداخلها وهو مـدمى وقـد وقـف قـرب قضـبان المعتقـل ويرى بداخل المعتقل مجموعة من المجرمين. يأتي الشـرطة بثلاثة أشخاص. يفتحون باب المعتقل ويدخلونهم داخل المعتقل.

- يسقط نوري السعيد.

رفعت اللافتات في سوق المغايز، وسط السوق، ونهاية السوق. ارتفعت الأيادي بين الناس وسمعت الأصوات تصيح. فلتسقط حكومة نوري السعيد.

- تسقط تسقط تسقط.

في زقاق متفرع من السوق الذي مشت فيه المظاهرة. مشى عبد الله الجايجي وكان يرفع إحدى اللافتات في التظاهرة وقد طواها ووضعها تحت أبطه. كان رجل الأمـن

موحان الشـرطي السـري يسـير خلفه. اقترب منه. قال له:

- أسمع ولـك عبد الله لا تلتفت وابقىٰ تمشـي أمامي حتىٰ نصل إلىٰ مقر عملك. أنا موحان الشـرطي السـري تعرفني. أنا ماشـي وراك.

في نهاية الزقاق توقف عبد الله فتح صندوق صغير فيه عدة الشاي مـن البريمـوز وقطعة الصفيح وصينية بلاستيك وإسـتكانات الشـاي والسـكر والشـاي وبضـعة كراسـي صغيرة بدون مساند. قدم لـ موحان الشـرطي السـري كرسـي. جلـس موحان وجلس عبد الله قبالته. بدأ بتشغيل البريموز. وضع إبريق الشاي. وضع فيـه الشاي. قال له موحان:

- أسمع عبد الله أولاً إعطيني هذي اللافتة اللي طويتها.

أخذها منه. طواها جيداً. وضعها فوق كرسـيه. جلس عليها. سأله:

- ما هو الشعار المكتوب بيها؟
- فلتسقط حكومة نوري السعيد.
- يعني أنا الآن مسكتك بالجرم المشهود. الآن إذا آخذك معي للأمـن. نحيلـك محكمة وتروح سجن أقل شـي عشـر سنوات. وتعرف وين السـجن. سـجن نقرة السلمان بالصحراء وراء مدينة السماوة. إفهمت؟
- نعم سـيدي. إفهمت. الآن يخـدر الشـاي وتشـرب أحسـن إسـتكان شـاي بعمرك ما شـربت مثله.
- أنا ما راح آخذك للأمن. أريدك تتعاون معنا. أنت خليك بالحزب. ما نريـدك تترك الحزب. إفهمت.
- نعم إستاذ إفهمت. بس راح تشـرب شاي عمرك ما شـربت مثله.
- كم تربح من الشاي كل يوم؟
- مو سوا. مرة مئة فلس مرة مئة وخمسـين فلس بس راح تشـرب شاي عمـرك ما شـربت مثله.
- وما هو مستقبلك؟ تريد تسقط الباشا نوري السعيد.. ها؟ أنت أنت عبـد الله

الجايجي تريد تسقط نوري السعيد الباشا رئيس وزراء العراق وتستلم الحكم بمكانه؟ والله لو ما أحنا بالشارع كان ضربتك صفعة أخلي أذنك تؤن. ليش تريد تسقط نوري السعيد؟ شتحصل؟

- السكُّر غالي. على الأقل يرخص السكُّر. الشاي غالي. والله راح تشرب شاي عمرك ما شربت مثله.
- يعني تريدون تسوون ثورة حتى يرخص السكُّر! شوف تره مظاهرتكم ما بيها عشرين صعلوك. دخلتوا بسوق المغايز رفعتوا لافته في أول السوق ولافته في وسط السوق ولافته بآخر السوق حتى تقولون الجماهير طلعت مظاهرة كبيرة.
- إستاذ ليش ما ترخصون السكُّر والشاي؟
- ليش أنا وزير التجارة!؟
- لو ترخصون السكُّر والشاي أربح لي كم فلس زيادة وإفتح مقهى.
- إذا تريد تسوي قلاقل بالبلد حتى تفتح مقهى. إحنا نفتح لك مقهى سميها مثل ما تريد مقهى الغد السعيد مقهى الشعب. ما يهمنا. المهم جماعتك يجون يشربون عندك شاي ويجتمعون. وتمر علينا بالسر متى ما نريدك تجي في بيت أدلك عليه. وإذا حاولت تسوي حيص بيص، اللافتة عندي وبالجرم المشهود تروح معي وتمشي قدامي لمديرية الأمن. وتدخل المعتقل ونحيلك محكمة، وعشر سنين في سجن نقرة السلمان.
- ماذا نسمي المقهى برأيك؟ تفضل أستاذ عملت أحسن شاي بمناسبة زيارتك. ما رأيك نسميها مقهى السرور؟
- يوجد محل للإيجار يصلح مقهى قريب من شارع الجزائر. روح تفاهم مع صاحبه وتعال عندي نعطيك الإيجار.
- شايف أستاذ موحان هذه فائدة النضال. أنا لو ما ناضلت ما كنت أحصل مقهى، ما رأيك بالشاي؟ بشرفك أحكي الصحيح.

- من الآن فصاعداً لازم نعرف كل صغيرة وكبيرة.

رشف موحان بقايا الشاي. وقال له:

- فعلا شاي طيب.عاشت إيدك عبد الله. ما نوع الشاي؟
- هذا شاي سيلان بالهيل. بالعافية.

أخذ موحان اللافتة التي وضعها تحته على الكرسي وغادر.

السياسة بحر

وقف هلال قرب دكان غانم ويقف سوادي وأمامه صينية الحلويات الخشبية على الأرض. وصل جواد مع عبد النبي مع بعض الطلاب قرب دكان غانم وسلما على الواقفين وهم يستمعون إلى نشرة الأخبار التي تبثها الإذاعة العراقية. جاء صوت المذيع:

- صرح فخامة رئيس وزراء العراق السيد نوري باشا السعيد أنه لا يتمنى أن تعلن حالة الطوارئ في البلاد، بمعنى أن لا يكون مضطراً لمثل هذا الإجراءات. وتمنى لحركة المعارضة العراقية أن يتسم حوارها وموقفها بالموضوعية وعدم اللجوء إلى تعطيل الحياة في البلاد وأن يدرك الجميع المخاطر الخارجية التي تحيط بالعراق العزيز.

علق عبد النبي:

- الجبهة الوطنية طلبت استقالة رئيس الوزراء نوري السعيد والوزارة.

عقب سوادي قائلا:

- لا تتعبون نفسكم. السياسة بحر. ثم إنت عبد النبي ما علاقتك بالسياسة؟ وما علاقتك برئيس الوزراء نوري السعيد؟ قاتل أبوك؟ من إنت، تريد تصير رئيس وزراء؟ تعرف تتكلم إنكليزي؟ أول مره جيب البدلة مالتك الغانم

يكويها، وبعدين صير رئيس وزراء؟ السياسة بحر. واللي ما يعرف يسبح.. يغرق.

هلال وهو أصغر الواقفين، والذي بدأت الحياة تتفتح أمام عينيه وتصبح أكثر وضوحا، كان يستمع إلى الحكمة الشعبية التي يطلقها سوادي عبر مزاحه، قال لغانم:

- فعلاً، السياسة بحر.

- مو صحيح يا هلال؟ مو تمام يا غانم؟

نفخ غانم رذاذ االماء من فمه على قميص يكويه.

غادر جواد وعبد النبي المكان وصاروا يعلقون لافتة كتب عليها إنتخبوا مرشحكم الوطني الدكتور فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج.

ملصقات مطبوعة بالأسود والأبيض فيها صورة فيصل السامر مكتوب فيها ضمانتكم الوطنية فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج.

ثمة أشخاص يوزعون على المارة نشرات الانتخابات.

يتيكا

وسط أجواء الانتخابات كان هلال يسير مهموما وبيده صحيفة. انتبه فشاهد على مسافة منه شابا بملابس البحرية وهو ليس سوى صديقه القديم عبد الباري ومعه فتاة جميلة رشيقة تلبس ثوبا قصيرا. لم يكن للوهلة الأولى متأكدا من شخصه قبل أن يتقدم حتى أصبح قريبا منه. كان الشاب مختالا بملابسه البحرية البيضاء. انتبه الشاب البحري إلى هلال. توقف مع صديقته نحو هلال وقال له..

- أووو.. هلال.. كيف حالك؟

مد يده وصافحه وعرفه على صديقته وقال..

- هذي خطيبتي يتيكا.. وهذا صديقي هلال.. كان يمكن نكون سوا بالمدرسة البحرية في براغ.. قدمنا سوا للميناء لكن هلال فضل أن يبقى ليصبح ممثلا.. هل حصلت فرصة كي تصبح ممثلا أم لا تزال.. أنا راح أعرف خطيبتي على أهلي.. جبتها معي بالباخرة.. نحن في دورة تدريبية.. أودعك..

مشى هلال مأخوذا بالمفاجئة.. دخل الدار وهو يحمل الصحيفة. ثمة حصير ملقى في باحة الدار وعليه وسادة، فيما أمه تغسل الملابس في الطست.. وضع الصحيفة على وجهه وفيها عنوان كبير اكتشاف وكر حزبي مخرب داخل المقبرة.. توريط طالب فقير بتوزيع منشورات ليلا مقابل مائة فلس.

لا يزال صوت عبد الباري يتردد في سمعه.. أوو هلال.. هذه خطيبتي يتيكا.. كان ممكن نكون سوا بالبحرية.. قدمنا سوا بس هلال كان مصر أن يكون ممثل .

دخل سامي الأخ الأكبر لهلال، وإلتفت نحو هلال المستلقي على السرير وقال له..

- إلك عندي خبر مهم...!

- لا يوجد خبر مهم في الكون...!

- توفيق البصري يريد يشوفك.. يريد يعطيك دور في مسرحية...!

رفع هلال الصحيفة من وجهه..

- صحيح؟

- طبعا صحيح...!

لو بالسراجين لو بالظلمة

ستارة المسرح مفتوحة. الديكور مصطبة على المسرح، وثمة لوحة مرسومة في خلفية المسرح لمنظر يبدو لنهر شط العرب وعلى ضفتيه تصطف غابات النخيل. يقف الممثل توفيق البصري يؤدي دورا في مشهد من مسرحية لو بالسراجين لو بالظلمة ليوسف العاني.. يؤدي دور رجل ثمل وهو يغني مقاما عراقيا، عندما يسمع صوت أخيه ينادي من بعيد..

- مجيد... مجيد.. مجيد
- ها شكو..

كان الصوت هو صوت أخيه الصغير.. يدخل هلال المسرح.. وهو يبكي..

- مجيد.. أخوية جبوري مات..
- مات؟ أخوية جبوري مات؟
- أي مات.. جبوري مات..

ينهار مجيد على المصطبة وهو يبكي ويجلس أخوه إلى جانبه وصارا يبكيان منسجمين في دوريهما. وتهب الصالة بالتصفيق وتسدل الستار.. الجمهور يصفق ويستمر بالتصفيق وتفتح الستارة لتحية الجمهور الذي وقف مصفقا.

وقف هلال بكل ثقة خلف كواليس المسرح ويقول له توفيق البصري..

ألهبت مشاعري.. رائع هلال.. رائع..

بكى هلال خلف الكواليس وهو لا يزال منسجما في دوره.. التصفيق مستمر وفتحت الستارة مرة ثانية ويخرج هلال مع توفيق البصري لتحية الجمهور ثانية.. وأسدلت الستار..

في اليوم التالي صار هلال موضوع حديث الناس الذين شاهدوا المسرحية وصار عينة واضحة في الحارة ينظرون إليه شخصا غير الذي عرفوه من قبل.

يوم الانتخاب..

انتشرت الشرطة السرية وبينهم موحان الشرطي السري.. اللافتات تملأ الشوارع. مرشح حزب الأمة ومرشح الجبهة الوطنية والمرشحون المستقلون. وانتشر بعض رجال الأمن والشرطة عند الساحة أمام واجهة مدرسة عتبة بن غزوان كمركز انتخابي لحارة الخندك.

وقف جاسم الشرطي في باب المدرسة. نحيل وقصير القامة، البندقية القديمة أطول منه وهو يسندها على الأرض. مجموعة شباب وقفوا في الساحة أمام باب المدرسة ومعهم عبد النبي قال عبد النبي مخاطباً جاسم الشرطي.

- ها، شلونك أبو إسماعيل؟
- الحمد لله. ما بقى شي. بعد سبع سنين إن شاء الله أطلع تقاعد.
- زين ضمنت مستقبلك.. ما حصلت خيط؟ راح تتقاعد وإنت جاسم الشرطي على الأقل يسموك نائب عريف متقاعد.
- أووو، هاي تحتاج حظ.
- أقول حامل تفكه اليوم؟
- خراعة خضرة!
- عمي جاسم أنا شيف التفكة مالتك طويلة. جداً طويلة أكثر من اللازم.
- أفهم من كلامك كأنك تقول أنا جداً قصير مو البندقية جداً طويلة. أي نعم البندقية نفسها جداً طويلة. هذه تفكه من زمن العصملي. التفك في ذلك الوقت ما كانت توصل الهدفها يعنى الطلقة أكثر من خمس أمتار ما تقتل. فالأتراك طوّلوا سبطانة التفكة حتى تبعد أكثر. وهاي التفكه من زمن

العصملي. يعني أنت حضرتك الآن إذا سويت قارش وارش يعني سويت مشكلة ما، وأنهزمت وصوبت عليك البندقية أسدحك جتيل. إفتهمت؟

ازداد عدد المجتمعين عند باب المدرسة فهتف عبد النبي الذي استجمع قواه وأرتبك قليلا. وهتف:

- فليعيش الدكتور فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج. وردد المجتمعون الهتاف.

قهقه جاسم الشرطي على طريقة الهتاف، وحيث لم يفهم شيئا، وقال:

- ما معنى هذا؟

- معنى هذا عمي جاسم إحنا موجودين.. خاف يصير ما يصير!

- شنو يصير ما يصير. شتقصد؟ يعني خايف الانتخابات يصير بيها غش؟

- أي كلشي يصير.. ممكن يصير تزوير.

- لا عمي عبد النبي أخذها من هذا الشارب، تزوير غش ما ممكن يصير. قول لي ليش؟

- ليش؟

- اللجنة أكثرهم من سلك الشرطة. وإحنا الشرطة ما نغلط بالحساب، مو مثلكم أنتم المثقفين. لأن أحنا كل يوم نعد ونحسب المساجين. أسمع مني هذ القصة. أنا كنت حارس بسجن البصرة، وكنت كل يوم أطلع المساجين وأحسبهم، أكثرهم مثل جنابك مثقفين وسياسيين. يوقفون واحد بصف الثاني. أقول لهم أحسبوا نفسكم.. والله وكيلك أطلعهم إصطفاف الساعة خمسة الصبح. كل واحد يحسب نفسه. أول واحد يصيح واحد الثاني يصيح إثنين الثالث يصيح ثلاثة، وهكذا. كان عددهم ستين سجين سياسي. بعد

ما يكملون العد والحساب، أرجعهم للقاووش. فد يوم واحد مثل جنابك مثقف، سألني يريد يتفلسف. قال لي عمي جاسم ما هي ما فائدة الحساب؟ مثقف وما يعرف فائدة الحساب. قلت له الحساب أهم شي بالسجن بالنسبة ألنه أحنه الشرطة. أقول لك ما معنى الحساب إذا انت ما تفتهم. إذا أنتم ستين وحسبناكم وطلعتوا سبعة وخمسين. الخمسة الباقين وين راحوا؟ بدل ما يجاوبني صار يضحك السفيه. فإنت لا يكون لك فكر طالما اللجنة من سلك الشرطة، ما راح يغلطون بالحساب.. غش ما يصير.

- إذا همه ستين وحسبتهم وطلعوا سبعة وخمسين، الباقين كم؟
- الباقين خمسة وين صاروا؟ بعدين أنا ما أحسبهم. هم يحسبون نفسهم حتى من فمك أدينك. جا شلون! هيونطه!؟ فلا يكون لك فكر غش بالإنتخابات ما يصير طالما تحت إشراف الشرطة. لو تحت إشراف هذي اللي يسموها الأمم المتحدة يمكن يصير غش. بس تحت إشراف الشرطة.. مستحيل يصير غش أو خطأ.

وفي المساء بدأ الناخبون يتوافدون على مدرسة عتبة بن غزوان أكثر، وكلما دخلت مجموعة من الناخبين هتف عبد النبي بحياة فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج. جمع عبد النبي قواه ثانية وهتف متوتراً:

- فليعيش مرشح الجبهة الوطنية الدكتور فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج.

بدأ بعض أعيان الحارة بالوصول.

في بالكون المدرسة المطلة على الساحة، وهي فسحة عريضة وعلى امتداد أحد أضلاع المدرسة جلست لجنة تدقيق الانتخابات. ثلاثة أشخاص يحرسهم الشرطة والأمن وبينهم موحان الشرطي السري. هلال يقف على صندوق خشبي ليصبح

عاليا ويطل من خلال سياج بيتهم الملاصق للمدرسة يراقب العملية الانتخابية وحيث لا يحق له الانتخاب فهو لم يبلغ الثامنة عشرة بعد.

وصل إلى اللجنة زاير مناتي وتقدم نحو المكان وسلم على الحاضرين. قدم لهم وثيقته.

- هذه جنسيتي. وين قائمة حزب الأمة؟

رئيس اللجنة يبحث عن اسمه في القائمة ويؤشر على اسمه. قال له رئيس اللجنة:

- عمي زاير مناتي ما يصير تتكلم. الانتخابات سرية. روح وره الستارة راح تشوف أربع صفطات. كل صفطة لأحد المرشحين. أخذ الورقة اللي تحب تنتخبها وإطويها أربع مرات وتعال هنا نخليها بالظرف ونكتب عليه رقم هويتك وتوقع على الظرف وترميها بالصندوق أمامنا.
- تعرفون أنا لا أقرأ ولا أكتب. صورهم موجودة؟
- موجودة صورهم موجودة. صفطة عليها صورة الباشا نوري السعيد وجماعته. وصفطة عليها صورة صالح جبر وجماعته وصفطة عليها صور المستقلين، لا من هذا الحزب ولا من ذاك. وصفطة عليها صورة كامل الجادرجي وجماعته فيصل السامر وجعفر البدر.
- أنا هذولاك ما أعرفهم لا نقصان بيهم. صورة صالح جبر حزب الأمة موجودة؟
- موجودة موجودة.

دخل زاير مناتي إلى ما يشبه الغرفة. فتح ستارة وبعد ذلك خرج وبيده ورقة. قال له رئيس اللجنة:

- إطويها إطويها أربع مرات.

زاير مناتي يطويها أربع طيات. يقدمها للموظف الذي يضعها في ظرف ويغلقه ويسجل عليه رقم الجنسية ويقول لـ مناتي:

- إنت زاير مناتي ما تعرف توقع. أبصم. حط إبهامك بـ الستامبا

زاير مناتي وهو يبصم يقول:

- هم زين أنا لا أقرأ ولا أكتب. لو أقرأ وأكتب ما صرت تاجر كان صرت مع اللي يهتفون، لو بالسجن لو عطال بطال. ألف الحمد لله والشكر. سلام وعليكم.

غادر ونزل السلالم. هلال تطلع نحوهم وكان يصغي محاولاً معرفة ما يدور.

قال رئيس اللجنة للموظف:

- إسمع. إذا كل واحد نفهمه مثل زاير مناتي بعد أسبوع ما تخلص الانتخابات. أحسن طريقة، تروح أنت إلى باب المدرسة وهم مجتمعين وتشرح لهم العملية الإنتخابية حتى مو كل واحد نفهمه. هاي بعد الإجتماعات مع الأهالي بالبيوت والجوامع والحسينيات وأجا زاير مناتي ولا كأنه سامع شي. روح فهمهم زين.

حيث يتجمع المواطنون أبناء حارة الخندك من كل الفئات الاجتماعية. وصل الموظف وصفق بيده ليعلن.

- اسمعوا.. اسمعوا يا أخوان. اسمعوا رجاء. رجاء سكوت.

البعض يتحدث لا يزال. جاسم الشرطي محاولاً التدخل، فقال:

- اسمعوا. الأستاذ يتكلم. اسمعوا. اسمعوا التعليمات. هاي إنتو المثقفين. الأستاذ يقول، اسمعوا. هي هي.. اسكتوا. هل إنتم همج؟

قال الموظف:

- أخواني. إذا ما تلتزمون بالنظام تره الانتخابات ما راح تصير. لأن الوقت محدود. أولاً تدخلون واحد واحد وتنتخبون بسرعة وتطلعون. كل واحد يحضر هويته بأيده، ويقدمها إلى اللجنة. وتشوفون ستارة. تدخلون خلف الستارة تشوفون منضدة وعليها أربع صفطات أوراق كل صفطة عليها كتابة وصور المرشحين. ياخذ الورقة اللي يريد ينتخب أصحابها ويطويها أربع مرات ويقدمها إلى اللجنة وهو يوقع على الظرف.. مفهوم؟

قال أحد المواطنين:

- والما يعرف يقره شلون؟

أجابه الموظف:

- عمي خبرتكم عليها صور. صفطة عليها صورة الباشا نوري السعيد وصفطة عليها صورة صالح جبر – حزب الأمة...

قال المواطن:

- أي هم زين.. صاحبنا موجود.. الحمد لله.

الموظف مواصلاً:

- وصفطة عليها صور المستقلين لا من هذا الحزب ولا من ذاك. وصفطة عليها صورة كامل الجادرجي وجماعته جعفر البدر وفيصل السامر.

عندما سمع عبد النبي اسم فيصل السامر صاح هاتفاً:

- فليعيش الدكتور فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج.

جاسم الشرطي يقهقه ضاحكاً. الموظف ينظم دخول الناخبين.

- إنت أدخل.

دخل أحد الناخبين، وفيما الكل يتحدث ويناقشون الانتخاب. قال الموظف لشخص آخر وآخر إلى جانبه:

- تفضلوا أنت تصعد الدرج. وتبقى واقف من يخلص اللي راح قبلك أنت تروح إلى اللجنة. ومن ينزل الدرج أنت تصعد الدرج وبهذه الطريقة راح تدخلون ثلاثة ثلاثة بس بسرعة رجاء. كلشي واضح؟

كانت سيارات الشرطة تجول في أزقة حارة الخندك. سيارات مكشوفة عليها رشاش فيكرز خلفه شرطي، وشرطي إلى جانبه بيده بندقية. سائق السيارة وإلى جانبه قائد الفرقة. تتنقل السيارة في أزقة حارة الخندك. توقفوا قريبا من المدرسة. وصل سوادي قريباً منهم وهو في طريقه للمركز الانتخابي في المدرسة. سوادي سلم عليهم قائلاً.

- سلام عليكم حماة الوطن.

- حماة الوطن ونص. تتمسخر؟

- لا والله ليش أتمسخر. حماة الوطن ونص.

- أخاف هواك راح صوب روسيا. تره المعلوماتك بريطانيا ما تنقحم.

- ما علاقة روسيا وبريطانيا بالموضوع. سلمت عليكم وقلنا لكم يا حماة الوطن. ما عجبتك الكلمة. يا كلمه ردي المكانك!

- واضح سوادي واضح. ما تحتاج تفسير. تريد تسلم قول سلام عليكم أخواني. بعد ليش سلام عليكم حماة الوطن.

- والله عمي من قلت حماة الوطن كنت فرحان بيكم. شفتكم بهذه القيافة. مع رشاش الفيكرز. قلت ذبابه ما تمر بسماء العراق وإحنا عدنا هكذا نشامه. لا

تروح بالغلط.

- ألمن راح تنتخب؟ إلمن تنطي صوتك؟
- بصراحة أنطي صوتي إلى اللي يرضي ضميري.
- أي بس انتبه لا تنطي صوتك لجماعة روسيا. ما عندهم مستقبل.
- ما يكون لك فكر نايب ضابط هاشم. ما يكون لك فكر. ما أنتخب إلا ما يرضي ضميري.

بقي في الساحة عدد قليل من الناخبين. يصل سوادي وهو يلبس العقال والغترة البيضاء. سلم على الواقفين.

- سلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله.

قال له عبد النبي:

- ما تنسى سوادي الجبهة الوطنية. فيصل السامر وجعفر البدر.. قائمة الجادرجي.

دخل سوادي المدرسة ليدلي بصوته.

صعد سوادي سلالم المدرسة. شاهد الحاج سلمان الذي يساعدهم بالمال نازلاً السلالم.

- مساك الله بالخير عمي الحاج.
- هله سوادي. ما تنسى قائمة حزب الأمة صالح جبر.
- حاضر عمي.
- وما تنسى مر أخذ المقسوم مال هذا الشهر. تستاهل أنت سوادي.

- يطول لي عمرك عمي الحاج. مودع بالله.

وصل سوادي إلى حيث لجنة الانتخابات. قدم جنسيته. دخل حيث الأوراق خلف الستارة. توقف دون أن يأخذ أية ورقة. أخرج من جيبه ورقة بيضاء مطوية. فتحها وقلبها.

طواها ثانية أربع طيات. عاد للموظف. أخذ مظروف من الطاولة. وضع الورقة فيها وبلل حاشية الظرف بشفتيه وأغلقه.

- أبصم هنا.

أسقط المظروف بالصندوق. إنتبه رئيس اللجنة ونظر إلى سوادي نظره ذات معنى. ابتسم رئيس اللجنة ابتسامة خفيفة.

غادر سوادي اللجنة وقبل أن ينزل السلالم انطفأت الأضواء في المدرسة وفي الحارة، وحصلت حركة غير طبيعية قرب صندوق الانتخاب. سمع سوادي صراخاً ولغطاً عند مدخل المدرسة. ارتفعت الأصوات من الساحة التي تجمع فيها الناخبون.

- تزوير تزوير.. فلتسقط الانتخابات المزيفة.. تسقط تسقط تسقط. تعيش الجبهة الوطنية.. تعيش تعيش تعيش.. يعيش الدكتور فيصل السامر مؤلف كتاب ثورة الزنج.. يعيش يعيش يعيش.

سمع سوادي إطلاق نار ودفعه أحد أفراد الأمن صائحا به:

- يله انزل، شبيك واقف مثل الصنم.

أطلق رجل أمن في الهواء بضع طلقات وسط الظلام. أنيرت المدرسة والحارة بعد حين، وألقى رجال الأمن القبض على بعض المتجمعين قرب المدرسة وأدخلوهم في

السيارة، وهرب البعض الآخر، وبقي هلال يرقب من خلال سطح الدار العملية الانتخابية التي فقدت طعمها واستمرت باردة حتىٰ ساعة متأخرة من الليل.

في غرفة مدير أمن البصرة.

جلس بعض أعيان الحارة يشربون الشاي في غرفة مدير أمن البصرة. الحاج سلمان الذي أخذ زمام مبادرة الحديث، قال:

- سعادتكم أنت صاحب القرار، وأنت اللي تشوف الصالح العام، بس وجهة نظرنا وحتىٰ تساعدنا باستتباب الأمن هؤلاء الشباب اللي إعتقلتوهم ليلة الانتخابات ما بقت ضرورة لبقائهم بالمعتقل. الانتخابات انتهت وسارت مثل ما تريدون ونريد، وأنت صاحب القرار. بس نرجوك تتساهل وياهم.

كبس مدير الأمن علىٰ جرس صغير علىٰ طاولته. دخل العريف حارس الغرفة. قال له المدير:

- عريف نبهان. روح أفتح المعتقل وجيب لي الشباب الستة اللي إعتقلناهم البارحة.

خرج العريف. واصل مدير الأمن حديثه:

- إحنه نعرفهم وراصديهم. نعرف حركاتهم واتصالاتهم. أنا ما أعرف هؤلاء الشباب ما الذي يجنونه من روسيا. لو الباشا نوري السعيد يعرف روسيا أحسن من بريطانيا وألمانيا كان راح باتجاه روسيا أو ألمانيا. بس الباشا يعرف السياسة البريطانية وهو يريد مصلحة العراق أولاً وآخراً. البارحة طلعنا من الحرب العالمية الثانية. وراها حرب فلسطين. وإحنا بلد بعدنا بأول الطريق. هؤلاء ما يخلون الباشا يبني العراق. والله يا حاج سلمان أنا في يوم من الأيام إلتقيت الباشا نوري السعيد وجلسنا وحدنا. الكلام اللي تكلم بيه هو غير كلام الصحافة والراديو. والله بكيت من شفت مدىٰ حبه للعراق.

- هو يبكي على العراق. يقول أمنيتي قبل ما أموت أن أشوف العراق مزدهر وفي مقدمة البلدان. ويقول يا ناس بلدنا ثري بتاريخه وبموارده الطبيعية. لكن بعض العراقيين ما يخلونا نشوف طريقنا.

طرق العريف الباب. قال له مدير الأمن:

- تفضل عريف نبهان ودخلهم.

دخل ستة شباب ومعهم عبد الله الصاحي المتعاون مع الأمن سراً. أدى العريف التحية وغادر. قال لهم مدير الأمن:

- يا الله خلي روسيا الاتحاد السوفياتي تطلعكم. هؤلاء أهلكم يفكرون بيكم وأجوا يتوسطون حتى نطلعكم. لو ما هم أشراف البلد والنعم كان حلتكم محكمة وبسجن نقرة السلمان. ادعوا لهم بالخير ولا تكررون الفوضى. أحد ضربكم؟ أنتم أمام أشراف الخندك. إذا واحد انضرب يقول. مو بكرة تطلعون نشرات وتقولون وقعوا تحت التعذيب وانتزعنا منكم الاعترافات بالتعذيب. هؤلاء أنتم وهؤلاء أشراف أهل الخندك. اللي عنده شي يقول. بس انتبهوا. إحنا نعرف كل مطابعكم وبأي بيت. أهلا وسهلا بيكم اعتبروا نفسكم كنتم بضيافتنا.

وقف شباب الحارة اليساريون قرب دكان غانم الأوتجي حزانى بسبب عدم تمكن مرشح الجبهة الوطنية من الفوز بالانتخابات نتيجة التزوير، وأيضاً بسبب اعتقال الشرطة لبعض المحرضين ضد السلطة. قال حسن الشاوي:

- أصبح التباين الاجتماعي أكثر وضوحا في حارة الخندك، فئة اجتماعية فقيرة، وهي الغالبية وفئة متوسطة قليلة. وبمرور الوقت الفئة المتوسطة صارت تشعر بالانتعاش، فيما الفئة الفقيرة تزداد فقرا. شوفوا الطبقة البرجوازية شلون تصعد، كلهم يستفيدون من النفط، والوحيدين اللي ماكليها هم العمال

والفلاحين، فيما هم المالكون الحقيقيون للثروة الوطنية، ولكنهم صفر.. لا شيء. هذي مسؤولية الإمبريالية، وحكومة نوري السعيد المرتبطة مباشرة بالإنكليز.

أجابه سوادي مباشرة:

- نفس الكلام مالك أستاذ حسن سمعته البارحة من إذاعة موسكو من روسيا. يا سبحان الله!

رد غانم الأوتجي الذي نادراً ما يتحدث:

- توارد خواطر.

إنفعل سوادي وقال:

- توارد خواطر!؟ يا توارد خواطر يابه!؟ واحد تافل بحلق الثاني!

وصل نديم عند دكان غانم، وتسلم قميصه الأزرق ذي الخطوط البيضاء مكويا، ودفع إلى غانم عشرين فلسا وودعهم. قال سوادي بعد أن ابتعد نديم عن المكان.

- إهنا الشغل، مو مثلكم مشغولين بالسياسة. السياسة بحر، والما يعرف يسبح زين، يغرق. وأشار إلى نديم بعد أن غادرهم، هذا يعرف يشتغل. يعرف شغلة السياسة ما توكل خبز وما تجيب غير المصايب، فاتجه للحب. وهي شلون ليلى؟ تخلص المصلوب من حبل المشنقة. الله يستر عليها، حلوة. ويستاهلها نديم شاب متعلم وحلو ومرتُّب، مو مثلكم وصار يقلدهم فليسقط نوري السعيد ليش يابة يسقط؟ على الأقل يتكلم إنكليزي. والتفت إلى غانم وأنت يا لغة تعرف يابه؟ برتكيشي؟

وفيما كان غانم يكوي الملابس قال لسوادي وهو غير مرتاح لكلامه:

- وليش بس نوري السعيد يعرف يتكلم إنكليزي، ليش كامل الجادرجي ما يعرف يتكلم إنكليزي؟

- كامل الجادرجي؟ إي نعم. كامل واسمه عليه. شخص وطني ويفتهم وعلى راسي وعيني، بس كم كامل الجادرجي عدنا؟ هو واحد. من يصير عدنا ألف كامل الجادرجي ذاك الوقت فليسقط الاستعمار. بس مو بعدنه نحبي وفليسقط الاستعمار. خلي نوقف على رجلينه، وفيما بعد فليسقط الاستعمار.

وتطلع سوادي فيهم وصار يلقي حديثة بموعظة الحكيم، وكان هلال يصغي إليه باهتمام. واصل سوادي حديثه قائلا:

- طلعوا الإنكليز. وبعدين؟ من يمشيلكم القطارات؟ من يسويلكم بواخر؟ من يجيبلكم طيارات؟ لوما الإنكليز يسوولكم سد الثرثار، ما كان بغداد غرّقها الفيضان؟ خلوهم قاعدين عدنه، وروحوا درسوا عندهم، وتعالوا مهندسين وأطباء وطيارين، حتى تصيروا وزراء تفتهمون وتعرفون تتكلمون إنكليزي، حتى من تجتمعون ويه الإنكليز، تعرفون تناقشوهم بالسياسة، مو تقعدون مثل الأطرش بالزفة. خلوهم قاعدين عدنا وساترين علينا. خلونا ندرس عندهم ونصير نفتهم تمام التمام، ونقدر بالفعل مو بالقول ندير نفسنا بنفسنا، ذاك الوقت يصير لكل حادث حديث. مو بعدنه نحبي، وفليسقط الاستعمار. سقط الاستعمار، وبعدين؟ غير هيه شوية نفطات؟ خل ياخذوها حتى يسوونا أوادم. بصراحة غير؟ لا تزعلون. تره أحنه ما نعرف الجك من البك.

التفت إليه حسن الشاوي وقال له:

- سوادي، كلامك هذا، إهانة الشعبنا.

- أيباه، إهانه الشعبنا. يا شعب هذا يابه؟ ناس من أهل الله أحنا ومسك سوادي يد حسن الشاوي هذي الساعة اللي لابسها حضـــرتك، منـو صـنعها؟ علبـة كبريت، شخاطة، نقدر نصنع شخاطة؟ شلون نقدر نصنع طيارة؟ بابا روحوا إشتروا بعقلكم حلاوه. فليسـقط الاسـتعمار. سـقط الاسـتعمار.. وبعـدين؟ يوميه مظاهرات يوميه مظاهرات. خلو الأمور تستقر بالبلـد، حتىٰ الواحـد يشوف له شغله مال أوادم.

تطلع إلىٰ الصينية الخشبية وسالت دمعة من عينه، فلقد أحس لأول مرة، أنه بدون عمل، وأكثر من هذا، فهو عالة علىٰ بعض الأغنياء من أبناء الخندك.. إنه لا شـــيء. صفر.

حمل الجمبر علىٰ رأسه وسحب التختة من الأرض ومشىٰ دون أن يودعهم. لحـق به هلال وسأله:

- سوادي.

التفت إليه سوادي فقال له هلال:

- أقدر أسألك سؤال؟

- تفضل هلال.

ومسح دمعة طفرت علىٰ خده.

- سوادي.. إنت إلمن إنتخبت؟

- ما إنتخبت أحد.

- ليش؟

- حتىٰ يرتاح ضميري. لأن الإنسان الماعنده ضمير مو إنسان!

بولغانين

وفاة بولغانين

كان هلال عائداً من المدرسة فاجتازه صديقه نجم وهو زميل له في المدرسة ولم يسلم عليه كالعادة. فلحق به هلال وسأله:

- خير نجم؟ أشوف وضعك مو طبيعي. خير؟ صار شي؟

- بولغانين مات!

- من؟

- بولغانين سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي!

- لا؟! مع الأسف. إلى رحمة الله!

قالها هلال وأبدى أسفه وهو لم يسمع باسم بولغانين من قبل.

سار نجم مهموماً، وإلى جانبه هلال الذي يمثل دور المهموم والحزين حتى مرا على مهاوي الشحاذ في أول الجسر وهو يقرأ القرآن.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

في ديوانية بيت نجم جلسنجم ساهما على الأريكة ودموعه منسابه على خده وهو ينشج. وفي الكنبة المقابلة جلس هلال مبدياً الحزن في مواساة صاحبه نجم وحاول أن يخرج دمعة متذكرا مآسي حياته الفقيرة كي يواسي مشاعر صديقه نجم فنجح في أن يذرف بضعة دمعات على خده. دخلت أم نجم فوجدت إبنها يبكي وهلال امامه مقطب الجبين حزينا لا يدري ماذا يفعل. قالت الأم:

- يا ساتر يا ستار يا رحيم يا عليم. شبيكم يمه؟!

نجم وهلال لا يردان بل نجم يزداد نشيجاً وهلال تمكن من إنزال بضع دمعات إضافية، فمسحها، فتساءلت الأم:

- يمه خيركم. خبروني عن اللي صار؟ هلال شنو الصار يمه؟

أجابها هلال:

- بولغانين مات!

- منو؟

- بولغانين بولغانين رئيس الحزب الشيوعي الروسي.

- وهذا بولغانين شيصير منكم؟ عمكم؟ خالكم؟ قوم أطلع أنت.. يله برا.

مسكت الأم بنعلها عندما هرب هلال مسرعاً، توجهت نحو ولدها نجم مسكته من أذنه وبيدها النعل وهي تقول:

- تبكي؟ على من تبكي؟ أبوك، عمك، خالك؟ على من تبكي يا محروق الصفحة. على من؟ على واحد موسقوفي؟ على من؟ بدل من أن تبكي على عبد الله الرضيع ابن الحسين سيد الشهداء تبكي على بولغانين؟ بدل ما تبكي على مسلم بن عقيل ابن عم الحسين تبكي على بولغانين؟ بدل ما تبكي على الحسين، على العباس أبو فاضل تبكي على بولغانين! بدل ما تبكي على علي بن أبي طالب، تبكي على بولغانين؟ أستغفر الله العظيم. يلا. يلا قوم أغسل وجهك. يلا.

نهض نجم مطأطئا رأسه والأم تنظر إليه.

وصل سوادي إلى دكان غانم المكوجي ولم يجد الترحيب الذي يلقاه كل اليوم على وجوه الشلة التي تلتقي عند دكان غانم كان حسن الشاوي وعبد النبي وبدرجة ما

غانم الأوتجي حزانى. في تلك اللحظة. وصل سوادي فلاحظ الوجوم على وجوه الواقفين، وكان حسن الشاوي أكثرهم حزنا. فسألهم سوادي:

- خير يا جماعة الخير؟ إنشاء الله ما حصل شر؟

لم يجب أحد منهم، بل تحسر حسن الشاوي وابتعد قليلاً عن الدكان واتكأ على الحائط. التفت سوادي إلى غانم وسأله:

- خير شكو؟ توفى أحد من أهل حسن من أقاربه؟

وضع غانم المكواة على قاعدتها وغمز إلى سوادي وتنحى وإياه بعيداً عن الدكان وقال له:

- بولغانين مات.

- من؟

- بولغانين، بولغانين.

- بولغانين منو؟

- ما تعرف من هو بولغانين؟

- لا والله، لا نقصان بيه ما سامع بيه.. شسمه قلت؟

- بولغانين بولغانين. رئيس الحزب الشيوعي الروسي. رئيس الشيوعيين مال روسيا.

- ها..!! مات؟

- أي والله مات. ذاعوا الخبر بالراديو.

- ها..!! إلى رحمة الله!

تقدم سوادي نحو حسن الشاوي وقال له:

- البقاء بحياتك رفيق. كنت أتصور مات أحد أقربائك. بولغانين؟ وإنت ياهو مالتك؟ شيصير منك بولغانين يابة؟ عمك؟ خالك؟

قال حسن الشاوي مخاطبا سوادي:

- بالله ما تسكت سوادي؟

- شلون أسكت؟! شلون أسكت وبولغانين مات؟ لا والله يابة ما أسكت.

والتفت سوادي إلى بقية الشلة وقال لهم:

- وإنتوا شبيكم يابة؟ كأن على رؤوسكم الطير!

والتفت إلى حسن الشاوي وقال له:

- بولغانين! عرف ولف. تمره بغلف؟ أشو من ماتت الملكة عالية ما حزنت؟ الناس كلها طلعت تبكي ولابسة أسود وأنت تتمضحك. البقاء بحياتكم يابة. وليش واقفين إهنا؟ ما تروحون إلى جامع الحاج عباس تقيمون الفاتحة على روح بولغانين، حتى واحد ياخذ من خاطركم؟

غادر سوادي المكان وهو يردد مع نفسه:

- استغفر الله رب العالمين. ما يدري الواحد وين يعطي وجهه!

مشى سوادي بعيداً عن الشلة المتجمعة قرب دكان غانم الأوتجي تاركاً أياهم يبكون بولغانين.

أحـــلام المخـــاض

في منام حليمة

في سطح منزل ستار وهو غارق في نومه، تنام على السرير العريض من الخشب إلى جانبه زوجته حليمة التي ترى في منامها إن لها إبناً عاد من المدرسة بملابس المدرسة الموحدة.

في الحلم أن سيد صمد واقف في ما يشبه الفراغ وإلى جانبه طفل صغير وقد مسكه من يده. سيد صمد يقول لـ حليمه.

- أختي حليمة أليس هذا هو أبنك؟
- نعم أبني.
- شاهدته يمشي بالبستان على حافة النهر. والنهر بحالة مد. الماء مرتفعة مناسيبه. خفت أن لا يغرق. كيف تتركينه وحيداً؟ ما تخافين عليه؟
- يطول عمرك. سيد صمد.
- هو أبنك أكيد؟
- طبعا إبني!
- ما هو اسمه؟
- والله ما أدري. إلى الآن لم نعطه اسماً.

حليمة تخاطب أبنها في الحلم.

- ليش تأخرت عمري أنت ليش تأخرت. وين كنت؟
- كنت ألعب كرة قدم.

- أخاف عليك. عمري أنت. أخاف توقع وتتأذى. ما عندي غيرك عمري أنت. إبني أنت.

- ليش ما عندك غيري؟

- هذا سؤالك غريب إبني.. إبني.. عمري أنت سؤالك غريب.

في خلفية بيضاء وابن حليمه في ملابس المدرسة. تقول له:

حليمه:

- يله إبني غير ملابس المدرسة وروح اخذ صفرطاس الأكل ألأبوك. أبوك جوعان مسكين يشتغل من الصبح إلى الليل بهذا الصيف اللي الحمار يبول دم.

الطفل يغرق في الضحك شلون الحمار يبول دم ويستمر في الضحك.

- عمري أنت أبني أنت روح أخذ صفرطاس الأكل إلى ابوك.. يله يا شاطر. سبع. سبع السبمبع.

الطفل يضحك من التعبير سبع السبمبع.. يكررها ويضحك.

وفي الحلم قرب نهر الرباط حيث الصبايا يغسلن القدور والصحون. يقف إبن حليمه خلفهن وفي النهر سيد صمد وهن يرمينه بالحجارة. الإبن يمسك حجارة ويضرب سيد صمد الواقف في النهر فيتطاير رذاذ الماء على وجهه. أمه حليمه تصل وتقول له:

- انتبه أبني، عمري أنت، انتبه لا تغرق. انتبه من سيد صمد لا يروح يضربك. إبني أنت، عمري انت. ما عندي غيرك! شسمك إنت أبني. ماذا أسميناك. حياتي. ما اسمك؟!

- أنا إبنك، كيف ما تعرفين اسمي؟

- المهم انتبه أبني. لأن سيد صمد ضاع وأخاف يطلع ويأذيك وأنت بعدك طفل. أخاف عليك إبني. ما عندي غيرك.

وفي الحلم وسط ظلام في ما يشبه غرفة المنجم، يتحول الظلام إلى أدعية على ورق قديم. المنُجم يسأل:

- من هو السبب؟ أما أن تكوني أنت السبب فهذا غير ممكن. إنتي أنثى ولاده. أنا شايف جمال بس هكذا جمال ما شايف!

- خليني أروح ألله يستر عليك. أتركني أو أصرخ

حليمه تمسك بقنينة فيها شمعة وترفعها وتقرب الشمعة من وجه المنُجم فيسيل الدم من وجهه ويتداخل مع ضوء الشمعة. صرخت حليمه في الحلم وشعرت بالإختناق ثم أجهشت في البكاء وتحول البكاء إلى أنين. صحا زوجها ستار من نومه. الوقت فجراً وشعر أن حليمه في كابوس.

- حليمه حليمه أنت تحلمين. إصحي إصحي. أصحي من النوم. إن شاء الله حلم خير.

- حلمت عندنا ولد بس ما عرفت أسمه. الله أرحم الراحمين.

- إن شاء الله فال خير.. يا رب.

نزل ستار من السرير، وإتجه نحو سياج سطح الدار وجلب لها جرة فيها ماء. شربت من الماء ودلق على صدرها. نظر إلى نهديها المبللين من وراء ثوب النوم وشعر أنها أنثى ولاُدة. توجه نحو سياج الدار والوقت فجراً. أمتزج ضوء الفجر مع صياح الديكة وبكى بصمت.

في سوق الخضار

في الصباح خرج الناس عابرين جسر الخندك متوجهين نحو العشار للعمل والنساء للشراء من سوق الخضار وبينهم حليمه زوجة ستار.

عبروا الجسر فيما مهاوي يتلو من القرآن سورة يوسف بعضهم يعطيه قطعا نقدية.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وضعت حليمه قطعة نقدية في يد الشحاذ مهاوي وشكرها وواصل تلاوة آية من سورة يوسف.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

في سوق الخضار مشت حليمه معشوقة الجميع من الباعة والمتسوقين فهي المعروفة بجمالها الحنطي وصدرها الناهد وشفاهها الغليظة وعيونها السوداء. كانت تسير وسط الزحام. تمر تتمعن في التفاح والطماطة والريحان فيما الباعة مأخوذون بجمالها. ثمة لصوص يطلق عليهم النشالون يتابعون بعض النسوة وينظرون كيف تخرج النسوة أكياس النقود وكيف يخرجن منها النقود ويعدنها إلى جيوبهن وأحياناً في أكياس صغيرة يعلقنها في رقابهن خوفاً من قدرة اللصوص على السرقة.

إثنان من النشالين – اللصوص، رصدا حليمه أحدهما نام على الأرض وسحب عباءتها فشهقت وإنحنت لأخذها. وخلال تلك الحركة مد النشال الثاني يده في جيبها وسرق المحفظة. إنسحب النشالان وأختفيا وسط الزحام.

وقفت حليمه وبدأت تشتري الطماطة والخضار. وضعها البائع في الميزان. مدت يدها بحثاً عن كيس النقود فلم تجده. قالت مع نفسها:

- يا إلهي. فلوسي. يا رب.

غادرت المكان دون أن تقول للبائع شيئاً.

ابتعدت عن المكان. إنهمرت دموعها. حاولت أن تبحث في جيوبها عن محفظة النقود القماشية، فلم تعثر عليها. شعرت بالدوار. خرجت من السوق. رأت شخصاً يبيع الماء. شعرت أن فمها قد جف. فمها ناشف وتحتاج لقدح من الماء. نظرت للماء وإبتعدت. دموعها تنهمر. إنتابها الخوف. خرجت من السوق تاركة النسوة يشترين الخضار من الطماطم والبامية. مرت على سوق السمك ورأت النسوة يشترين السمك. إنتابها الرعب.

كأنها سمعت صوت زوجها في المرة السابقة التي سرقت فيها نقودها وهو يصيح فوق سطح الدار ويسمعه كل الجيران وين ضيعتي الفلوس. غبية. إذا سويتها مرة ثانية، أذبحك!

لم تعرف حليمه كيف تتصرف. بقيت في السوق تسير وهي تشعر بدوار، وتنتابها الحيرة في كيفية تدارك الموقف. فكرت أن تعود إلى الدار وتستلف مبلغاً بالسر من جيرانها، لكنها لم تكن متأكدة فيما إذا كانت ستجد الجيران في الدار، أو أنهم قادرون على تسليفها مبلغاً من المال، ثم أنها خافت أن يفتضح السر ويعرف زوجها وتصبح المصيبة مصيبتين. كانت صورة زوجها ستار وهو ينهال عليها ضرباً ترتسم أمام عينيها.

غادرت حليمه السوق ووجدت نفسها في شارع صغير تصطف فيه الحوانيت. مجموعة من النجارين يصنعون توابيت الموتى من خشب صناديق الشاي الفارغة، والى جانبهم حوانيت لصاغة الفضة ودكان واحد للخياطة. وقفت قرب دكان الخياطة. دشاديش بيضاء معلقة في مقدمة الدكان، وقد جلس خلف ماكنة الخياطة رجل في حوالي الأربعين من عمره، وقد علق سدارته على الحائط. ثمة مروحة منضدية قديمة تدور داخل الدكان. نظرت إليه وهي تقف قرب الباب الزجاجي. تطلع إليها. أدهشه جمالها. ابتسمت له. ناداها بصوت خافت:

- تفضلي.

تلفتت نحو كل الجهات بهدوء وحذر، وعندما تأكدت إن أحداً لم يكن يراقبها، انسلت إلى داخل الدكان، وفجأة قال لها:

- اصعدي فوق.

صعدت حليمه على سلالم خشبية ضيقة إلى مكان في أعلى الدكان، فيما سارع الرجل لإقفال الباب، وسحب سلك المروحة من الكهرباء، وأخذها صاعداً السلالم. كان المكان ضيقاً، فيه منضدة مغطاة ببطانية قديمة، فوقها مكواة حديدية كبيرة، وبعض الفحم، وأقمشة ملقاة هنا وهناك. جلست حليمه على كرسي من الخشب. وضع الرجل المروحة على المنضدة وأدارها. لم يكن الخياط يتوقع أن تأتيه امرأة بهذا القدر من الجمال. كانت مرتبكة ومترددة، وقد احمرت وجنتاها، فبدت أكثر جمالا. فقط قالت له:

- أريد شوية ماي بارد.

- مو تدللين.

فتح الخياط صندوقاً خشبياً، وأخرج جرة من الماء كانت وسط قطع الثلج، وأدار لها قدحا من الماء البارد. هنيئا قال لها. فقالت يطول عمرك

مد الخياط يده إلى جيبه وقدم لها ورقة نقدية من فئة النصف دينار. لم تكن تتوقع ذلك. كانت تطمح بنصف هذا المبلغ، وهو ما فقدته أو سرق منها في السوق. دست الورقة النقدية في جيبها. وضعت عباءتها على طرف الطاولة، ووضعت السلة على الأرض. فرش هو بطانية، ووضع فوقها قماشة بيضاء ومخدة. إستلقت حليمه دون أن تتعرى، ولم يكن الخياط يطلب منها شيئاً، خشية أن ترفض وتغادر. كان يخشى أن تروح منه، فرضي بما كانت تريد. نزعت فوطتها، فكشفت عن جزء من صدرها الناهد، ثم كشفت عن ساقين ممشوقين. نزع هو دشداشته وسرواله، فأدارت وجهها وأغمضت عينيها.

عندما انتهى الخياط لم يفكر أن يقول لها شيئاً، أو أن يطلب منها العودة ثانية. لبست فوطتها ووضعت عباءتها فوق رأسها. تناولت السلة وطلبت منه أن يفتح لها الباب قبل أن تنزل. نزل وفتح لها الباب، ونزلت السلالم بسرعة، وبسرعة غادرت المكان. كانت تريد أن تبتعد، ولم تكن تريد أن تنظر إلى أي شيء، وفيما إذا كان الناس ينظرون إليها أم لا. ومع أنها متأكدة من أن أحداً لم يشاهدها، ولكنها كانت تشعر بأنها تسير عارية. كانت تريد فقط أن تدخل سوق الخضرة الكبير وتختفي ضمن الآخرين. صارت تسير بسرعة. لم تفكر بالخطيئة أو الندم. شعرت فقط أنها تداركت الموقف، ولكن ثمة شعور غريب بالمتعة قد انتابها. شعور لم تكن تعرفه من قبل طوال حياتها مع زوجها. لم تكن قد شاهدت الرجل بوضوح، ولم يكن ذلك يعنيها، لكن شعوراً ما كان قد انتابها لم تكن تعرف مصدره. إنه الشعور بالسرية الذي منحها متعة خاصة لم تكن تعرفها من قبل. بين المتعة والخوف أحست بالطمأنينة عندما وجدت نفسها في السوق وسط الزحام.

وسط السوق تخلصت حليمه من لحظة شعورها عارية أمام الناس. تنفست الصعداء. خرجت من السوق وسلتها مليئة بالخضار والفواكه والسمك.

إتكأ ستار على الوسادة فوق سطح الدار صيفاً وهو يحرك بالمروحة المصنوعة من خوص سعف النخيل. جلبت حليمه اللبن فشرب ستار كأساً منه. وضع الرز في الصحن من القدر وكذلك اللحم المطبوخ. حليمه قلقة شاردة الذهن. تحدث ستار وهو يبدأ بالأكل. هي تضع الطعام في فمها شاردة الذهن بدون شهية ثم تتوقف عن الأكل بسبب ما حصل لها. قال ستار:

- ليش ما تاكلين؟ حصل شي؟ إذا المشكلة بسبب الطفل. إن شاء الله نجمع شوية فلوس ونروح للطبيب نعمل فحوصات.

نظرت إليه نظرة ذات دلاله بأنها ليست المشكلة في عدم الإنجاب. تركت الطعام وذهبت مسرعة نحو سياج السطح. لحق بها ستار مسحت دموعها بفوطتها. تقدم ستار نحوها. قال لها:

- تعالي ناكل سوا. إذا ما تاكلين، أنا ما راح آكل. تعالي. ما يصير خاطرج إلا طيب!

قبلها في رأسها. صار نشيجها بكاءً!

ناما في عمق الظلام وعند الصباح سمعا صياح الديك ليعلن عن فجر أبيض، وترى الحارة من خلال سطوحها ومن مئذنة الجامع وكأنها تسبح في نور السموات. سمع آذان الفجر ممتزجا بصياح الديكة.

أيـــام عاشـــوراء

الحارة مجللة بالسواد

حلت أيام عاشوراء لتجلل حارة الخندك بالرايات السوداء، واللافتات التي تمجد بطولة الإمام الحسين في ملحمة كربلاء. الأضواء تتلألأ ليلا في المكان الذي تروى فيه ملحمة الحسين وقصة مقتله في معركة الطف. يتبرع جعفر حديد الكهربائي بنشر الأضواء ويمد أسلاك الكهرباء في أزقة الحارة حيث مجلس عزاء الحسين.

في ختام مجلس عزاء حسيني. قارئ الروضة على المنبر يردد الدعاء:

- اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا. اللهم ارحم موتانا. اللهم وأحشرنا مع القوم الصالحين. وأرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.. آمين

جلست النسوة بالملابس السوداء تتصدرهن الملاية التي تندب استشهاد الإمام الحسين في معركة الطف ومعاناة نساء بيته في تلك المعركة التي استشهد فيها الحسين وأنصاره عطشى.

بكت النسوة وصاحت الملاية.

ثم قال الحسين عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوت، والله كثر واتره وقل ناصره، ثم أحتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض، وقد وضع الحسين صدره على صدره قال، فقلت في نفسي ما يصنع به؟ فجاء به حتى ألقاه مع إبنه علي بن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته. فسألت عن الغلام فقيل هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب

صرخت الراوية الملاية وا قاسماه وبكت النسوة وصرخن وا قاسماه

في باحة بيت واسعة متصلة ببستان نخيل أوقدت النار تحت قدور الطعام

الكبيرة. نسوة كثيرات كل نساء حارة الخندك يسهمن في إعداد الطعام ليوم العاشر من محرم الحرام. حليمه تشعر بشيء من الغثيان وهي تسهم في إعداد الطعام. بعض النسوة يقشرن البطاطة والبعض الآخر يطبخن الرز.

ابتعدت حليمه عن المكان داخل البستان واستفرغت خلف نخلة قرب النهر. غسلت وجهها بماء النهر. شعرت بأن ثمة جنين يتحرك في رحمها. عادت. جلست قرب إحدى جاراتها. سألتها جارتها:

- خير حليمه وجهك فيه قليل من الإصفرار، وهذه علامة حمل!
- الله يسمع منك إن شاء الله. ما عندي نصيب.
- يجوز الله كتب إلك نصيب. كثير نسوان يتأخر الحمل عندهن وبعدها يكثر النسل!
- واحد بس! طفل واحد بس أسمع ضحكته وقت الصباح.

كانت حليمه تتحدث وهي في شيء من الشرود.

سألتها جارتها:

- لماذا لا تذهبين معنا لزيارة مرقد الإمام الحسين. وتنذرين نذراً وتطلبي المراد من أبي عبد الله الحسين. والله موجود وبجاه أبي عبد الله الحسين يمكن أن يأتي الحمل.

تركت ليلى مكانها لتساعد الجارة في إعداد الطعام، قائلة:

- أساعدكم حتى يطبخ الرز.

بدأت ليلى بتقشير البطاطا. سألتها الجارة:

- إن شاء الله رايحه السنة معنا لزيارة الإمام الحسين.
- إن شاء الله.

كان أهالي الخندك يضربون على صدورهم بأكفهم بينهم سوادي وغانم وهلال وعدد من أعيان الحارة، فيما عربات محملة بالقدور الكبيرة المغطاة والتي يخرج منها البخار يدفع بها أهالي الخندك متوجهين نحو الحسينية

يتعاون أهالي الخندك، الشباب منهم بحمل القدور الكبيرة وإدخالها للحسينية وبعض الرجال يفرشون سفرات الطعام البلاستيكية كي يضع فوقها الصبية الصحون والملاعق.

وفيما يوضع الطعام أمام الرجال الذين جلسوا إلى جانب بعضهم والشباب إلى جانب بعضهم، يدور الحديث عن البناء الجديد في الحارة الجديدة.

حدث الحاج سلمان صاحبه زاير مناتي قائلاً:

- ضروري تسرع في شراء قطعة ارض، لأن إذا ما رحت الآن ما راح تحصل. أشتري قطعة الأرض ومتى ما تحب تبنيها أبنيها.
- لا ما تقلق. فتح لي السيد محمد الموسوي استخارة وجاءني الرأي إيجاباً من القرآن الكريم. المقاول صاحبي وطلبت منه قطعة أرض ركن وحجزتها. بكرة إن شاء الله أكمل المعاملة وأدفع المقدمة.
- وأنا تحدثت مع الشركة اللي راح تشرف على البناء وتكلمت أيضاً مع المقاول. يخلي بالخريطة قطعة أرض كبيرة واسعة نبني فيها حسينية.
- أنا عندي وجهة نظر. يجب أن نفكر بشكل جيد. صحيح، في كل حارة ينبغي أن تكون هناك حسينية حتى الحارة تكون إن شاء الله مباركة والحسين روحي فداه يحميها من كل شر لا سمح الله. إذا بنينا حسينية معناها إعترفنا بحارتين. قطعنا الوصل بحارة الخندك، بينما لو نوسع هذي الحسينية ونخليلها رونق تكون هذي الحسينية رمز لحارة الخندك. وما نشعر أهل الخندك إننا إنفصلنا عنهم. في تقديري هذا الموضوع يحتاج إلى إجتماع.

كان ستار زوج حليمه يصغي لحوارهم وأحيانا ينتابه ما يشبه الشرود.

في بيت المختار وفي باحة البيت، كانت الملاية تقرأ في المقتل والنسوة يبكين. وبعض الصبايا يرتبن أواني الطعام على سفرات البلاستيك. حليمه بين النسوة تبكي.

- عند سفرة الطعام شعرت حليمه بالتعب وبما يشبه الغثيان. شاهدتها زوجة

المختار وقالت لها.

- ليش ما تاكلين؟
- تعبانه، ما عندي شهية للأكل. يمكن أروح للبيت أنام.

نهضت زوجة المختار وقالت لها:

- تعالي معي.

نهضت حليمه ذهبتا باتجاه قدور الطعام. أدارت زوجة المختار طعاما من قدور الطعام في قدور صغيرة ووضعتها في سلة وأعطتها إلى حليمه قائلة:

- روحي إرتاحي. تعبتي اليوم بالطبخ. روحي نامي وراح تصحين جوعانه. خذي هذي حصتكم. إن شاء الله تصحين مرتاحة بجاه أبي عبد الله الحسين«عليه السلام».

استلقت حليمه على فراش فوق سطح الدار وغفت، وإلى جانبها السلة التي فيها قدور الطعام، فيما زوجها ستار يدير اللبن في القدح. فاقت حليمه من نومها وشاهدت زوجها يشرب اللبن. قال لها:

- تحبين تروحين لزيارة الإمام الحسين«عليه السلام»، ويه الموكب؟
- والله ردت أطلب منك أروح للزيارة. الله يطول بعمرك. أنت ما تروح؟
- المقاول راح يعطينا أجور مضاعفة، لأن عندهم سفينة كبيرة لازم نخلّص صبغها. روحي وأنا ألتحق فيكم بزيارة الأربعين إن شاء الله.

منائر الذهب

سار موكب الحافلات في الشوارع المؤدية إلى مدينة كربلاء. في مقدمة الحافلات ترفرف الأعلام السوداء والتي كتب عليها يا حسين. نظرت أم هلال وحليمة وليلى وأمها إلى قبة ضريح الإمام الحسين«عليه السلام» والتي بانت من بعيد تنعكس الأضواء على ذهب المنائر والقباب، وبدأت دموع النسوة تنهمر. وصاح سوادي في داخل السيارة.

- أفلح من صلى على محمد وآل محمد.

وردد الجميع الدعاء بثلاث مرات.

وضع الرجال أطراف يشامغهم على عيونهم ونحبوا، لكن القلوب كانت تشعر بالإطمئان أنهم سيكونون قريبين من الحسين، فهو يمنحهم الصبر والبطولة ومقاومة الصعاب، ويستجيب لدعائهم ويكون أخا وأبا حنونا لهم.

وقف سوادي داخل الحافلة قائلاً:

- يا جماعة الخير. الحاج كاظم مختار حارتنا كثر الله من أمثالة حجز لكم ثلاث بيوت خان واحد بجانب الثاني، كل خان فيه حوالي عشرين غرفة. كل عائلة بعائلتها. أدعوا له بالخير. ترتاحون، تتعشون، وتنامون زين، وإن شاء الله لقائنا أول الصبح بعد الفطور حتى نتوجه لزيارة مرقد أبي عبد الله الحسين روحي فداه وأفلح من صلى على محمد وآل محمد. وردد الجميع الدعاء ثلاث مرات.

دخل موكب الخندك مدينة كربلاء المقدسة واصطفت الحافلات قرب البيوت. حملة الرايات يضعونها في زوايا الخان، فيما هلال يقرأ الأسماء وسوادي يشرف على توزيعهم.

وفيما نامت ليلى وأمها في الغرفة إستلقت حليمة في نفس الغرفة يقظة ودموعها تنساب على وجهها الحنطي. وإلى جانبها جرة ماء فخارية نامت وغرقت في حلم. رأت نفسها في بستان نخيل وشخص يشبه شمر بن ذي الجوشن الذي أمر بقتل الإمام الحسين يحمل سيفاً وهو يركض ويقتل في الناس. مسكت حليمه طرفي عباءتها وتوجهت نحوه وبصقت في وجهه.

- تفو!

هرب الشمر من الساحة.

فاقت من الحلم ومدت يدها إلى جرة الماء وشربت منه وتدفق بعض الماء على صدرها الناهد.

صباحاً مع مواكب الزائرين سار موكب الخندك بين المواكب رافعا اللافتة السوداء المكتوب عليها يا أبا عبد الله الحسين باللون الأبيض وتحتها توقيع موكب أهل الخندك. الكل يسيرون في حلقات دائرية. وخلفهم النساء يؤدين بحركات تعبيرية من أكفهن على الصدور فيما رادود الموكب يلقي الشعر. كل حلقة من الزائرين تتسلم الترديد من الحلقة التي قبلها والتي بعدها تتسلم من التي قبلها. موكب النساء لحارة الخندك يتسلمن الترديد من حلقة الرجال. يتقدم الموكب أعيان الحارة. ثم الشباب والرجال الفقراء وفي مقدمتهم سوادي ومجيد وهلال وعبد النبي والشرطي جاسم. وداود عبد الكريم المعروف بصوته الشجي يكتب الشعر ويأخذ دور الرادود. وسوادي أكثر المتحمسين في توزيع الإيقاع والإشارات.

- موكب الخندك معتني يزورك.
- يتفاخر ويتبارك بنورك.
- وكل من يعاديك إنتهى وراح.
- يا مهجة الأرواح.
- حسين.. حسين.. حسين.

في موكب النساء، الملاية زهره تلقي الشعر والنسوة يرددن. تتقدم موكب النساء أم ليلى وأم سامي وزوجة الحاج حسين وكذلك ليلى. حليمة دموعها تنهمر. وكلما إقتربت من مغزى الزيارة، إزدادت حزناً وندماً وأسى. هي تردد وتبكي شاردة الفكر.

- زوار أجينه الحضـرتك يا حسـين.
- نتفاخر ونتبارك بنورك.
- زينب تنادينا يا رمز والينا.

موكب الرجال والشـيوعي عبد النبي كمن يود المشاركة أخذ ينشد:

- الله وأكبر يا أبو فاضل.
- بجفوف أيديك إنعيش وإناضل.
- ونسعد الفلاح والعامل.
- يا شمس ماضينا.. الحسـين والينا.

كانت الاستجابة للردة خافتة. يهمس الشـرطي جاسم في إذن عبد النبي قائلا:

- ما تصير عبد النبي لو بلشفي لو حسـيني.

الرادود الذي انتبه إلى عبد النبي وهو يحاول رفع شعارات شـيوعية، يعيـد الـردة الحماسـية السابقة وبحماس أكبر.

الوقت مشمس قائظ. وحلقة موكب الخندك تردد بحماس كلمات الرادود. العرق يتصبب من وجوههم. فجأة يغطي الموكب ظل من سـحابة تحجـب وهـج الشـمس الحار. صاحت المواكب والزائرون وهم يتطلعون إلى السماء.

- اللهم صلي على محمد وآل محمد.

قسم من المستقبلين يرشون الماء على الزارين كي يخففوا من حرارة الجو. إنتبهـت الملاية زهره إلى ثلاثة أطفال بملابس بيضاء يدخلون موكب النساء وهم يرشون ماء الورد من قوارير نحاسـية. ثم يغادرون. الملاية زهره تركت الموكب ولحقت بهم.

مشت الملاية زهره مسرعة في زقاق. الأطفال الثلاثة يدلفون في زقاق آخر. الملاية تدلف في ذات الزقاق. يكونون هم قد وصلوا إلى نهاية الزقاق فلا تراهم لكنها شاهدت ثلاث حمامات بيضاء تطير من الزقاق وتسبح في السماء الزرقاء. الملاية تقول مع نفسها:

- سبحان الله. اللهم صلي على محمد وآل محمد.

عادت الملاية زهره ودخلت الموكب ثم ضربت بحركة إيمائية على صدرها. توقف الموكب مثل ما توقفت المواكب.

من على منبر حسيني أكمل رجل دين وقور خطبته:

- .. وأن نتخذ من هذه المناسبة، مناسبة استشهاد سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بأن نتخذ من فكرة الظمأ ماءً نسقي به نخيل العراق وبساتينها. ونزرع الفواكه والسنابل ونرويها بماء دجلة وأديم الفرات ونحيل العراق جنة الله على الأرض والعراق أرض المقدسات وأرض الأنبياء وكل الأخيار. فلنحيل عطش الحسين وظمأ الحسين رمزاً. ونضع ماءً للسبيل في كل مكان يروي الزائرون منه ظمأهم باسم سيد الشهداء.
- ربنا وأشفي مرضانا..
- آمين.
- ربنا وارحم موتانا..
- آمين.
- ربنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.
- آمين.
- ربنا وأغفر لنا خطايانا..

- آمين.

عندما جاء الدعاء ربنا وأغفر لنا خطايانا بكت حليمة ونزلت دموعها بصمت ثم صار بكاؤها الصامت نشيجاً.

وقفت الملاية زهره في باحة الحضرة الحسينية مستئذنة الدخول وخلفها ليلى وحليمة وأم هلال والصبايا الثلاث وهن يستأذن بالدخول مرددات ما تقرأه الملاية في الكراس الصغير. كما يقرأ هلال الإستئذان بالدخول ويقف خلفه الرجال:

- أأدخل يا مولاي الحسين بن علي، أأدخل يا مولاي بن علي. أأدخل يا مولاي جعفر بن محمد، أأدخل يا بن الحسين، أأدخل يا مولاي محمد مولاي محمد بن علي، موسى بن جعفر، أأدخل يا مولاي علي بن موسى، أأدخل يا مولاي علي بن محمد، أأدخل يا مولاي يا أبا محمد الحسن، أأدخل يا مولاي يا أبا الحسين علي بن محمد، أأدخل يا ملائكة الله الموكلين بهذا الحرم الشريف

بعد أن أنهى هلال الإستئذان بالدخول قال مجيٌد لصديقه سوادي:

- أنا ما أدخل أزور. أخاف. ذنوبي جثيرة.

قال له سوادي:

- وين تروح؟ شلون تقدر تطلع من هذا الحشر؟

قال مجيٌد متوسلا سوادي:

- ذنوبي جثيرة، وأخاف يشوًر بيٌه أبا عبد الله الحسين.
- الحسين«عليه السلام» قلبه كبير يا مجيٌد.
- تريد الصدق أنا أرجف من الخوف.

- شفت حتى تجوز من سوالفك الرديئة. إذا عند أبا عبد الله الحسين وهو من جماعتنه وترجف، بيوم الحشر يوم القيامة، شلون؟

وفي داخل مرقد الحسين سادت أصوات الدعاء متناغمة.

- يا غريب كربلاء أشفي كل مريض. يا غريب كربلاء ترجع كل غريب إلى وطنه. روحي فداك يا أبا عبد الله الحسين. السلام عليك يا غريب كربلاء. السلام عليك يا مظلوم كربلاء. السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله. السلام عليك يا وارث نوح نبي الله. السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله. السلام عليك يا وارث موسى كليم الله. السلام عليك يا وارث عيسى روح الله. السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله. السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين علي ولي الله. السلام عليك يا بن محمد المصطفى. السلام عليك يا بن علي المرتضى. السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء.

فجأة وصل مجيٌد ومعه سوادي تشبث مجيٌد بالشباك وصاح:

- دخيلك يا أبا عبد الله. سامحني. أنت شفيعي.

أجهش مجيٌد بالبكاء، وبكى سوادي وهو يتلو دعاءه بهمس ويبكي.

- أنت شفيعنا في الدنيا والآخرة. وشفيعنا في الدعاء. أن لا يبقى بيننا مظلوم أن لا يبقى بيننا محتاج. الحاجة ثقيلة يا أبا عبد الله. وأن لا يتسلط علينا من لا يرحمنا بحق السميع العليم.

تنهمر دموع سوادي

حليمه دموعها تنزل وصوت ضميرها تسمعه همساً.

رددت حليمه مع نفسها القول:

- يا أبا عبد الله الحسين. روحي فداك. نجني من الخطيئة اللي حلت بي. لم يكن لي ذنب. اللحظة كانت قاسية. أشعر بوجود روح بأحشائي. روح تتحرك ولا أعرف ماذا أعمل. فداء لروحك الطاهرة يا أبا عبد الله الحسين. أهدني الطريق الصحيح.. أنا غلطانه روحي فداك يا حسين.. أنا غلطانة.

جاسم الشرطي بملابسه المدنية يقبل شباك ضريح الإمام الحسين. الشيوعي عبد النبي يقبل شباك ضريح الإمام الحسين. الشرطي يلقي نظره على عبد النبي ويكاد أن يكون غير مصدق بقبلته لشباك الإمام. هلال يقبل شباك ضريح الإمام الحسين. أمه تقبل شباك الضريح وإبنتها ساميه تقبل الشباك وسط الأدعية وأم سامي تردد مع الأصوات.

- السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله. السلام عليك يا وارث علي ولي الله.

رددت أم ليلى القول:

- السلام عليك يا غريب كربلاء.

الفتيات الثلاث يمسكن بشباك ضريح الإمام الحسين«عليه السلام». يذرفن الدموع.

الفتاة ١:

- فدوه رحت لإسمك يا أبا عبد الله الحسين. ما أريد منك غير تعرف محبتنه إلك. نفدي اسمك بأرواحنا. نطلب منك الشفاعة وأطلب من الباري«عز وجل» وأنا بحضرتك أن تمنح كل أهل العراق الخير والفرح وتنصرهم على أعدائهم. يا رب أنصر العراق. يا رب.

الفتاة ٢:

- يا أبا عبد الله الحسين. إن شاء الله تتحقق أحلام كل بنات العراق. بالسعادة والأفراح. بنات العراق يستاهلن كل خير. بنات مظلومات.. يا رب. أنصر العراق. يا رب.

الفتاة ٣:

- يا أبا عبد الله الحسين. فدوه رحت لإسمك الغالي. بحضرتك أطلب من الباري عز وجل أن يشفي كل عليل. ويساعد كل محتاج. ويرحمنا برحمته وهو أرحم الراحمين. يا رب أنصر العراق. يا رب.

في باحة المرقد خرج سوادي ولحق به مجيُّد وكذلك عبد النبي والشرطي جاسم قال مجيُّد:

- له رهبه أبا عبد الله.

أجابه سوادي:

- طبعا له رهبة.. هذا هو الحسين!؟

جاسم الشرطي ينظر إلى عبد النبي ويقول له:

- إن شاء الله أتمنى لك التوبة.

أجاب عبد النبي:

- ليش ماذا عملت حتى أتوب؟

رد الشرطي جاسم:

- إن شاء الله ما ترجع بعد الزيارة بلشفي. كل السنة أنت بلشفي. وتترك سبع تيام تصير حسيني وترجع بلشفي. شلون يصير. اللي يتوب يتوب مرة واحدة.

قال سوادي:

- شوف عمي جاسم. المهم واحد يجي في نيه صافية. هذه فايدة الزيارة. الحسين«عليه السلام» يجمعنا بالخير وحب الوطن. الواحد يطلع مرتاح ونظيف.

فقال عبد النبي:

- تسلم يا سوادي أنا من بكيت وطلعت شعرت وكأنني راح أطير. وأحس نفسي نظيف. لأني إعتذرت وبكيت من كل قلبي.

حيث يلقي القمر بضوئه لمسات على وجوه أهل الخندك وهم في الخان جلسوا رجالا ونساءً يرشفون الشاي الداكن يستمعون إلى الملاية زهره تروي لهم حكاية الأطفال الثلاثة. الجميع مشدودون إلى حديث الملاية التي تقدمه بالوصف والإضافات الحسية.

- أريد أحدثكم أخواني عن اللي صار، وأحنه نمشي بالموكب دخلوا وسط الموكب ثلاثة أطفال بعمر الورد ولابسين ملابس بيضاء وحلوين مثل الملائكة ورشوا علينا ماء الورد.

أم ليلى:

- آنا شفتهم مثل ما توصفين.

ليلى:

- أنا أيضا شفتهم. يمكن كل أحنه شفناهم.

حليمة:

- أنا شفتهم بقوا للحظات وراحوا.

واصلت الملاية القول:

- بس ما تكلموا. ولا واحد منهم نطق. من تركونا وراحوا. أنا بصراحة قلبي رجف. قررت أروح وراهم. أشوفهم وين يروحون. تركت الموكب. أستأذنت مع نفسي من أبي عبد الله الحسين. ورحت. من زقاق إلى زقاق. أنا أمشي وهم يسرعون. يطلعون من زقاق يدخلون بزقاق ثاني. وفي أيديهم أباريق مزركشة بكل الألوان. كأنها مصنوعة في الهند أو إصفهان. وكانوا يرشون الطريق المؤدي إلى مرقد الإمام بماء الورد. ورائحة ماء الورد تملي الأزقة. بعدين شافوني ودخلوا بزقاق ينتهي. بيوت الزقاق تختلف عن بقية البيوت وكلها مصبوغة بيضاء وألأبواب خضراء. من دخلت بهذا الزقاق ما شفت أثر للأطفال لكن شفت ثلاث حمامات لونهن أبيض، حلقن في السماء الزرقاء.

ردد الحاضرون:

- اللهم صلي على محمد وآل محمد.

الملاية.

- لا أحد روى لي القصة ولا قرأتها بالكتب. بعيني شفتها.

قال سوادي:

- وأحنه نمشي بذاك الطقس الحار مثل جهنم. فجأة أجت غيمه وحجبت الشمس. ورأساً راحت الحرارة وبذاك الزمهرير المنعش مشت المواكب. الكل شافوها بعيونهم.

- اللهم صلي على محمد وآل محمد.

كانت مدينة كربلاء مزدانة فجراً بأضواء مرقد الإمام الحسين ليلا ومرقد الإمام العباس ليلاً. صوت المؤذن يضفي قدسية على المدينة الدينية المقدسة.

- يا جماعة الخير. حاضركم يبلغ غاييكم. قسم من ربعنا. بقوا يصلون في حضرة الإمام الحسين. الصبح بعد الفطور إن شاء الله نروح للسوق. اللي يحب يشتري حلاوة جزر. يشتري عطور كربلاء. يشتري تربة من تراب كربلاء أو مسبحات مباركة. وما تتأخرون في النوم والفجر نتوجه إن شاء الله صوب الخندك. صلوا على محمد وآل محمد.

ردد الجميع دعاء الصلوات ثلاث مرات.

تحرك الناس لفرش البسط والسجاد داخل الخان وفي غرف النوم.

إستلقت ليلى وأمها على فراش ارضي عريض وقريب منها إستلقت حليمه كانت أم ليلى تروي حكاية إلى حليمه. قالت أم ليلى:

- امرأة من مدينة طويريج السنة الماضية، زارت ضريح الأمام الحسين ومعها طفلها الكسيح. وفي الليل جاءها في المنام طير غريب الشكل وحلو وهو يحمل في منقاره الأحمر خيطاً أخضر اللون، وقال للأم، شدُّي هذا الخيط في رسغ ولدك الكسيح. وبعد ما صحت من النوم شافت الخيط فعلاً على مخدة ابنها الكسيح، فشدته في رسغه، وفي الصباح صحا ابنها الكسيح من النوم وجاءها ماشياً.

تمتمت حليمه مع نفسها بالصلوات.

ثم غرق الجميع في أحلامهم نائمين.

مثل ضباب الفجر في العتمة ظهرت أمام حليمه بعض ملامح رجل وقور وبيده كتاب يقرأ فيه. حليمة تضع على رأسها شيله أشبه بشال أسود، وقد ظهرت خصلة من شعرها التمري اللون خارج الشال الأسود. الرجل الوقور. يرفع رأسه عن الكتاب الذي يقرأ فيه ويقول لها:

- غطي يا إبنتي خصلة شعرك الظاهرة للعيان.

بصعوبة وكمن يشعر بيده ثقيلة ومخدرة حركت حليمه يدها وسحبت الشال ليغطي خصلة شعرها الظاهرة من الشال، حينها أغلق الشيخ الكتاب وقال لها:

- اسمعي يا ابنتي. إن ما فعلته هو رجس من عمل الشيطان. أما الطفل الذي في أحشائك فأنه حياة لا يحق لك قتلها. سترزقين بمولود ذكر، احمليه على كتفك الأيمن واحملي ذنبك على كتفك الأيسر حتى يوم القيامة.

بعد أن ينتهي الشيخ من مقولته. فاقت حليمه مع صوت صياح الديك فجراً وكأن خيال الشيخ الوقور ماثل أمامها بشكل مجسم بين النوم واليقظة، ثم صحت تماما على أصوات ديكه بعيدة، وإختفى خيال الشيخ.

في اسواق كربلاء

إنتشر أهالي الخندك في سوق كربلاء. سوادي وأمه ومجيُّد يقفون عند أحد محلات بيع الحلوى. قال سوادي لبائع الحلوى:

- كيلو حلاوة جزر.

اعترضت أم سوادي ورجت من سوادي أن يقلل الكمية.

- نصف كيلو يكفي. وين نوديه؟

قال لها سوادي:

- شلون وين نوديه. ناكله. هي بالسنة مرة نجي إلى كربلاء. الخير جاي الخير جاي بجاه أبي عبد الله الحسين. لا تقلقين. من ناحية الفلوس. الله موجود.

طلب مجيًد من بائع الحلوى أن يزن له ربع كيلو فتدخل سوادي قائلاً:

- ربع كيلو؟ زن له كيلو على حسابي.

ثم همس في أذن مجيُّد:

- وراح أشتريلك قنينة عطر.
- صديق العمر والله صديق العمر.

إلتفت مجيًد نحو بائع الحلوىٰ والعطور وقال له مازحاً:

- عمي الحاج. يرحم والديك. أخذ صورة لأخي سوادي وخلوها علىٰ علبة العطور وكتبوا عليها. عطور باكستانية أصلية.

وقف جاسم الشرطي وعبد النبي قرب دكان الحلوىٰ. جاسم الشرطي قال لصاحب الدكان:

- بالله ما تعطيني شوية حلاوة أذوقها.

البائع يعطيه قطعة حلوىٰ. عبد النبي ينفجر ساخراً ويقول للشرطي جاسم:

- هاي شنو عمي جاسم. صار عشر دكاكين تذوق الحلاوة. تريد تطلّع حلاوتك بلاش؟ أكثر من نص كيلو حلاوة صرت ذايقها. مو يروح يصير عندك أسهال. عمي إعطيني أنا أذوق.

البائع يعطي عبد النبي قطعة من حلاوة الجزر. عبد النبي قال للبائع:

- عاشت أيدك عمي. أحسن حلاوة أوزن لي كيلو وأوزن للأستاذ جاسم كم تريد؟

عقب الشرطي:

- هذه كلمة أستاذ موصافيه! بيها إنٌ! أوزن لي نص كيلو.

وقف نديم قرب محل عطور نسائية وحده وهو يقول للبائع:

- هذي رجاء عطور نسائية.
- نعم هذي الجهة كلها نسائية. وإذا تريد نوع برنجي أصلي. أنصحك بهذي. عطر علامة الفراشة. برنجي مواد طبيعية. أخذها وما راح تندم. بس بخمسمائة فلس. نص دينار.
- إعطيني واحده.

كانت الفتيات الثلاث يقفن عند فاترينة محل بيع العطور ويتطلعن للعطور

بأشكالها المختلفة الأحجام والأنواع. الرجالية منها والنسائية.

الفتاة ١:

- ندخل نسأل عن السعر.

الفتاة ٢:

- نديم يشتري عطر إلى ليلى إذا نشتري عطر رجالي يشك.

الفتاة ١:

- ليش نشتري عطور رجالية!

الفتاة ٢:

- نشتري عطر نسائي ونشتري كل وحدة قنينة عطر رجالية ونخبيها لحين يأتي النصيب.. آه.

الفتاة ٣:

- وأنا أريد أشتري عطر إلى أخي. من يطلع نديم إحنه ندخل.

الفتاة ١:

- وليش نبقى واقفين هنا. نروح نشتري حلاوة جزر. يكون نديم غادر ونرجع نشتري عطور براحتنا.

الفتاة ٢:

- معقولة..

غادرن محل العطور.

الفتيات الثلاث وقفن عند دكان بائع حلوى الجزر. سألنه.

الفتاة ١:

- بكم كيلو حلاوة الجزر؟

رد البائع:

- دينار ونص.

الفتاة ٢:

- اللي بأول السوق يبيع بدينار وميتين.

الفتاة ٣:

- دينار ومائتين ناخذ منك ثلاث كيلوات كل وحدة كيلو.

قال البائع:

- أخذوا ذوقوها وبعدين شوفوا كمية الفستق اللي بيها. آخر سعر لأجل العيون الحلوات دينار وأربعمائة وخمسين للكيلو.

ضحكت الفتيات وهن يتذوقن العينات التي قدمها لهن. قالت الفتاة الأولى:

- كل وحده كيلو. عندك علب قوية؟

- طبعاً حلاوة بالسلوفان والعلب والأكياس. أنتن ما متزوجات؟

الفتاة ٢:

- شلون عرفت؟

- واضح. ما طلبتن مراد؟ طلبن مراد ونذرن نذور، ومن ترجعن إن شاء الله تندعن لي.

الفتاة ٣:

- يا.. صحيح، ما طلبنه مراد. شلون نسينا؟!

الفتاة ٢:

- نودي الحلاوة للخان ونروح نطلب مراد وننذر نذر.

- عمي إذا أجونا خطابة نعزمك للخندك بالبصرة. بس تجيب وياك للحفل حلاوة جزر.

- حاضر..

خرج نديم من دكان العطور. ودخلت الفتيات الثلاث محل العطور وهن يحملن أكياس الحلوى. سلمن على البائع.

الفتاة ١:

- إسمع إحنا مستعجلات. هذا اللي كان عندك من البصرة وجاي ويانا للزيارة

وإشترىٰ منك عطر. أحلفك بالعباس بكم بعت له تبيع النه وشنو نوع العطر اللي أخذه؟

بائع العطور:

- إشترىٰ عطر الفراشة النسائي والرجالي بستماية وخمسين فلس.

الفتاة ٢:

- نقدر نجرب نشم العطر.
- من عيني. تفضلوا. هذا رجالي وهذا نسائي.

الفتاة ٣:

- نشم الرجالي أولاً.

يأخذن من القنينة العينة في أيديهن عطر رجالي. يبتعدن قليلاً عن البائع. قريب من باب الدكان ويقتربن من بعضهن كثيراً ويشممن العطر. الفتاة الأولىٰ تقول:

- يخبُّل.

الفتاة ٢:

- العطر لو صاحب العطر.

الفتاة ٣:

- هو يخبل. ما كنت أعرف الكربلائيين حلوين بهذا الشكل!؟

الفتاة ١:

- يله نشتري. أسمع، أحنا راح نسأل صاحبنا كم دفع لك. إذا مو نفس السعر نرجعهن.
- إحنا ما نغش. بعدين معقولة واحد يغش مثل هذا الجمال. وليش مستعجلات.

الفتاة ٢:

- عدنه نذر. نريد نطلب مراد.
- ما هو المراد؟

الفتاة ٢:

- معروف المراد. يعني إلا نقول لك؟!
- متعلمات؟ داخلات مدرسة؟

الفتاة ٣:

- ليش هذا السؤال. سؤالك مو لله بالله.
- لأن أنا هم طالب مراد وناذر نذر.

البائع وهو يلف العطر ويتسلم النقود. يقول لهن:

- تقرون وتكتبون؟ داخلين مدرسة؟

الفتاة ٢:

- مخلصات ابتدائية. وداخلات مدرسة عند الملاية زهره. يعني نقره قرآن ونقره جرايد. عادي.
- تكتبون إلنا عناوينكم؟

الصبايا يترددن. يضحكن. ويغادرن.

غرفة للإيجار

وقفت حليمه عند باب شعبي وبيدها صرة ملابس وسلة. طرقت الباب. خرجت أمرأة في حوالي الخمسين من عمرها. سلمت عليها.

- تفضلي أمري.
- ما يامر عليك ظالم. أنا أجيت للزيارة وأريد أبقى بكربلا كم شهر. ما عندكم غرفة صغيرة للإيجار.
- وحدك؟
- أي وحدي.
- ليش وحدك؟

- زوجي ما حصّل إجازة من الشغل. يجيني بزيارة الأربعين إن شا الله.

- يعني تريديها أربعين يوم.

- شهرين.

- شهرين.. الشهر دينارين.

- إذا تساعديني حسبيها دينار ونص الشهر.

المرأة تأملتها قليلا ونظرت نحوها ملياً وقالت:

- واضح انت إنسانة طيبة. تفضلي.

- يطول عمرك وكثر الله من أمثالك.

سارت الأم وحليمه خلفها. وقفت عند غرفة في باحة البيت. دفعت الباب الخشبي وقالت المرأة:

- تفضلي. هذه الغرفة.

دخلتا الغرفة.

في الغرفة الصغيرة. ثمة سجادة ومخدة وفراش على الأرض. وصورة الإمام الحسين والإمام العباس والإمام علي بن أبي طالب معلقة على الجدار. فتحت المرأة نافذة خشبية صغيرة فأضاءت عتمة الغرفة. المرأة سألتها عن إسمها. وأحست أنها متعبة، فتركتها وخرجت.

خرجت المرأة. وضعت حليمه صرة الملابس إلى جانب الفراش. جلست شبه منهارة. بقيت متأملة حزينة مأخوذة. نزلت فجأة دموعها بصمت. ونامت من شدة التعب والحمل!

إستيقظت ليلاً مع صوت الآذان.

البحث عن حليمة

في غرفة في بيت أهل الخندك المستأجر في الخان، جلست أم ليلى على الأرض وإلى جانبها ليلى وقالت ليلى لأمها:

- حليمه للآن ما رجعت.

- تجي، وين تروح؟ يجوز إنها جالسة في حضرة الإمام الحسين«عليه السلام». ويجوز عندها نذر. الله أعلم.

قالت الأم ذلك، ولكن قلقاً حقيقياً كان يساورها.

فيما كان أهالي الحارة يشدون حقائبهم. دخلت باحة الخان أم ليلى ومعها ليلى وقالت لهم:

- يصبحكم بالخير يا جماعة الخير. حليمه للآن ما رجعت. الله أعلم وين موجوده. يمكن في حضرة الإمام!.. ما أدري! فشوفوا الوضع!

حصل ما يشبه اللغط بين أهالي الحارة.

إقترح سوادي تأجيل السفر بعض الوقت. قال للحاضرين:

- الراي رايكم. لكن أنا رأيي نأجل السفر حتى نشوف. إن شاء الله تكون نامت في حضرة مرقد الإمام الحسين«عليه السلام».

ذهبوا نحو مرقد الإمام الحسين ولم يعثروا على حليمه.

ذهبوا نحو مرقد الإمام العباس ولم يعثروا على حليمه.

في الأسواق لم يجدوها.

لم يعثر أحد على حليمة!

ودخل الجميع في الحافلات التي تقلهم لحارة الخندك وحليمة لم تكن في الحافلة. وجلس الجميع في صمت وخوف وحزن. لا أحد يتحدث.

مشت الحافلات على الطريق نحو مدينة البصرة. لا شيء سوى صوت الحافلات.

لا يزال الصمت يخيم على الجميع والحافلة تسير بهم. سوادي يقول وكأنه يحدث نفسه.

- ماذا سنقول للناس؟! ماذا نقول لزوجها ستار؟!

الصمت يسود الحافلات العائدة إلى الخندك.. لا شيء سوى هدير الحافلات. وحليمة في مكان ما من مدينة كربلاء لا يستدل عليه أحد، والحزن يسود الحافلات العائدة إلى حارة الخندك التي تركوها خالية، وكلمات البصارة ترن في أذني الحاج سلمان شايفه الدنيا جايتها عجاجة صفرا حمرا جمرا.

جلس ستار في ديوانية المختار وإلى جانبه الحاج سلمان وبعض أعيان الحارة. قال له الحاج سلمان:

- هذا اللي صار. وأحنا ما خلينا مكان ما رحنا عليه. وخلينا خبر عند الشرطة بكربلاء وأكيد نتلقى الخبر اليقين. وأيضاً رحنا إلى مركز شرطة العشار وبلغناهم وهمه يتراسلون مع شرطة كربلاء.

أجاب ستار بالقول.

الله أرحم الراحمين!

أحلام الفتيات الثلاث

منامات

الفتيات الثلاث يحلمن في آن واحد، حيث كثيراً ما تداعبهن أحلام الصبا في اليقظة والمنام.

حلم الفتاة ١:

الأولى، نائمة في فراشها. وترى حلما بين غيوم بيضاء ومثل طائر غريب الألوان يلفها وهي تقول بصوت فيه صدى.

- قبلت.. قبلت.. قبلت..

ثم هي بملابس البيت غاضبة تقول لشخص يجلس أمامها وهي تؤنبه.

- وكم مرة قلت لك ما أقبل تسهر بالليل وتخليني وحدي بالبيت. هذي مو حياة. هذا عذاب. لو أنا لو سهراتك.

- لا. طبعا أنتي. هذي أول مرة وآخر مرة. سامحيني. أبوس أقدامك.. سامحيني. هل تقبلين إعتذاري؟

- قبلت.. قبلت.. قبلت

وتردد الصدى قبلت قبلت قبلت. صحت من حلمها وتناولت جرة الماء وشربت منها وبلل الماء صدرها وندى الحلمتين.

حلم الفتاة ٢:

الثانية، ترى نفسها في غرفة بيضاء وهي تلبس بدلة العرس البيضاء وتسمع زغاريد وطبول، ثم صمت ثم زغاريد وطبول ثم صمت أطول ثم زغاريد وطبول.

تصحو من نومها وتنهض. إلى جانبها جرة ماء وتشـــرب منـه ويـدلق المـاء عـلى صدرها وتبرز من خلال ندى الماء حلمتي ثدييها. ثم تندس في الفراش وتنام.

حلم الفتاة ٣:

في كابينة قطار. الفتاة الثالثة جالسة وأمامها على طاولة الكابينـة التـي تخـرج مـن جانب القاطرة كمية من حلوى المصقول هي بملابس العرس البيضاء. أمامها شاب بطقم أزرق وقميص أبيض مع وردة بابيون يتحدث ولا يلتفت كأنـه التمثـال. هـي تبتسم له. وتحرك رأسها وهي لا تعطي أية ردة فعل. يمـد يـده بطريقـة ميكانيكيـة. ويسحب طرف شـرشف قماش الدانتيل الذي نثرت فوقه حلوى المصقول فيتساقط على أرض كابينة القاطرة ويخرج أصواتا مجسمة تختلط بأصـوات دفـوف وزغاريـد. صحت من نومها وشـربت كأسا من الماء وتدفق بعضه على صدرها وبلل النهدين.

في اليوم الثاني جلست الفتيات وهن يغسلن الصحون. يتحـدثن عـن أحلامهـن المتشابهة، وفيما هن يروين أحلامهن شاهدن شخصا يتكئ على جذع النخلة.. ظنـت أحداهن أنه سـيد صمد المجنون، ونفت الثانية أن سـيد صمد قد مات وشبع موتـا، والثالثة إنتابتها الشكوك لأن في الدنيا أعاجيب غير متوقعة.. فقد يكون سـيد صمد قد عاد من رحلة الأبدية وزال عنه جنونه.

إلتفت الرجل الذي يتكئ على جذع النخلة ليلتقط تمرة سقطت إلى جانبه. تناولها ووضعها في فمه. فإتضح أنه ستار زوج حليمة...

قالت الفتاة الثانية مندهشة:

- ياأأأأ... هذا ستار زوج حليمة! بس لا تخبل!؟ مسكين!

الفتاة ١:

- شلون ما يتخبل. راحت زوجته حليمه للزيارة وما رجعت. لا خلفت له ولد ولا تلد. شلون ما يتخبل؟

الفتاة ٣:

- بس لا يعبر النهر ويجي علينا. هذا شلون حظ.

نهض ستار تمشى قليلاً في البستان بأتجاه قنطرة من جذوع النخيل. عبر القنطرة وإختفى.

الفتيات الثلاث نظرن بإتجاه القنطرة وستار يجتاز النهر.

الفتاة ١:

- الحمد لله راح إلى سبيل حاله.

الفتاة ٢:

- الله كتبها علينا. إلى متى نظل بهذه الحال، بس نغسل صحون ونغسل ملابس ونتفرج على المجانين.

الفتاة ٣:

- يقولون صنعوا غسالات للملابس. تحطين الملابس في الغسالة وتحطين الصابون، وهية تغسل الملابس وتنشفها. لو أهلنا عدهم فلوس ويشتروا غسالات كان خلصنا من هالمصيبة.

الفتاة ١:

- تريدين تسجنينا في البيت وتحرمينا من الطلعة. أربعة وعشرين ساعة نقابل الحيطان. على الأقل هنا نشوف نهر. بساتين. مخابيل!

ضحكت الفتيات.

الفتاة ٢:

- يقال صنعوا راديو يشتغل على البطارية بدون كهرباء. خلينا نجمع شوية فلوس ونشتري راديو صغير. نجيبه أهنا ونسمع زهور حسين وداخل حسن وناصر حكيم وحضيري كل يوم جمعة عنده حفلة غنائية في محطة الإذاعة العراقية. تغني.
- سلم علي بطرف عينه وحاجبه
- أدىٰ التحية وزين يعرف واجبه
- وسلم عليه

صارت الفتيات الثلاث يغنين بين الجد والمزاح. ثم رمين شيئاً من ماء النهر علىٰ وجوه بعضهن

واصلن الغناء

- سلم علي وخاف لا يشوفونه
- أهله عداوة وياي ويمنعونه
- لو مر الأسمر كلهم يحيونه
- يا هله بجيتك يا حبيبي ومرحبه
- سلم علي

وإستمرت الفتيات الجميلات الثلاث يضحكن ويرمين رذاذ الماء علىٰ بعضهن. هدأ الماء وبات صافيا يعكس وجوه الفتيات الجميلات.. كان بعض الأشخاص من ديانة الصابئة المندائيين قد بدأوا ببناء صوباط من بضع قصبات لكي يؤدوا فيه طقوس عرس مندائي..

وصل الصابئة بالملابس البيضاء يتقدمهم رجل الدين ووضعوا تجهيزات العرس داخل الصوباط القصبي.

الفتاة ١:

- راح يعقدون زواجهم داخل الماء.

الفتاة ٢:

- الناس تقول دينهم مذكور بالقرآن الكريم

الفتاة ٣:

- شلون نعرف وإحنا ما قارين القرآن.. خلينه نروح نتعلم قراية وكتابة عند الملاية زهرة.. نقره القرآن ونعرف الدين مالنه.

الفتاة ٢:

- ونعرف شيصير ما يصير بهذي الدنيا..

وصلوا العرسان وبعد شوي ينزلون بالمي.. العروس والعريس مع رجل الدين.. العروس أعرفها إسمها سليمه، معلمه بمدرسة البنات بالعشار قرب الكنيسة اللي بعد الجسر.

الفتاة ٣:

- وليش يعقدون زواجهم بالماء؟

الفتاة ٢:

- هذا دينهم.. كل من ودينه.. لابد عندهم بيها حكمة.

الفتاة ١:

- يحضرون الأكل للعريس والعروس.. ما أعرف من راح تتزوج سليمه؟

الفتاة ٢

- راح تتزوج سميع إبن زهرون الصائغ مال الذهب.. الصابئة أغنياء أغلبهم يشتغلون بالذهب والفضة.

الفتاة ٣:

- معناها الست سليمه راح تفرفح بالذهب.. يا مسعده وبيتج على الشط. ومنين ما ملتي غرفتي.. يا ريت نروح نشوفهم

الفتاة ٢:

- يجوز ما يقبلون.

الفتاة ١:

- يقبلون.. الصابئة ناس محترمين..

حرك مرور الزورق المشحوف في النهر تموجات الماء الصافيات.. كان يجذف في الزورق رجل في حوالي الخمسين من عمره. انتبه نحو الصبايا. أوقف زورقه أمامهن وقال:

- اليوم عرس صابئي مندائي.. مصبحكم بالخير.

الفتاة ١:

- هله عمي يصبحك بالخير يا حاج.

- بعدني ما رحت للحج.. لسه زغير.

الفتاة ١:

- يا.. أكبر من والدي وتكول زغير.. شباقي بيك

- بعدني بحيلي.. ما شايفاتني شلون أدفع بالمشحوف.. تحبون أعبركم تتفرجون على العرس المندائي. وأنا أيضاً أريد أتفرج عليهم وبعدين أرجعكم.

صعدت الصبايا في المشحوف.. تحرك الزورق نحو الضفة الأخرى.. ونزلن..

- يطول عمرك..

نظرت الصبايا نحو العروس الصابئية..

الفتاة ١:

- حلوة زواكتها.. ماكياج مرتب..

الفتاة ٢:

- هيه حلوه بلا مكياج.

الفتاة ٣:

- والأحمر حلو على شفايفها..

تكون العروسة والعريس والشيخ الصابئي قد نزلوا في النهر. بدأ رجل الدين الصابئي بإلقاء الماء على رأسيهما وقد وضع نبتة أغصان الياس على رأسيهما ويرش رأسيهما من ماء النهر وهو يتمتم بقراءة من كتابهم المقدس كنز ربا وأهل العروسين يقفون عند ضفة النهر.. الصبايا يتحدثن.

الفتاة ١:

- شنو يقرأ لهم؟

الفتاة ٣:

- مثلنا.. يسألها هل قبلت بسميع إبن زهرون زوجا لك؟ تقول له نعم قبلت ويسأله هل قبلت سليمة بنت كميت البدري زوجة لك؟ ويقول نعم قبلت..

الفتيات الثلاثة يرددن مرة واحدة وهن يتأملن..

- نعم.. قبلت.. قبلت.. قبلت.

أكمل الشيخ الصابئي طقوس الزواج في الماء ويخرجون من الماء ويبدأ القراءة بكتابهم المقدس وبلغته الآرامية..

- أيها الرجال الذين تتخذون نساءَ أنجبوا، فإن لم تنجبوا ذهبت ذريتكم. لا تتخذوا الأماء أزواجا. ولا تلقوا بأبنائكم في بيوت أسياد عبيدا. إن ذلك وزر عظيم.
- أيتها النساء اللواتي تكن للرجال حذار مما لا يرضى الله ولا يحسن لدىٰ الناس: الزنىٰ والسرقة. وأياكن وعمل السحر أنه من رجس الشيطان. الزوجة الصادقة تهب الحب الصادق. لا ينفصل بعضكم حتىٰ تنتهي أعماركم..

الحارة الجديدة

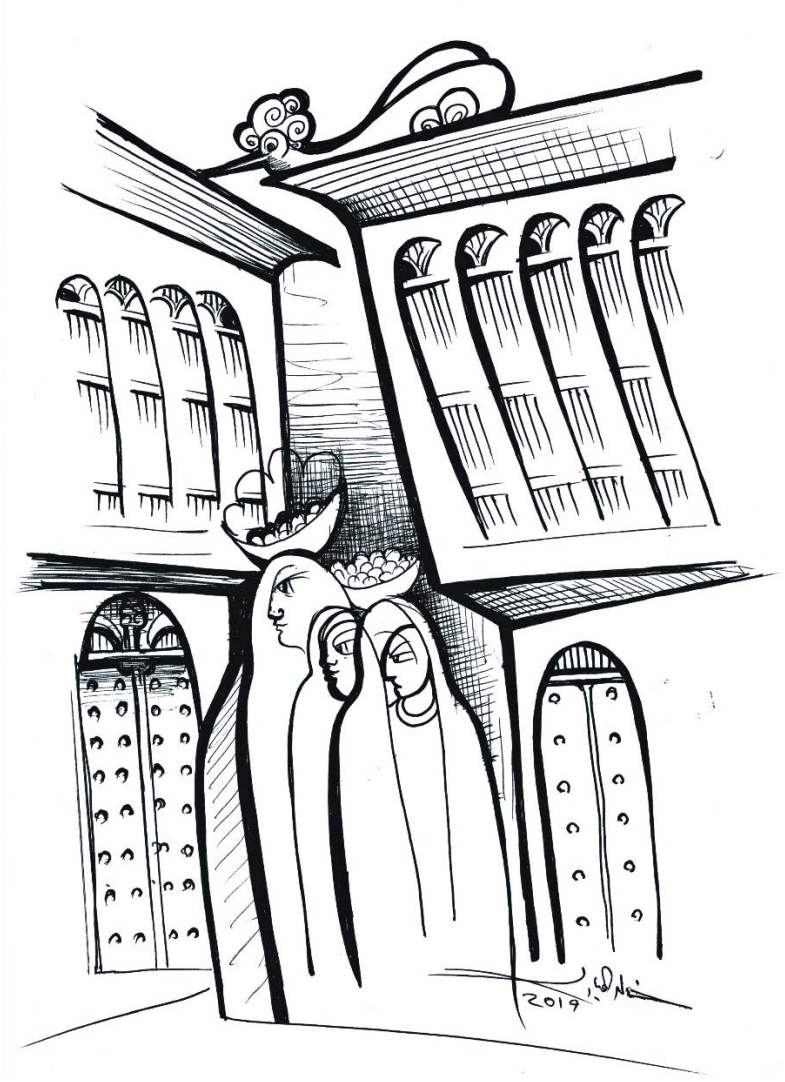

حارة الفقراء

ثمة شاحنة ينقلون فيها موجودات بيت أبو هادي دوغلاس وأمام السيارة الكبيرة سيارته الشخصية. نقل الحمالون قطعة أثاث ووضعوها في السيارة.

في الغرفة الشخصية لـ هادي دوغلاس وقف ورفع صورتين من جدار الغرفة. صورة له وصورة كيرك دوغلاس في وضعية متشابهة في الشكل. غادر غرفته التي بقيت فارغة.

كان سوادي لما يزل واقفا عندما خرج هادي دوغلاس حاملا الصورتين. فتح باب سيارته الخلفي. وضع الصورتين في السيارة. ثم فتح الباب الأمامي. تطلع إلى سائق الشاحنة الكبيرة وطلب منه بالإنكليزية أن يتبعه.

لم يفهم سائق الشاحنة ما قاله هادي دوغلاس لكن الواضح أن يتبع سيارته نحو البيت الجديد. تحركت سيارة هادي دوغلاس ولحقتها الشاحنة. دمعت عينا سوادي هز رأسه. وسمع صوته الداخلي يقول.

- راح تبقى حارتنا خندك الفقراء. وراح تصير خندك ثانية.. خندك اللي الله موفقهم. يستاهلون.. ونستاهل! هذا الذي كتبه علينا رب العالمين.. الله أرحم الراحمين.

وقف سوادي أمام باب دار الحاج سلمان وضع يده على مدقة الباب التي على شكل يد ذهبية اللون وطرق الباب. خرج داوود ابن الحاج سلمان وسلم على سوادي الذي سأله فيما إذا كان والده في الدار.

جاء صوت الحاج سلمان من داخل الدار.

- تفضل سوادي تفضل، هذا بيتك.

دخل سوادي. وقف سوادي أمام الحاج سلمان وسلم عليه، فرد عليه التحية وقال:

- تفضل إرتاح سوادي.. داوود روح جيب جاي الى عمك سوادي.

قال الحاج سلمان وهو يعدل جلسته ويتكئ على الوسادة فوق الأريكة:

- الحقيقة سوادي أنا من زمان حبيت أشوفك وأنبهك على موضوع، أن تدير بالك من الشيوعيين. خاف يقرأون في إذنك. لأن الشيوعيين كفره، ويقال الشيوعي بروسيا يا سوادي يتزوج أخته، فإنتبه منهم. تره ما وراهم غير المشاكل.

تردد سوادي بالإجابة ثم قال:

- عمي أبو داوود إنت رجل حكيم، وهذولة الشيوعيين تره كلهم طيبين. أخلاق وفهم، بس تعرف شباب.. و.. يسقط ويعيش، وأوقات ما يعجبهم يروحون للمدرسة فيسوون إضرابات ومظاهرات. بكرة يكبرون ويعرفون اللي ينفعهم من اللي ما ينفعهم. أما قضية الشيوعي بروسيا يتزوج أخته، فعمي أبو داوود، الشيوعيين بروسيا مو فقط ما يتزوجون إختهم، إنما مايتزوجون حتى بنات عمهم أو بنات خالهم. ليس من الناحية الدينية، بس من ناحية النسل. هذي نظريتهم. هذي دعاية إستعمارية. هذي مشاكل بين الإنكليز والروس، هذا يتهم هذا وهذا يتهم ذاك، وهذه قصة ما راح تنتهي. وهؤلاء كلهم أولادنا وأهلنا وأولاد حارتنا، أهل الخندك. أنت نفسك كلما الأمن يعتقلون واحد منهم، وتأتي أمه عندك، تروح أنت بنفسك إلى مديرية الأمن وتطلق سراحه. بكرة يكبرون ويعقلون. أما من ناحيتي، ما تقلق. صحيح الله ما وفقني ودخلت مدرسة، ولكن أنا أشوف بعيد عمي أبو داوود والحقيقة آنه أجيتك بشغلة.

- تأمر أمر سوادي.

- ما يأمر عليك ظالم. عمي أبو داوود إنت فضلك علينا ما ينسي. ولو ما أفضالك علينا، حالتنا بالويل. كلما نحتاج، أنا لو الوالدة، نطرق الباب عليكم. بيتكم على الطريق، وأشهد ما بالله ما تقصرون معنا. أنا أعرف انتو راح تنقلون إلى بيتكم الجديد، ربي إن شاء الله يوفقكم بيه ودائما الأحسن والأحسن، بس تعرف البيت راح يصير بعيد علينا والباب صار مو على الشارع. تعرف، وتوجد حديقة وجرس. وبعد ما أقدر كل يوم أمر عليكم. أريدك تشوفلي شغلة. شغلة حارس بمخزن من مخازن التجار، او بمخازن الحبوب مالتكم اللي على الشط، لأن مو معقولة أبقى أخدع نفسي وأبيع حلوى بالصينية، هذي مو شغلة عمي أبو داوود.

دخل داوود حاملا صينية الشاي، فيما عدل الحاج سلمان جلسته ثانية وقال:

- تستاهل سوادي ثاني مخزن بعد معمل الثلج. الحارس مال المخزن بكره يترك الشغل، روح اشتغل بمكانة، وبدل عشر دنانير راح أعطيك خمصطعش دينار شهريا. يكفوك؟

- يطول عمرك عمي أبو داوود. كافي وزيادة.

سوادي وهو يرشف الشاي، يقول:

- مخازن الحبوب راح تصير بيتي. ليلي ونهاري. حتى الوالدة من تريد تشوفني هي تجي للشغل مو أنا أروح إلها.

- لا لا بالشهر ثلاث أربع مرات متى ما يعجبك روح. فقط أعمل لي تلفون أنا أرسل لك الحمال اللي يشتغل عندي يحرس بمكانك وتروح تشوف أمك. لا تقلق.

ورشف بقايا الشاي شاعراً بالغبطة أن يغادر المكان حتىٰ يرقص وحده فرحاً.

نهض سوادي مستئذناً، وحاول أن ينحني ليقبل كتف الحاج سلمان.

- خليك خليك سوادي. أوصلك للباب ما يصير أنت ضيفي وإبن الخندك الأصيل.

- لا والله عمي ما توصلني للباب أنا مو ضيف. الله يطول عمرك عمي وكثر الله من أمثالك وما قصرت وما راح أنسىٰ فضلك طول حياتي.

سار معه الحاج سلمان حتىٰ الباب وصافحه سوادي وقبل كتفه. قال له:

- مع السلامة عمي والله يرزقك ويوفقك.

- هله بيك سوادي مع السلامة.

تطلع سوادي نحو الباب وهو يمشي ليتأكد بأن الحاج سلمان قد أغلق الباب فبدأ يرقص ثم ركض وتوقف ورقص وركض ورقص. وصل دكان غانم الأوتجي فشاهد الشلة يستمعون للأخبار. عندما شاهدوا سوادي راكضا راقصا ظنوه قد جن للوهلة الأولىٰ. توقف سوادي أمام صينية الحلوىٰ. تأملها ملياً. الجميع ينظر نحوه بإندهاش. تقدم نحو الصينية الخشبية. رفعها عالياً ورماها في ضفة نهر الخندك. عاد متمايلاً ويدندن مع نفسه. الجميع بدأ يضحك من حركاته الغريبة سأله غانم:

- ماذا دهاك يا سوادي؟

- طلقت البشر، وراح أعيش مع طيور الحمام والفخاتي، وأسمع أغاني السفانة. أنام فوك جبال القمح والشعير والحمام والسيمام دايري مدايري قوقوقو...قوقوقو.. القيمر من الصبح تجلبه المعيدية تسواهن، وخبز حار ومكسّب من مخبز زاير حمادي والشاي مخدر إلىٰ جانبي يضغط علىٰ إصبعيه ويغني.

- خدري الجاي خدريه.. عيوني المن أخدرة.

- مالج يا بعد الروح ... دومج مكدرة.

أبشركم.. إتعينت حارس بثاني مخزن حبوب بعد مكينة الثلج. حاضركم يبلغ غايبكم، اللي يحب يفطر الصبح قيمر وخبز حار، يجي يتفضل بمكتب سوادي الخندقي الزيزفوني لحراسة القمح والشعير من أسراب الحمام والفخاتي، ولكن ممنوع التكلم بالسياسة أبدا ومطلقا. مسموح الحديث فقط ولا غير عن المعيديات والقيمر والخبز الحار والشاي والعاشق والمعشوق ...

- وخدري الشاي خدريه.. عيوني المن أخدرة..

- مالج يا بعد الروح ... دومج مكدره.

معرض محمد راضي

في غرفة الرسام محمد راضي، وقف محمد راضي وهو يضع اللمسات على أحدى لوحاته، وقد وضعت عدة لوحات على جدران الغرفة. تدخل أمه تحمل صينية الشاي. تقول له الأم:

- يمه محمد فدوه رحت لك. هاي الشغلة ما توكل خبز. إفتح محل كهربائيات.. محل بيع سجاد.. محل تصليح ماكنات خياطه.. ما تقول لي من يشتري منك هذه الرسومات. وشكد سعر الوحدة.. فلوس الصبغ أكثر من قيمتهن.. ما يجاوبني، كأني أتكلم ويه الحايط.

انتبه محمد إلى أمه.. تقدم منها وقبل رأسها.. وقال لها..

- يوم الجمعة آخذك وياي للمعرض.. لبسي زين.. أريدك كشخة.. هندام، وتروحين وياي لإفتتاح المعرض.. نعلق اللوحات هذي ويجون الناس

ويشترون منها.. ويحضر متصرف لواء البصرة ومدير الشرطة ومدير المعارف..

تجمع عشاق الرسم والطبقات المتوسطة وذوات البصرة.. ووصلت سيارة متصرف اللواء يرافقه مدير شرطة البصرة ومدير المعارف.. سلمت أم محمد المقص إلى متصرف اللواء.. تطلع فيها وبملامحها الشعبية.. شتصرين من محمد؟

- آنا أم محمد.. تشرفنا يا هله يا هله.

قص مدير المعارف الشريط ووشط التصفيق دخلوا معرض الرسم.. كان من بين الضيوف هلال وسوادي وغانم وعدد من الشيوعيين.. ثمة مصور يرافق المسؤولين ومحمد راضي يتوقف عند اللوحات ويشرح لهم مضامينها.. قال محمد إلى متصرف اللواء ومدير الشرطة ومدير المعارف..

- هذا اللون الأخضر يمثل نخيل العراق، خضرة الجنوب العراقي.. وهذي اللمسة الصفراء هي تعبير عن لون الشمس اللي تشرق على حياة الإنسان.. تشرق على حياة الإنسان العراقي.. وهذا اللون الأبيض هو الفراغ ويمثل المجهول النقي غير الملوث.. الألوان مثل ما تعرف حضرتك متداخلة تعبر عن وجدان الرسام.. لذلك تشوف اللون الأخضر اللي يمثل النخيل طاغي على اللوحة.

قال المتصرف..

- بس وين النخل.. أشو ما موجود نخيل في اللوحة..

همس مدير المعارف في إذن متصرف اللواء.. هذا نوع من الرسم جديد يسمونه التجريد.

تمعن المتصرف قليلا في اللوحة وحاول استيعابها.. ثم تحركوا نحن لوحة فيها ملامح شخصيات تاريخية وخيول وألوان وفي خلفيتها اللون الأحمر.. قال لهم محمد..

- هذه اللوحة اسمها ملحمة الطف.. هذا شكل للفرس الأبيض هو فرس الإمام الحسين التي عادت للخيام بدون فارسها.. وهذا الشعاع بين الألوان هو رمز الإمام الحسين«عليه السلام». قال المتصرف أشهد ما بالله لوحة عظيمة.. هذي سجلها بإسمي.. أنا أشتريها شخصياً.

تجول متصرف اللواء وتوقف أمام العديد من اللوحات والرسام يشرح له مضامين أعماله ودلالات ألوانها.. وكان هلال مأخوذا بأعمال الرسام وهو يتجول مع غانم الذي لم يكترث لما يرى.. قال متصرف اللواء لمدير المعارف..

- كيف وجدت المعرض؟

- الشاب موهوب وعنده مستقبل واعد.. وهو من وجهة نظري يشرف البصرة ويحتاج إلى رعاية ودعم..

وضع المتصرف يده على كتف مدير المعارف.. كم لوحة تقترح أن نشتري مها، أجابة مدير المعارف ثلاث أو أربع لوحات أو حسب ما يراه سعادتك.

- كم سعر اللوحات؟

- الأسعار مكتوبة تختلف من لوحة لأخرى.. ولكن أسعارها تتراوح بين عشرة وخمسة عشر دينار..

- إشتروا منه خمس لوحات وعلقوها إثنين عندكم بالمديرية وإثنين بالمدرسة الثانوية وواحدة عندنا بالمتصرفية وأحسبوها الواحدة بخمسة عشر دينار. لوحة الطف أحجزوها لي وأنا أدفع ثمنها عشرين دينار.. اللوحات الخمس

نظموا فيها قائمة صرف وأنا أوقع من ميزانية المتصرفية بكرة وبدون تأخير.. وخليه بكرة بتسلم المبلغ.. وألتفت إلى أم محمد التي تقف إلى جانب ولدها محمد وقال لها..

- تساعدين محمد من يرسم؟
- أسويله جاي.. انا ما أعرف أرسم..
- تفضلي ناخذ معك صورة تذكارية.. تفضل أستاذ محمد.

تقدما من المتصرف قال له المتصرف.. الأستاذ مدير المعارف راح يختار خمس لوحات بسعر اللوحة خمسة عشر دينار.. لوحة ملحمة الطف أحجزها بإسمي وراح أدفع لك ثمنها عشرين دينار.. وبكرة تروح إلى مديرية التربية ينظموا الفاتورة وتتسلم المبلغ.. معرضك ممتاز..

بدأ المصور الفوتوغرافي يلتقط الصور التذكارية ثم توجهوا نحو طاولة عليها سجل الزائرين.. كتب متصرف اللواء الثقافة سمة مدينة البصرة.. سمة العراق.. وتسلم القلم مدير المعارف وكتب التهنئة وكذا مدير الشرطة..

في كاليري المعرض وقف هلال يتمعن بأحدى اللوحات.. وثمة سيدة أرستقراطية الهيأة وقفت إلى جانب زوجها.. قالت له.. لوحة تجريدية هذه بألوانها الخضراء والصفراء والبيضاء.. متداخلة ومعبرة.. أجد فيها ألوان البصرة ورؤية مستقبلية.. فيها أمل وتبهج الروح بألوانها..

تأميم قناة السويس

تحت أعمدة الكهرباء

في شارع مضاء بمصابيح خافتة أمام دكان غانم الأوتجي يجلس عدد من الطلبة يقرأون دروسهم في غياب الكهرباء في بيوتهم. جلس بعضهم يقرأ بصوت عال حتى يسمع النص ويترسخ أكثر في أذهانهم. هلال تحت ضوء مصباح الشارع بدشداشته يقرأ في كتاب التاريخ فيما تسمع أصوات الطلبة في قراءة لدروس مختلفة على امتداد الشارع. وتتداخل الأصوات وتسمع من بعيد، فيما ينتظر بعض الطلبة والشيوعيين بيانا من الراديو وهم يصغون بتلهف.

هلال يقرأ بصوت مسموع.

وكان أورنينا مؤسساً لأسرة محلية في لاجاش. ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية. وتشير كل النصوص الخاصة به إلى أعماله السلمية، فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى. ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات. وقد كرس أحداها لـ أنليل: إله سومر الأكبر. وقد شيد في حي جرسو مخزنا للغلال عثر على جزئه الأسفل. وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوته. وهو يحمل سلة بها أدوات محوطاً بأفراد عائلته وحاشيته وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة وإحضارها عن طريق الماء لإستعمالها أبواباً وسقوفاً للمنشآت. وكان حكمه عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش.

طالب آخر تحت ضوء مصباح الشارع يقرأ بصوت مسموع.

وقد ميز قانون حمورابي ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الأيلكو. وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهي لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على أية صورة إلا للوريث الذكر بشرط أداء الالتزامات المقررة. وكان التصرف في الأملاك الخاصة نفسها خاضعاً لقيود في

مصلحة العائلة. ومن حيث المبدأ لا يمكن بيعها سوى أداء الدين. وكان للمرأة المتزوجة حق الإنتفاع على بائنتها. أما الرقبة فلأولادها أو لأخوتها إن لم يكن لها أولاد.

طالب آخر تحت ضوء مصباح الشارع وهو يقرأ بصوت مسموع.

على أثر ثورة العشرين في العراق ضد الإحتلال البريطاني عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ بحضور ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني للنظر في الوضع في العراق والتي أجبرت الحكومة البريطانية لتغيير سياسيتها بالتحول من إستعمار مباشر إلى حكومة إدارة وطنية تحت الإنتداب بعد تكبد القوات البريطانية في العراق خسائر فادحة. أعلنت بريطانيا عن رغبتها في إقامة ملكية عراقية. ورشح في هذا المؤتمر فيصل بن الحسين ليكون ملكاً على العراق. تشكل المجلس التأسيسي من بعض زعماء العراق وشخصياته السياسية المعروفة بضمنها نوري السعيد باشا ورشيد عالي الكيلاني باشا وجعفر العسكري وياسين الهاشمي وعبد الوهاب النعيمي الذي عرف بتدوين المراسلات الخاصة بتأسيس المملكة العراقية وأنتخب نقيب أشراف بغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب رئيساً لوزراء العراق والذي نادى بالأمير فيصل الأول ملكا على عرش العراق.

رفع غانم صوت الراديو وتوقف الطلبة عن قراءة الدروس وتقدموا نحن دكان غانم الأوتجي، عندما أعلن المذيع:

- بيان الرئيس جمال عبد الناصر حول تأميم شركة قناة السويس.

وزع قائد الجناح علي صبري، مدير مكتب الرئيس للشؤون السياسية في مستهل مؤتمره الصحفي بياناً للرئيس جمال عبد الناصر جاء فيه:

«في يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أممت مصر قناة السويس، والحكومة المصرية بهذا الأجراء تباشر حقاً من حقوقها. ومع ذلك أثار هذا الإجراء بعض المعارضة في

عدد قليل من الدول، وخاصة فرنسا والمملكة المتحدة. وليس لهذه المعارضة أساس تستند إليه. فقد كانت شركة قناة السويس شركة مصرية معرضة – مثل جميع الشركات المصرية الأخرى – للتأميم وهذا التأميم لا يؤثر البتة – بحال من الأحوال في الالتزامات الدولية التي تعهدت بها مصر.

ونحن عازمون على احترام جميع إلتزاماتنا الدولية، وسنحافظ على الالتزامات التي تعهدنا بها في إتفاقية ١٨٨٨ والتأكيدات الخاصة بهذا الموضوع، والواردة في الاتفاقية المصرية الإنجليزية المعقودة عام ١٨٥٤ (إتفاقية الجلاء) وحرية الملاحة في القناة لن تتأثر، وليس لها علاقة البتة بموضوع التأميم، وفوق ذلك ليس هناك دولة أكثر من مصر إهتماماً بحرية الملاحة ونمو حركة المرور في القناة».

في مقهى عبد الله الصاحي

تجمع في مقهى عبد الله المتعاون سراً مع الأمن، عدد من السياسيين وكان كله آذان وعيون يقظة تصغي وترى كي ينقلها بدقة إلى الأمن. الراديو يعلن.

شنت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عدواناً ثلاثياً إثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس. وكانت كل من بريطانيا وفرنسا قد إتفقتا مع إسرائيل على أن تقوم القوات الإسرائيلية بمهاجمة قناة السويس ومحاصرة الجيش المصري وقد نفذت إسرائيل هجومها على سيناء ونشبت الحرب. فأصدرت كل من بريطانيا وفرنسا أنذاراً بوقف الحرب وإنسحاب الجيش المصري والإسرائيلي لمسافة عشرة كيلومترات من ضفتي قناة السويس مما يعني فقدان مصر سيطرتها على قناة السويس ولما رفضت مصر ذلك فإن القوات البريطانية والفرنسية في بور سعيد ومنطقة قناة السويس قد شاركت في الحرب، هذا وقد أنذر الإتحاد السوفياتي كلا من

بريطانيا وفرنسا بالصواريخ الذرية فأمرت أمريكا كلا من بريطانيا وفرنسا بالإنسحاب الفوري من الأراضي المصرية.

خرجت مظاهرة من حارة الخندك قوامها ثلاثون شخصا وهم يحملون لافتة كتب عليها.

يسقط العدوان الثلاثي على مصر.

لافتة أخرى كتب عليها.

عاش الإتحاد السوفيتي العظيم
صديق الشعوب المحبة للسلام.

كان هتافهم يمتزج مع صوت الشحاذ مهاوي قارئ القرآن الذي رفع صوته عندما مرت عليها المظاهرة.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾.

وصل مجيُد بعد أن ابتعدت المظاهرة، وسلم على الشحاذ مهاوي

- يصبحك بالخير عمي مهاوي.
- يصبحك بالخير. كأني سمعت صوت عبد النبي مع المظاهرة يهتف. ماذا حصل؟
- الحالة مو زينة عمي مهاوي ويمكن صارت حرب.
- إن شاء الله ما تلوحنه؟

- لا مو قريبة علينا، حسب قول سوادي.
- والحرب بين من وبين من؟
- بين بريطانيا وبين روسـيا.
- بأسهم بينهم!

* ميناء المعقل بات خال من الحركة. ثمة لافتة كتب عليها.

- يعلن عمال موانئ المعقل إضـرابهم عن العمل احتجاجا على العدوان الثلاثـي على مصـر الشقيقة

* شـركة نفط البصـرة خالية من الحركة. ثمة لافتة كتب عليها.

عمال شـركة نفط البصـرة
يعلنون وقوفهم إلى جانب
الشعب المصـري الشقيق،
ويعلنون إضـرابهم عن العمل.
عاش نضال الشعوب المحبة للسلام

* ترفع اللافتات في سوق (المغايز) وفيها شعارات.

لافتة أولى في أول السوق كتب فيها.

يسقط العدوان الثلاثي على مصـر الشقيقة

لافتة ثانية في وسط السوق كتب فيها.

عاش الإتحاد السوفيتي العظيم

لافتة ثالثة في نهاية السوق كتب فيها.

يسقط الاستعمار البريطاني

كان المتظاهرون يهتفون هتافات بسقوط العدوان الثلاثي على مصر. هتافات تشيد بالاتحاد السوفيتي. وهتافات بسقوط الاستعمار البريطاني.

في المدرسة الإعدادية يقف الطلبة ومعهم هلال وتحسين قال هلال لتحسين:

- إذا طلعنا مظاهرة. المدير والمعلم خضر راح يخابرون الأمن. أنا جبت معي قراضة. تعال نقطع خط التلفون قبل ما يرن الجرس.

صعد هلال ومعه تحسين إلى سطح المدرسة وقطعوا اسلاك الهاتف بالمقرضة ثم نزلا.

رن جرس بدء الدوام. وقف المدير والهيئة التدريسية على سياج الطابق الأول للمدرسة وهم ينظرون للطلبة. هتف هلال بسقوط الاستعمار وحيا نضال اتحاد الطلبة. وردد الطلبة.

كان مدير المدرسة يحدث المدرس خضر وبعض المدرسين الذين يقفون إلى جانبه.

- تفضل معي أستاذ خضر نتصل بالأمن. وأنتو أبقوا راقبوا الوضع.

غادر المدير المكان ولحق به المدرس خضر دخلا غرفة الإدارة وتوجه المدير نحو الهاتف. رفع السماعة. وضعها على أذنه. لا صوت في الهاتف. قال المدير:

- أعتقد قطعوا خط الهاتف.
- من تعتقد قطع سلك التلفون؟
- أعتقد.. هلال!

انطلقت التظاهرة الطلابية من إعدادية التجارة. هلال بجسمه النحيل يتقدم التظاهرة ويهتف بسقوط العدوان الثلاثي على مصر.

ثمة ناس على جانبي الشارع يلاحظ بينهم عبد الله صاحب المقهى المتعاون مع الأمن.

مساء جلس أبو سامي في دكانه، وهو حانوت بسيط. جلس مهموماً يدخن سيكارته عندما وقف أمامه رجل الأمن موحان وقال له:

- تفضل أبو سامي عندنا شوية كلام معاك بالأمن.
- خير؟
- إن شاء الله خير.

جلس مدير الأمن وأمامه وقف أبو سامي قال المدير:

- أسمع. إبنك هلال بطول النعال طلع مظاهرة اليوم من المدرسة. كل يوم يجيك المغرب للدكان يشتغل وياك. اليوم ما أجا عندك. لأن يعرف راح نعتقله. تروح تجيبه وتجي وإلا أنت معتقل بمكانه. أفتهمت؟

في الشارع الذي يقرأ فيه الطلاب دروسهم تحت ضوء مصابيح الشارع. جلس هلال وبيده كتابه لكنه لا يقرأ. هو قلق. بعض الطلاب يشاهدون عن بعد وهم يقرأون. وصل أبوه إلى حيث يجلس. الأب يعرف المكان الذي يلتقي فيه ليلاً. نهض هلال وسأل أباه:

- ها بابا خير؟
- من وين يجي الخير؟ اليوم أبني قدت مظاهرة بالشارع أنت؟

هلال أخفض رأسه. سكت. قال الأب:

- صارحني إبني. أنا الآن اعتبرني معتقل حتى أسلمك للشرطة.

- طلعنا مظاهرة. أنا طلعت مظاهرة.
- وهتفت ضد الحكومة وضد الباشا نوري السعيد؟

هز هلال رأسه مؤيداً، فيما واصل الأب حديثه.

- وشلك بهذي المشاكل أبني. أحنا ناس فقراء. الله كتب علينا الفقر. ما أدري ماذا عملنا. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. إحنا وين بابا والحكومة وين. هذي حروب عالمية وراها دول ومصالح. أنت شتقدر تسوي بابا. يا دوب إحنا مدبرين أكلنا ومصروف مدرستك. تجي أنت تدخلنا بمشاكل عويصة. لا إحنا قدها ولا هي شغلتنه. من ورطك إبني من ورطك حتى تجيب هذي المصايب على راسي. أنا ناقصني مصايب إبني، ناقصني مصايب؟ أمشي إبني إمشي. إمشي أوديك للمعتقل بإيدي والله يسامحك إبني والله أرحم الراحمين. وما أدري شراح أقول الأمك هذي المسكينة اللي تحملت كل مصايبنا. الله يساعدها ويكون في عونها

الأب الذي كان يحبس البكاء وقال بهدوء كمن يبكي:

- الله أرحم الراحمين.

وقف هلال في غرفة مدير الأمن وحده. صفعه من مدير الأمن على خده صفعة دفعته نحو جدار الغرفة. سال الدم من رأسه. ضغط على جرس الطاولة. نظر إلى هلال الذي سقط أرضاً. قال:

- بطول النعال ويريد يسقط نوري السعيد باشا.

دخل مفوض الأمن. مدير الأمن قال له:

- ذبوه بمعتقل الخندك مع الشيوعيين.

في مدخل شرطة الخندك. وقف جاسم الشرطي حارساً ببندقيته القديمة الطويلة. وصلت أم هلال إلى مخفر الشرطة وهي تحمل سلة خوص صغيرة. وقفت قرب جاسم الشرطي. سلمت عليه. وسألته عن إبنها الذي سمعت بوجوده في المعتقل

- شسمه؟
- إبني هلال معقولة ما تعرفه. هلال عبد الكريم. إحنا أهل حارة واحده. حضرتك مو جاسم.
- أي أعرفه. شلون ما أعرفه؟ بس المسألة قانونية. نسألك عن إسمه، كم عمره شمسوي!؟ إحنا الشرطة لازم نحمي البلد. البلد بأيدنه.
- الله يوفقكم خالة وإن شاء الله الوطن محمي بوجودكم. ما قلت لي إذا كان هو معتقل عدكم؟
- هو بصراحة ممنوع نعطي معلومات. بحكم القانون ممنوع نعطي معلومات. إحنا الشرطة بحكم القانون ممنوع المعلومات تطلع من عندنا. بس أقول لك بصراحة هو موجود. يعني أي.. هو.. موجود عندنا. هلال عبد الكريم. موجود بالمعتقل عندنا. موجود جوه.
- يطول لي عمرك إن شاء الله. وهاي جبت كباب. هو يحب الكباب. وإلك أجر.
- كم الأجر؟
- الله أعلم. الأجر بيد الله سبحانه وتعالى
- أنا ما أقصد أجر الآخرة. أقصد أجر الدنيا. يعني ربع دينار.
- الله وكيلك ومحمد كفيلك ما عندي غير هالخمسين فلس.
- أوووووو.. هاي غير طلابه. يالله جيبيها وبس مرة ثانية جيبي معك ربع دينار مع الكباب.
- يطول عمرك وسلم عليه. قول له أمك تسلم عليك.

الأم تسلمه الخمسين فلساً وتسلمه السلة وتقول له:

- سلام عليكم.. شوية إهتم بيه.

دلف الشرطي قليلا داخل باب مركز الشرطة حيث توجد دكة لمدخل الباب. جلس. فتح السلة. وجد صحيفة ملفوف فيها الكباب والخبز. عزل سيخين كباب

وترك سيخين. وضع الكباب في رغيف من أرغفة الخبز. وضع داخل الخبز بعض الطماطم. وبدأ يأكل.

وصل الشرطي إلى باب المعتقل المصنوع من قضبان الحديد. رأى هلال قرب الباب.

لايزال الشرطي يمضغ بقايا الكباب. فتح باب المعتقل. أعطى السلة إلى هلال وقال له:

- أمك جابت لك كباب وتسلم عليك.

الشرطي يغلق الباب وهو يدمدم.

- كلكم مشاكل. ما وراكم غير المشاكل.

تسواهـــن

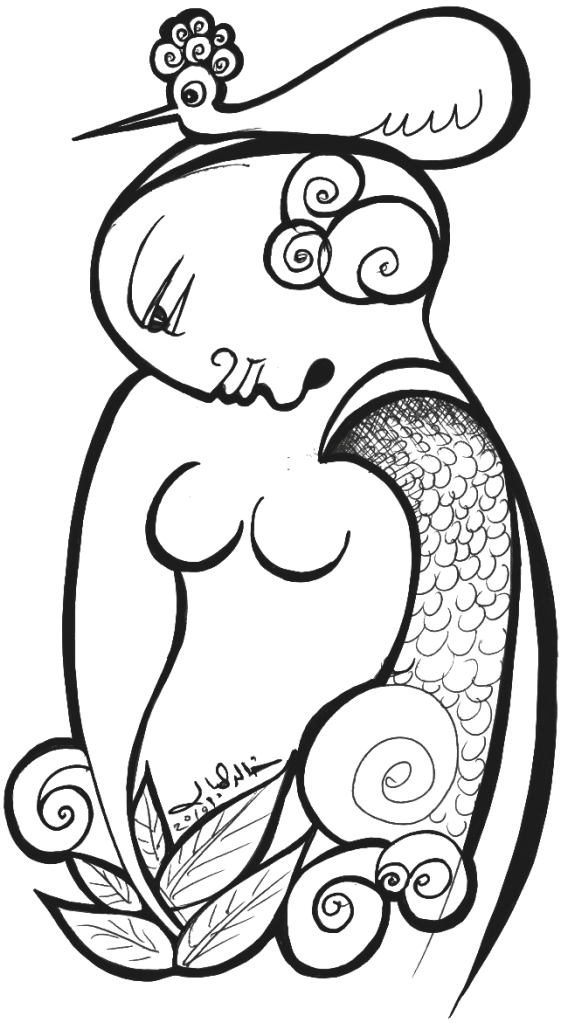

مجّيد الأعور، نصير بريطانيا

كان سوادي مستلقياً على أكوام الشعير المغطاة بـ جـتري كبـير يحـول دون عبـث الحمام بالشعير والقمح. إلى جانبه راديو ويجلس مجيٌد إلى جانبه والراديو بيـنهما وهمـا يصغيان للخبر.

ونحن واثقون أن حركة الملاحة في القناة خلال السـنوات القادمـة سـوف تـبرر آمالنا وأمال العالم كله. إن مصـر واثقة من شـرعية موقفها ولـن تحيـد عـن الطريـق الذي رسمته لنفسها في هذا الصدد، بـل ستمضي ـ قـدماً في سـبيل خدمـة مصـالحها ومصلحة المجموعة الدولية

بعد أن ينتهي المذيع من تلاوة البيان يسأله مجيٌد.

- شـراح يصير؟
- شمعرفني. يمكن تصير حرب
- بين من وبين من؟
- شمعرفني. يجوز تصير حرب بين روسـيا وبريطانيا
- ليش تصير حرب؟
- لأن مصـر رجعت قناة السويس مالتها. وإذا لم تقبل بريطانيا، تسـوي حـرب ضد مصـر. فمصـر تسد القناة وبعدين السفن ما تعبر.
- يعني هذي المهيلات التي تنقل الحبوب معناها بعد ما تقدر تعبر الشط.
- هذي المهيلات ما إلها علاقة بالموضوع. هذي تحمل الشعير وتروح وتجي مـن الهارثة والمدينة والقورنة وتوصل للخندك وترجع. ما علاقتها بقناة السـويس والحرب بين بريطانيا وروسـيا.

- وإذا صارت الحرب. آنا مع من أصير مع بريطانيا لو مع روسيا؟
- أنت منو السائل عنك؟ إنت واحد مهتلف.
- ها أخي سوادي صرت حارس وبعد ما نقدر نتكلم معاك. أخوك ما يفهم، فهمه. فهمني. حتى أعرف ألمن أؤيد. روسيا لو بريطانيا.
- إحنا نؤيد الباشا نوري السعيد والباشا يؤيد بريطانيا، يعني إحنا نؤيد بريطانيا.
- أي قلها من البداية حتى أفتهم. الآن أنا أؤيد بريطانيا.
- لا زال مجيُّد الأعور يؤيد بريطانيا هذا يعني إنهزمت روسيا! تعرف هلال عبد الكريم. مطلع مظاهرة وقلب الدنيا عاليها سافلها. حطوه بالمعتقل. والبارحة الباشا أعلن الأحكام العرفية. وهلال راح يحاكموه محكمة عسكرية عرفية. مجيُّد ما أدري شراح يصير. يمكن راح تنقلب الدنيا. والحرب مشتعله. يا ويلي.
- سوادي ليكون اقترب يوم القيامة.
- لا.. لسه بعد.
- دخلت المعيدية تسواهن وهي تحمل سلة القيمر. سلمت عليهما.
- يصبحكم بالخير.

رد مجيُّد:

- يصبحك بالخير.

ورد سوادي:

- هلا ومية هلا. صباح القيمر.
- هاي جبت قيمر. سويت صحن قيمر دبل.
- وكم تأمرين على صحن الدبل؟
- نفس السعر. القيمر الدبل من أجلك سوادي بعدين خليه على حسابي.
- لا شلون يصير. أروح لك فدوه عيني تسواهن.

- الجيب واحد الله الشاهد.
- إن شاء الله يوم اللي يصير الجيب واحد تسواهن.
- نسلم عليك سوادي نسلم عليكم.
- الله معك عمري تسواهن.

لكزه مجيُّد قائلا:

- روح وصلها للباب.

نهض سوادي مسرعاً ولحق بها ومشي معها ومجيُّد ينظر نحوهما. ودعها سوادي عند الباب. عاد وقال لمجيُّد:

- مجيُّد طلعت أنت تفتهم. شلون فاتتني ما وصلتها للباب. زين نبهتني.
- أقول سوادي هذي مو تسواهن هذي تسواك. بعدين هذا الكلام اللي تنطق بيه. مو كلام لله بالله.
- شتقصد.. شفتهمت؟
- تحبك.
- الله يسمع منك مجودي مجيُّد روح جيب خبزتين وأنا أخدر الجاي.
- خدري الجاي خدريه.. عيوني ألمن أخدره.

أعطى سوادي نقوداً إلى مجيُّد ونهض لعمل الشاي وهو يدندن بأغنية خدري الجاي خدريه.. عيوني إلمن أخدره.

محكمة الآر أف

وقفت قرب مركز الشرطة سيارة مكشوفة بيك آب عليها رشاش فيكرز. وقفت أم هلال وسوادي وعبد النبي عبد الله المتعاون مع الأمن وقف راصداً. والشرطي جاسم يحرس المركز. خرج شرطي آخر ومعه هلال وصل مجيُّد. وقف قرب سوادي يد هلال مشدودة بالكلبجة، والكلبجة الثانية بيد الشرطي. كان الأخوان عادل وفاضل قد وقفا إلى جانب باب البيت القريب من مركز الشرطة

وهما ينظران إلى هلال بإعجاب.. إذ لم يتوقعا أن يواجه شاب لا يزال فتيا السلطة وهو يمشي مقيد اليدين نحو السيارة المتوقفة أمام مركز شرطة الخندك.

صعد الشرطي السيارة، ويده مشدودة بالقيد بيد هلال. هلال يشعر بالزهو وهو ينظر إلى أمه وإلى أصدقائه عادل وفاضل وابتسم لهما ثم نظر إلى سوادي الذي تنزل الدمعة من عينه. أم هلال تنسكب دموعها. تقول:

- الله ينصر أمة محمد.

هتف عبد الله المتعاون مع الأمن سراً.

- فليسقط الاستعمار البريطاني يسقط

لم يردد معه أحد الهتاف، ويبدو من خلال عدم ترديد الهتاف أن عبد النبي وجماعته بدأت لديهم الشكوك بارتباطه بالأمن.

دق الشرطي بيده الثانية على سقف قمارة السائق بأن يتحرك السائق. تحركت السيارة. ابتعدت. سوادي إقترب من أم هلال وقال لها:

- الله يصبرك أم سامي. بعد شوي يطلعوهم. ما يبقون أحد. جماعة الباشا نوري السعيد سياستهم حكيمة. مظاهرات ما يمنعوهم. لكن تكسير وتخريب ما يقبلون. هلال ما عمل شي. يسقط يسقط يعيش يعيش. اللي يسقط واللي يعيش، ما يسقط ويعيش بالهتافات. الله يصبرك. وقولي كما قال سوادي بعد الظهر وما تشوفين إلا وهلال عندك بالبيت.
- الله يسمع منك. الله يكثر من أمثالك.
- ومثل ما قلت لا يكون لك فكر.. روحي إرتاحي. مع السلامة.
- مودعين بالله ومحمد وعلي.

مشى سوادي ومعه مجيٌد بإتجاه مخازن الحبوب في الشارع الموازي لنهر الخندك في الطريق إلى مخازن الحبوب.

- أخي سوادي، مبيِّن الروس راح ينتصـــرون. إذا إنتصـــروا الـروس سـوادي إحنه وين ننطي وجوهنا. حتىٰ ما نعرف نقول إلهم شكراً بالروسـي.
- أنا أعرف. شكرا بالروسـي سباسـيبا.
- لا بشـرفك. أشو عيدها.
- سباسـيبا.

إنفجر مجيِّد ضاحكا. وقال:

- وأنا شلون أقولها. كلها حرف ثين.. ثباثيبا.

يظل مجيِّد يضحك بصوت عال وسوادي يضحك علىٰ ضحكته المتواصـلة وهـو يردد كلمة ثباثيبا.

في منطقة الآر أف في المعقل وفي القاعدة البريطانية إنعقدت المحكمـة العسـكرية العرفية العراقية. غرفة واسعة فيها زاوية مسـيجة بقضبان الحديد. وقـف عـدد مـن الطلاب وأصغرهم وأقصـرهم هلال وعلىٰ المنصة هيئـة المحكمـة يتوسـطهم أحمـد صالح العبدي. وفي مكان منفصل. نائب الإدعاء العام راغب فخري. يكمـل نائـب الأدعاء العام مرافعته مدافعا عن الطلاب بالقول.

- ... وهؤلاء ليسوا فوضويين إنما هم طلبة وطنيون دفعتهم مشاعرهم الوطنيـة للتظاهر سلمياً معلنين عن مشاعرهم أزاء ما يتعـرض لـه الشـعب العـربي في مصـر من عدوان ولذلك أطالب المحكمة الموقرة بـالإفراج عـنهم. والسـلام عليكم.

قال الحاكم العسكري:

- بناء علىٰ مرافعة السـيد نائب الإدعاء العام وتوصـيته، فـإن المحكمـة قـررت الأفراج عن كافة المتهمين بهذه القضية وبدون كفالة. أنتهت الجلسة.

في باحة الآر أف حيث يرفرف العلم البريطاني وقـف أهـالي المعتقلـين ينتظـرون نتائج المحكمة. بعضهم يحمل أكياسا فيهـا فواكـه. خـرج المعتقلـون هـم يصـيحون لأهلهم.

- براءة براءة طلعنا براءة.

ردد أهالي المعتقلين:

- الحمد لله الحمد لله.. مبروك الجميع.

عانق الأهل أبناءهم. المدعي العام خرج من المحكمة. وقف مع الطلبة المعتقلين، وقال هلال مخاطباً للمدعي العام.

- شكراً سيادة المدعي العام على موقفك الوطني.

أجاب المدعي العام:

- هذا هو الموقف الوطني المطلوب. أنتو أبناءنا وأحنا أبناء القوات المسلحة أخوانكم. اوصيكم شخصيا بالوطن. أن تحبوه. وحتى تحبوه بشكل حقيقي أن ما تخونوه. وأن تتسلحون بالثقافة. الثقافة والوعي هما سياج الوطن الأمين.

فجأة قفزت مقولة سوادي إلى رأس هلال وسوادي يردد أمام الآخرين السياسة بحر!

تلفزيون

جلس مهاوي الشحاذ الأعمى يقرأ من سورة يوسف. ووصل مجيُّد الذي سلم عليه وحاول أن يحدثه لكنه استمر حتى أكمل مقطعا من السورة.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾.

قال مهاوي بعد أن أكمل السورة القرآنية:

- وعليكم السلام أخي مجيُّد ما يصير تتكلم أثناء قراءة القرآن الكريم. بسم الله الرحمن وإذا قرأ القرآن فإستمعوا له وإنصتوا لعلكم تفلحون.
- سامحني أخي مهاوي تعرف أنا غشيم لا أقره ولا أكتب.
- المهم ماذا سمعت عن أخبار الحرب. من المنتصر، روسيا أم بريطانيا؟
- والله أخي مهاوي يمكن إنلاصت بعد شوية راح أروح إلى سوادي ويعطيني آخر الأخبار.
- سوادي صار يفهم بالسياسة؟
- أحسن مني. هو قال لي من سألته مع من أصير أنا. قال لي صير ويه البريطانيين. أنا خايف ينتصرون الروس وبعدين وين أعطي وجهي؟ أنت ليش ما تقره نشرة الأخبار بعد القرآن، بلكي ألله يوفقك وتفتح إذاعة.
- كيف أفتح إذاعة؟ ليش الإذاعة خان جغان؟
- أمر عجيب، واحد يتكلم في بغداد، وإحنه نسمعه بالبصرة. والله عجيب. مو عجيب أخي مهاوي؟
- في بغداد مجيُّد!؟ يتكلمون بلندن وبروسيا وإحنا نسمعهم إهنا، بعدين طلع راديو كبير مو فقط تسمع المذيع، ولكن تشوفه عينك عينك صورة وصوت. رجال ونسوان يقرأون الأخبار وأنت تشوفهم.
- أخاف إنت تمزح أخي مهاوي!
- لا ما أمزح وحياة مجيُّد عرضوه بمعرض بغداد!
- خربت الدنيا. بعد ما تنراد. والله عجيب. خليني أروح أخبر سوادي بهذا الخبر. أروح أقول له. طلع راديو يشوفون بيه صورة المذيع!
- ما يسموه راديو. يسموه تلفزيون.
- ما اسمه؟
- تلفزيووووووون!

جلس سوادي في فراشه على الأرض وأمامه موقد النار وعليه أبريق الشاي، عندما دخل مجيد الأعور وقال له:

- تعرف سوادي إذا صارت الحرب راح نشوفها بالراديو؟
- شلون تشوفها بالراديو؟ يمكن نسمعها بس نشوفها شلون؟
- أكو راديو طلع جديد تشوف عليه الصورة؟
- يا مخبل خبرك؟
- مهاوي مهاوي.. كال طلع راديو تشوف بيه كل شي يصير بالعالم.. يسموه تلفزيووووون.
- شسمه؟
- تلفزيووووون!

وقفت تسواهن عند باب مخزن الحبوب وفوق رأسها صينية صحون القيمر المفخورة. وسلمت على سوادي ومجيد.

- مصبحكم بالخير.

قال لها سوادي:

- هلا ومية هلا. تفضلي تسواهن أول ستكان جاي من رأس القوري. ورحب بها مجيد الأعور هلا ومية هلا.

دخلت تسواهن نهض سوادي وساعدها في إنزال طبق صحون القيمر وضع الطبق على طاولة خشبية قديمة. جلست تسواهن. أدار سوادي لها الشاي في الإستكانة وقدمها لها..

- كم ملعقة سكر؟
- مثل ما تحب.. إثنيوين
- ما خبرتيني تسواهن من يا هور أنتم؟
- إحنا؟ من هور الصحين.
- فد يوم إن شاء الله نزوركم بالصحين.
- هلا ومية هلا.. ناخذكم معنا تقصون القصب.

قال لها سوادي:

- ونشوف وحده معيدية لمجودي.

- أنا أشوف له وحده على رأيي.
- وين توجدين واحده مناسبة لهذا الجمال!

يضحك الثلاثة. انهت تسواهن شرب الشاي. قالت:

- أروح. اليوم السفانة تقريباً أشتروا كل القيمر. ما بقى غير الصحن مالتك وضميت صحن قيمر واحد لمجيُّد.

فيما تنهض تسواهن وترفع قماشة الململ عن صحون القيمر الخزفية نهض سوادي وأخرج نقوداً. قالت له تسواهن:

- سوادي يرحم والديك خليها اليوم على حسابي.
- غير يوم. مو اليوم.
- أحلفنك بالعباس أبو فاضل.
- مدام حلفتي بالعباس أبو فاضل ميخالف بس مو اليوم. المرة القادمة جيبي إلنه قيمر وما ندفع.
- أجيب إلكم إثنين قيمر دبل.
- هاي صحيح ما باقي بالطبق قيمر.
- مو خبرتك السفانه إشتروا اليوم كل القيمر. بس يتحرشون.
- أي ليش ما خبرتيني حتى ألعن والديهم.
- لا. همه ما قالوا شي. بس يذبون كلمه منا وكلمه منا.
- مرة ثانية قبل ما تجين أنا راح أوقف بالشارع وراح تشوفين.
- تظل عندكم العافية.
- أوصلك للباب تسواهن.. مع السلامة.

غادرت تسواهن وعند الباب إلتفتت نحو سوادي وإبتسمت له. فيعود ويكاد أن ينهار على أكداس حبوب القمح قرب مجيُّد وقال له:

- أنت جايني من الساعة سبعة مع موعدها؟ تعال بثمانية وبثمانية ونص.
- أي غير تقول لي أنت وتفهمني. من بكرة أجي الساعة عشرة.
- مو بالعشرة. تعال ثمانية ونص مو تجيني سبعة إلا خمسة. المرة تحب تتكلم

معي كم كلمة حلوة. تعال.. تعال ناكل قيمر وراح أخذك مع الخطابة وتقعد بالمضيف.

- يا مضيف! إذا دخلت أنا بالمضيف كلهم يهربون!
- أكل كيمر دبل حتى تسمن. جايني ضعيف بحجم الأصبع (ويشير له بإصبعه الخنصر) كأنك طالع من المقبرة بكفالة.

راديـــو مورفـــي

زهور حسين

جلس نديم في محله الجديد الأنيق في غرفة زجاجية وثمة زبائن تتطلع إلى البضاعة وعامل يعمل مع الزبائن. كان بين الزبائن أبو سامي ومعه سامي وهلال وهم يتطلعون إلى راديو موديل (مورفي). قال هلال:

- هذا شكله حلو وبعدين فيه عين سحرية تعرف تصفي المحطة.

أجابه العامل:

- أي هذا فعلا ممتاز. ما بقى منه غير إثنين. بسرعة خلص. إذا تريدون وعاجبكم أنا أنصحكم بيه. راديو ألماني برنجي. بس شوية غالي. أغله من الباقيات.

سأل أبو سامي عن السعر. فقال له البائع سبع دنانير ونصف.

أنزل العامل جهاز الراديو بعلبته من الرف. وقال لهما:

- تفضلوا دفعوا عند المدير.

ذهب العامل حاملاً الراديو نحو غرفة الإدارة ولحق به أبو سامي مع سامي وهلال حيث يجلس صاحب المحل نديم دخل أبو سامي وقف سامي وهلال قريباً منه. رحب بهم نديم.

- أهلا عمي أبو سامي تفضل إرتاح.

جلس أبو سامي وهو يخرج من جيبه سبعة دنانير ونص مباركاً لنديم إفتتاح المحل.

- مبروك المغازة مالتك. إن شاء ربي يرزقك وتستاهل كل خير.

مد أبو سامي يده وصافحه وكذلك سامي وهلال وسلمه مبلغ السبعة دنانير ونص. حسبها نديم وأعاد له نصف دينار.

- عمي أبو سامي أنت من أهلنا، أهل الخندك. ألك معاملة خاصة.

شكره أبو سامي وبدا الإرتياح على وجهي سامي وهلال قال أبو سامي:

- يطول عمرك عمي نديم وسلم على الوالد.

نادى نديم على العامل:

- تعال روسي جيب علبة نايلون وخلي بيها الراديو.

دخل رسمي وأخذ الراديو وقال:

- عمي أنا أسمي رسمي. مو تركنه شغلة السياسة وعمي نديم يسميني روسي عمي أنا أسمي رسمي.

ضحكوا وقدم نديم قلمين دعاية لجهاز الراديو إلى سامي وهلال وقدم قلماً من دعايات الشركة المنتجة لراديو مرفي إلى أبي سامي الذي قال:

- عمي آنه ما أقره وأكتب. أخليه تذكار.

علق هلال بالقول.

- أستاذ نديم أبي يكتب ويقرأ الكتابة اللي يكتبها، بس الكتابة مالته محد يقراها بس هو وتشبه الكتابة المسمارية!

وفيما عائلة أبو سامي تجمعت حول الراديو، جلس هلال يبحث عن المحطات في الراديو الجديد والعين السحرية الخضراء تخفت وتشع وتتوهج وتخفت مع أصوات البحث عن المحطات البعيدة خاصة في الموجة القصيرة. العائلة تستمع مع هلال لما يمر عليه مؤشر الراديو.

محطة (١):

على شط بحر الهوى.. رسـيت مراكبنا

والشوق جمعنا سوا.. أحنا وحبايبنا

على شط بحر الهوا.....

محطة (٢):

نقدم لكم من دار الإذاعة البريطانية برنامج عالم الظهيرة تستمعون فيه إلى...

محطة (٣):

صوت زهو حسـين

شـيفيد موادعه يوم الودعني..

مشوا عدمن مخليني.. ودعني..

يا لايم كف لايمتك ودعني..

محطة (٤):

كلام باللغة الصينية..

محطة (٥):

صوت حضيري أبو عزبز

يا حضيري.. بطل النوح.. وأهجع شوية.. نوحك بعد شـيفيد..

محطة (٦):

وقد أصبح سعر برميل النفط في السوق العالمية خمسة دولارات للبرميل الواحد..

قال أبو سامي:

- لا تظل تدور بالمحطات وتخرب الراديو. خليه على زهور حسين.

هلال يعيد المؤشر للمحطة التي تبث أغنية زهور حسين.

- صوت زهور حسين:

ودعني.. ودعني.. ودعني

شلون عندي ولف.. لو وله ما يعف

جرح الي بقلبي كلف.. آه جم آه

كانت العائلة تصغي إلى زهور حسين مندهشين.

نام الجميع والراديو وحده بقي سهرانا يبث الأغاني والأخبار!

طل الصباح على حارة الخندك، وجلست الفتيات الثلاث على ضفة النهر يغسلن الصحون. يشرحن الهموم لأنفسهن ويسمعنها.

الفتاة ١:

- ليلى جاء لها النصيب. شفتي أنخطبت إلى نديم.

الفتاة ٢:

- الله يوفقها.

الفتاة ٣:

- أبو نديم فتح لأبنه مغازة بالعشار فيها كل شي. راديوات ومروحات ومكوايات على الكهرباء وبايسكلات. ومكائن خياطة وكلها على الكهرباء. اللي شافوه يقولون عجايب وهو جالس بغرفة الإدارة من الزجاج، والمروحة تدور داير ما دايره. وشعره مشط ومدهون ولابس باينباغ. تعالي وشوفي.

الفتاة ١:

- توصفيه كأنك شايفته.

الفتاة ٣:

- أخي وصف لي المحل. طلبت منه ياخذني أشوف المغازة مالته. قال لي من أروح أشتري مروحة أخذك معي.

الفتاة ٢:

- إحنا حتى للعشار ما نستطيع نروح. هذا شلون سجن! شلون قسمه! يا ريت يخطبنه واحد من العشار.

الفتاة ١:

- من العشار من الخندك من الصين بس خل يجي الخطاب. وينه. ماذا ينقصنا؟ جمال أخلاق جاه، ماذا ينقصنا؟

تتطلع الفتاة الأولى إلى وجوههن في الماء. تقول لهن.

الفتاة ١:

- لا تحركن الماء. لا تغسلن الصحون.. دقيقة.

يبدأ الماء يصفو ويهدأ فتبدو صورهن جميلة في الماء وهن يبتسمن. وبعد ذلك تتطلع كل واحدة منهن للأخرى بما يشبه الذهول. هن بهذا الجمال وغير متزوجات حتى تلك اللحظة.

الفتاة ١:

- لو يخلونا نروح للسوق نتبضع، هم واحد يشوف السوق. والسوق يشوفه!

الفتاة ٢:

- كل ما أقول لأمي خليني أروح للسوق ما تقبل. ليش ما أعرف.

الفتاة ٣:

- كل ما أقول الأمي خليني أروح معك للسوق. تقول لي أنتي روحي غسلي الصحون وأنا أروح للسوق.

الفتاة ١:

- يخافون ليكون واحد يشوفنه ويروح يوقع بالحب.

الفتاة ٢:

- وبالتالي؟ إذا ما واحد يشوفنا شلون يتزوجونا!؟

الفتاة ١:

- يخافون لا نروح للسوق. ويسرقون فلوسنا.

الفتاة الثانية تتحدث بشيء من الأنفعال وتبدو طريقة غسلها للصحون فيها شيء من العصبية. يبدو الماء متموجاً، حتى يهدأ فتبدو صورة الفتيات الثلاث على سطح الماء.

صوت الفتاة ٢:

- تعرفين أهلنا يتصورونا بعدنا صغار نلعب بالمحلة. ما يعرفون كل وحده من عدنا تعدت العشرين. والنهد المشمشي الصغير صار رمان.

الفتاة ٣:

- وحان وقت قطافه. آه.

عند مغيب الشمس

تكاد الشمس أن تجنح للمغيب عندما وقف نديم بانتظار ليلى السفن راسية عند تفرع نهر الخندك من شط العرب، ويبدو الخندك عند مدخله أكثر سعة منه عند الحارة. استلقى بعض السفانة على ظهر سفنهم من شدة التعب، فيما بعضهم يشرب الشاي، وطيور اليمام تملأ الشارع وعلى أسيجة مخازن القمح والشعير. كان أحد السفانة يغني الأبوذية بصوت شجي حزين يزيد الجو الساكن اكتئابا:

علامك لا ومي ردك ولا نده.

جفيت ولا عرك خدك ولا نده.

تعرف البلهند ساجن ولنده.

وانا جارك تضيع العرف بيه.

جاءت ليلى تسير متهادية مثل اليمامة. سمراء حنطية وعيون سود وشعر أسود. رمت بإحدى ظفيرتيها على صدرها الناهد الذي يظهر مع الظفيرة كلما فتحت عباءتها لتعدلها وتشدها عند الرقبة. اقترب نديم منها.

- أهلا ليلى.
- أوف. قلبي يدق. خايفه لا أحد يشوفنا.
- محد يشوفنا. السفانة كلهم مو من المنطقة، وشوية نمشي ليقدام، لا يوجد أحد غيرنا وغير طيور اليمام.

ابتعدا قليلاً عن السفن والسفانة وحراس مخازن القمح والشعير. وراحا يسيران في الشارع لوحديهما. وإبتعد صوت المغني وكاد أن يتلاشى. أحست ليلى بالاطمئنان عندما ابتعدا وصوت المغني الشجي أصبح بعيداً. قالت:

- أوف شكد مشتاقتلك.

- أنا أكثر حبيبتي.
- لا تقول حبيبتي.
- ليش؟
- ما أتحمل. تجيني رجفه، وأحس مثل البردانه.
- ليلى كوني على ثقة قريباً نتزوج.
- يمه يمه يمه، لا تقول هذا الكلام.
- ليش حبيبتي؟
- ينراد إلها بخت.
- أنتي ليش ما تقولين لأمك؟
- كل يوم أقول اليوم أخبرها وأخاف. أخاف تقول لي لا. نديم أريد أحبك أكثر. أريد أطلع من البيت، أطلع من السجن. أريد أتنفس.

السفانة وهم يغنون شاهدوا نديم وليلى عائدين. مشت ليلى وإلى جانبها نديم على ساحل النهر. السفانة يعملون الطعام ويرتقونِ اشرعة سفائنهم ويصلحون الخلل في السفن.

قالت ليلى:

- ليش ما تودي خطابة الأهلي؟
- أكيد راح نودي خطابة. بس أول مرة أنتي فاتحي أمك. خبريها.
- يمته تخطبني
- أكيد بعد شهر محرم.

توقفا عن المشي ووقفت ليلى قبالة نديم وهي تتلفت محرجة وتحجب وجهها بطرف عباءتها.

- راح أروح لزيارة الإمام الكاظم باب الحوايج وأطلب مراد. وأروح الكربلاء وأندعي بجاه أبي عبد الله الحسين فدوه الإسمه يرزقنا ولد وبنية. نروح أنا وأمي للكاظم ولكربلاء نشتري حلاوة جزر وأشتري لك شيشة ريحه والعباس أبو فاضل. وعد.

كانت أم ليلى تقوم بترتيب وفرش أسرة النوم فوق سطح الدار عندما صعدت ليلى السلالم لتساعدها.

- يمسيج بالخير يمه.

- هله بنتي.

تتناول ليلى الحصران، وصارت تفرشها على الأرض، وتناولت سطل الماء وبدأت ترش زوايا سطح الدار. قالت لها أمها.

- ليلى، طلعتك اليوم مو لله بالله. ما أظن رحتي البيت خالتك.

لم تجب ليلى فقالت لها أمها:

- سمعتيني؟

- سمعتك يمه.. قلب الأم يعلم.

ركضت ليلى نحو أمها. عانقتها وقبلتها وهمست في أذنها شيئا.

قطار بصرة بغداد

في محطة القطار انطلقت الزغاريد ونثرت الحلويات من الجكليت والملبس ونثر الرز فوق رأسي العروسين نديم وليلى وأهل العروس والعريس من الجانبين. بعض ضاربي الطبول يهزجون وبعض أصدقاء نديم يرقصون. والناس تتطلع إلى المشهد وهما يتوجهان نحو القاطرة بالمقصورة الخاصة ذات الزجاج الأخضر المعتم.

وقف هلال وغانم قرب بائع المشويات وهو يحرك المهفة على المشويات من اللحوم وإلى جانبه أنواع من الخضار وكذلك الطماطم والبصل. شعر هلال بنوع من الحزن بأن أمل الإنطلاق نحو أحلامه لا يزال بعيداً.

صعد العروسان في العربة من الدرجة الأولى.

كان هلال وغانم يأكلان اللحم المشوي داخل الخبز.

وضع نديم الحقائب في أعلى الكابينة. ثم توجه مع ليلى وأنزل الشباك الأخضر ليودعا أهليهما والضيوف. أطلقت صافرة التنبيه للسفر. تحرك القطار.

ترقرقت عيون الأهالي من النسوة بدموع الفرح. إبتعد القطار. إنسحب المودعون. وإنسحب كل أهالي المسافرين. لم يبق في المحطة سوى بائع اللحم المشوي وهلال وغانم تقدم حارس المحطة من عربة المشويات. أعطاه صاحب العربة لحما مشوياً وطماطم. وأكل صاحب العربة هو الآخر من اللحم والكبد المشوي. فيما هلال يتطلع إلى القطار الذي أصبح بعيداً.

في كابينة القطار العروسان وحديهما يتحاوران.

- نديم تعرف أنا ما مصدقه. مثل الحلم.

- أي.. مثل الحلم.

- شايف هذه السلة الحلوة. بيها قدر. أمي طبخت لنا كبة حلب. مليان للآخر. قلت لها كبايتين ثلاثة ونشبع وين نوديه؟ قالت أخاف تجوعون.

- أنا ولا على بالي آكل. أريد أشبع منك شوف. وأريد أتعود عليك.

مد نديم يديه ومسك يديها.

طرق قاطع التذاكر على باب الكابينه. سحب نديم يديه. فتح قاطع التذاكر الباب.

- مساء الخير

- مساء النور.

- عرسان؟ الله يسعدكم.

- شكراً.

قرض تذكرتيهما. وغلق الباب بهدوء.

- تعرفين ليلى عمتي جابت هدية قرآن، قالت لي ألله يحميكم من كل شيطان رجيم.

أخرج نديم الهدية من حقيبته. علبة داخل كيس من قماش القطيفة الأسود. أخرج منها قرآنا صغيراً فقبله. ليلى أخرجت من حقيبتها اليدوية القرآن وقبلته قائلة.

- شلون صدفة حلوة آنا أمي جابت إلي هدية قرآن للمحطة. قالت لي ألله يحفظكم من كل شيطان رجيم. وبالرفاه والبنين

- ربي يحفظنا من كل شيطان رجيم.

علا صوت صفير القطار ومؤثراته على السكة الحديدية.

على ضفة نهر الرباط جلست الفتيات الثلاث يغسلن الصحون، وكانت زفة العرس في محطة قطار البصرة حديث الفتيات الثلاث.

قالت الفتاة الثالثة:

- البارحة بمحطة القطار يقولون الناس بالعشرات جايين للمحطة.

الفتاة ١:

- الله يسعدهم. يستاهلون.

الفتاة ٢:

- أي والله يستاهلون.

الفتاة ٣:

- الله يوفقهم. أي والله يستاهلون

الفتاة ١:

- الله يوفق الجميع.

الفتاة ٢:

- ونكون إحنا من الجميع بحق السميع العليم.

الفتاة ١:

- يقولون شلون زفة حلوه بمحطة القطار. وحلوى الملبس نثروها فوق رؤوسهم مع حبات الرز حتى الله يمنحهم الخير والبركة. وسمعت أهلهم أهدوا لهم القرآن الكريم.

الفتاة ٣:

- شلون عرفتي؟

الفتاة ١:

- أخي كان بالمحطة. وزعوا على الناس أكياس فيها حلوى المصقول. وآنه ضميت الكم ضميمه!

الفتاة ٢:

- وينها الضميمه. وليش ضامتها صار ساعة.

الفتاة ١:

- من الكيس اللي جابه أخوي أخذت ثلاث مصقولات. لأن يقولون اللي تاخذ مصقولة من مصقول العرس يجي إلها النصيب.

أخرجت الفتاة الأولى قطعة ورق من جريدة وفتحتها. سقطت حبتان من المصقولات الثلاث بالماء. بقيت واحدة.

الفتاة ٢:

- هاي شلون قسمه. حتى بالمصقول ما عندنا نصيب. وهاي المصقولة من نصيب من؟

الفتاة ١:

- والعباس أبو فاضل كل وحدة تاخذ منها عضه. ها أها.

الفتاة ٣:

- إسمعن. لا يروح نصيبنه يغرق بالماء. أنا شايفتهن للمصقولات بالماء.. أطلعهن قبل ما يذوبن وتذوب قسمتنه بالماي. بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت الفتاة الثالثة قليلاً بالماء ومدت يدها وأخرجت المصقولتين. ساعدتها الفتاتان وخرجت. غسلتهما بالماء وقبل أن تأكل الفتيات المصقول قالت الفتاة الأولى.

الفتاة ١:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

الفتاة ٢:

- كم هو حلو. وبداخله لوز. يوم يجي لك النصيب إن شاء الله. وإنتي أيضاً

الفتاة ٣:

- ويوم يجي لك النصيب أنتي أيضا.

الثلاثة:

- آه.

تطلعن في ماء النهر الذي كان يتماوج بسبب أخذ المصقول من تحت الماء، حتى صفا الماء وشاهدن صورهن على سطح الماء وعرفن كم هن جميلات.

البحث عن زوجـة لغانم

يجلس غانم في البستان ومعه أمه على ضفة نهر الرباط. أم غانم جلبت معها سلة من الخوض ولمت بعض الرطب المتساقط. تناولت رطبة نصفها ناضج وأكلتها وقالت:

- كم هو طيب رطب الخضراوي ليس أطيب منه غير رطب الليلوي والبرحي لكن رطب الخضراوي له طعم خاص. سبحان الخالق. أخذ وحدة.

تناول غانم رطبة من السلة. وأكلها. قال لأمه:

- صحيح رطب الخضراوي طيب. آنا أحبه.
- وين البنات صاحباتك. لسة ما وصلن؟
- أكيد قريب يوصلن.
- ومن اللي نصحك بيهن؟
- سوادي
- يا سوادي؟ ليكون هذا اللي يبيع حامض حلو بقرب دكانك!؟
- أي. هو هذا.
- وهذا شلون يعرف النسوان؟
- هو قال لي يوجد بنات حلوات يغسلن الصحون كل يوم على نهر الرباط. وإجينا، وعرفنه وحدة منهن وقال لي خل تجي أمك تشوفها... أجوا.

وصلت الفتيات الثلاث إلى ضفة النهر وأخرجن الصحون.

جلسن على ضفة النهر كما كل يوم. جلسن ويتحدثن.

الفتاة ١:

- شايفة غانم مع أمه اليوم.

الفتاة ٢:

- خطابه!

الفتاة ٣:

- أوي. أنا ما لي نفس بيه. يكوي ملابس.

قالت الأم وهي تتطلع من البستان نحو الصبايا، قالت لولدها غانم:

- أعرفهن. يا واحدة اللي داخله بعقلك؟
- والله يمه بصراحة نسيت. شفتها مرة وحدة وعلى السريع.. ما أدري. يمكن أول وحدة على إيدك اليمين.
- هاي بنت حميد الشطري. هذه أغسل أيدك منها. أهلها ما ينطوها. شايفين نفسهم زيادة. الثانية الوسطانية أبوها يشتغل كهربائي بالميناء من بيت الكاصد. الثالثة أبوها يبيع باقلاء وبزاليا ولوبيا بسوك الخضرة بالعشار.

الأم تتقدم بأتجاه ضفة النهر لتصبح في مقابل الفتيات. تسلم عليهن وغانم مرتبك.

- مصبحجن بالخير.

رد الثلاثة:

- هله خاله مصبحج بالخير.
- كل يوم تجن إهنا؟

الفتاة ٢:

- أي والله كل يوم. تعرفين الماي يجي ضعيف بالحنفيات، وأحيانا يجي ساعة وينقطع خمس ساعات.

الفتاة ٣:

- حضرتك أم غانم؟ هاي أول مرة نشوفك بالبستان خير؟

قالت أم غانم:

- نلم شوية رطب. صاحب البستان إنسان محترم. سمعت ما يمانع واحد ياخذ التمر اللي يوقع من النخل وقال للفلاح مالته خل الناس تطوش التمر الطايح بس ما يقبل واحد ينزل التمر بالقصب أو بالحجر. نعم الله عليه. وأنا أحب تمر البستان أحسن من تمر السوق. تمر البستان تذوقين بيه رائحة النخل.

الفتاة ١:

- صحيح خاله. أوقات نشوف ناس تطوش تمر. بس أكثريتهم من الصابئة. لأن الصابئة ساكنين قريب من البستان على النهر. تعرفين الصابئة يحبون الماي. دينهم ينصحهم يسكنون قريب من الأنهار.

قالت أم غانم:

- أي همه ساكنين قريب من النهر. بس لو تجون من الصبح أحسن ألكم. النهر من يجي المد. الماي ماله يجي مفرفح من شط العرب.

الفتاة ٣:

- صحيح خاله. قبل نجي كل يوم من الصبح. بس صار تقريبا ثلاث أسابيع صرنه نكمل القراية والكتابة عند الملاية زهرة. نقره الدين والقرآن تعرفين أحنا كملنا المدرسة إبتدائية وأهلنا طلعونه من المدرسة. لازم نقوي روحنه بالقراية والكتابة.

قالت أم غانم:

- زين تسوون. واحد ما يصير يبقى أعمى. أنا أروح تظل عدكم العافية. نروح نطوش شوية رطبات ونروح للبيت.

الثلاثة:

- مودعه بالله خاله.. الله وياج.. مع السلامة.

الفتاة ١:

- ما كان داعي تخبريها على موضوع دراستنا عند الملاية زهرة. ما عندها علاقة بالموضوع

الفتاة ٣:

- كلمة وطلعت من فمي. بعدين وين الضرر؟

الفتاة ١:

- بكرة ينتشر الخبر.

الفتاة ٢:

- خل ينتشر.. سمعه زينه إلنه. حتى من يجي النصيب يقولون علينا متعلمات.

الفتاة ٣:

- وينه النصيب!؟

يتأملن في الماء سوية. الماء يتحرك ثم يصفو فتبدو وجوههن على صفحة الماء يزيدهن جمالاً. خرجت صورهن من صفحة الماء.

سارت الأم تجمع الرطب المتساقط من النخيل وتضعه في السلة وتتحدث مع إبنها غانم.

- أول مرة أجس النبض. وأشوف. خليني أسأل وأشوف. أول شي البنت نفسها تقبل أو ما تقبل. بعدين أهلها. يسألون عدنا أملاك أو ما عدنا؟ بعدين يسألون عندك وظيفة أو ما عندك؟

الخطوبة الأولى

جلست أم غانم في بيت الفتاة الأولى وقالت لأم البنت:

- هذا اللي عندي قلته وأريد أسمع منك الراي.
- نسأل أبوها وأخوانها ونسأل رأي البنت. هو يشتغل يكوي ملابس، مو؟
- أي نعم.

- عنده شهادة شـي؟ دارس بمدرسة؟
- لا والله ماصارت له قسمه يدخل مدرسة.
- زين، نرجع لك الخبر.

الخطوبـــــة الثانية

جلست أم غانم مع أم الفتاة الثانية. وقالت لها:
- هذا اللي ردت أقوله. وهو ناوي يتزوج.
- نسأل أبوها وأخوانها ونسأل راي البنت. هو يشتغل يكوي ملابس مو؟
- أي نعم.
- عنده شهادة شـي؟ دارس بمدرسة؟
- لا والله ما صارت له قسمه يدخل مدرسة
- زين، نرجع لك الخبر.

الخطوبـــــة الثالثة

جلست أم غانم مع أم الفتاة الثالثة. تقول لها:
- هذا اللي ردت أقوله. وهو ناوي يتزوج
- نسأل أبوها وأخوانها ونسأل راي البنت. هو يشتغل يكوي ملابس مو؟
- أي نعم.
- عنده شهادة شـي؟ دارس بمدرسة؟

- لا والله ما صارت له قسمه يدخل مدرسة
- زين، نرد لك الخبر.

الخطوبـــــة الرابعة

جلست أم غانم مع ولدها غانم في باحة البيت البسيط. وقالت له:
- ما قبلن. ثلاثتهن ما قبلن. لا البنات ولا أهلن.

سكت غانم وهو مطأطئ رأسه فيما تعود أمه للحديث.
- يمه أنا من الأول عرفت النتيجة. أول ما شفتهن عرفتهن وعرفت أهلهن. يمه غانم كل واحد يأخذ مثله. ما يصير واحد يأخذ من الأعلى منه. يتبهذل. المرحوم أبوك أهله مثل أهلي. لهذا السبب ما صارت بيننا ولا مشكلة. ما رأيك. نخطب لك بنت مهاوي.
- بنت مهاوي اليقرة قرآن براس الجسر. لا يمه ما أريد الناس يقولون غانم تزوج بنت الشحاذ الأعمى.
- واحد ليش يقول تزوجت بنت الشحاذ الأعمى. تقول تزوجت بنت قارئ القرآن.
- لا ماما ما أريد.

الخطوبـــــة الخامسة

- أسمع أبني. أعرف وحدة إسمها حمديه أبوها يشتغل بمحطة القطار بالمعقل. دارسة ابتدائية وطلعها أبوها من المدرسة. حلوة. عمرها بالثمانية وعشـــرين.

وأنت عمرك أربعة وثلاثين. نروح أنا وياك نشوفها.

- شلون أروح أشوفها. عيب. ثم إذا ما عجبتني!؟
- أي ما راح نخبرهم جينا نشوف بنتكم حتى غانم يتزوجها. نخبرهم أنا مريت منا وعطشانة وجيت أشرب ماء.
- ماذا يعمل أبوها في محطة القطار؟
- هو يشتغل زبال بالمحطة. مو شرط تقول يشتغل زبال بالسكك. قول يشتغل عامل بالسكك. وهمه من منطقة المعقل. محد يعرفهم ومحد يعرف أبوها. أتوكل بالله. وأصبغ غرفتك بالجص الأبيض. وأطلب كهرباء إن شاء الله. وأنا أشتري لك صورالإمام الحسين والعباس وعلي بن أبي طالب وعلق الصور بالغرفة مالتك تصير ما أحلاها. وبنفس الوقت بركة ويحموكم من كل شر لا سمح الله. ما رأيك؟

وقف غانم وأمه قرب باب بيت. طرقت الأم الباب بالمدقة. خرجت البنت المسماة حمديه حيتها أم غانم.

- شنو هالجية الحلوة. تفضلي تفضلي. زارتنا البركة.

ونادت أمها قائلة:

- ماما. أم غانم جارتنا بالخندك بالخندك
- تفضلي أم غانم صار أكثر من سنة ما شفناكم.
- أي من يوم إنتقلتوا من المحلة. أجيتكم مرة وحدة باركتلكم بالبيت. غانم سمع موجود بيت صغير قريب عليكم أهله يريدون يبيعوه. أجينا نشوفه طلع مبيوع. وتذكرت بيتكم هنا وأنا عطشانة. قلت أمر عليكم هم أسلم عليكم وهم أشرب لي طاسة ماي.
- شلون طاسة ماي. هذا شلون كلام. ماما حمديه جيبي شاي إلى أم غانم وغانم.

خلال تحضير الشاي إستغلت أم غانم الوقت لترى ردود فعل غانم أزاء حمدية

فيحرك رأسه دليل الموافقة.

أم حمدية سألت غانم فيما إذا قرر الزواج كي يبني عائلة وحتى تفرح أمه بأولاده وقالت له:

- متى يا غانم تتزوج وتكمل دينك.

أجابت الأم:

- ناوي يتزوج بشكل أكيد. وغرفته الواسعة اللي تعرفيها عدنه بالبيت طلاها بالجص الأبيض وخلينا بيها صور الأمام علي بن أبي طالب وصورة الحسين والعباس سلام الله عليهم شلون صارت حلوة غرفته. إن شاء يتهنى بيها.
- هيه الحياة الهم وليس لنا. البارحة حمديه أنخطبت من واحد من عشيرتنا بالناصرية.

أم غانم بعد لحظة من المفاجأة قالت:

- أي إن شاء الله بالأفراح. تستاهل.

جاءت حمديه بالشاي في الصينة ووضعته على الطاولة. أم غانم تتأمل قليلا وهي ترشف الشاي.

- جيرانكم شلونهم. أتذكر كانت عدهم بنت صبية. لمن أجيتكم قبل سنة من أنتقلتوا تزوجت لو بعدها. راح من بالي أسمها.
- رحيمه
- أي رحيمه راح عن بالي أسمها.

قالت حمدية:

- مسكينة، توفت الله يرحمها.

عقبت أم حمديه:

- صار بيها مرض محد عرفه ثلاث أشهر وتوفت.

قالت أم غانم:

- إلى رحمة الله. أروح أم حمديه.

قالت أم حمديه:

- الآن إجيتي. وين رايحه؟

قالت أم غانم:

- أنا مريت أسلم عليكم. ومرة ثانية أن شاء الله أمر عليكم ونسولف حتى نشبع. وبعدين غانم حتى يفتح الدكان لأن الناس تجي تاخذ قمصانها.

أم غانم قبلت أم حمدية وقبلت حمدية وباركت لها الخطوبة، وغانم ودعهم. وإفترقا عند الباب.

سار غانم وأمه في الزقاق وهما يتحدثان.

- ما ألنا نصيب. خيرها بغيرها.
- يمه ليش تكذبين وتقولين أحنا صبغنا الغرفة وعلقنا صور الأئمة على الحائط.
- ما مشكلة. كنت أظن البنت ما مخطوبة حتى يعرفون عدنا غرفة مال زواج. بس مارهمت. هذا كذب أبيض ما يأثر. المقسوم يجي يمه لا يكون لك فكر.

الخطوبـــــة السادسة

كانت أم غانم تشتري بعض الخضار وقد وقفت إلى جانبها صبية سمراء بالعباءة وهي تشتري الطماطم من البائع. تحدثها:

- خالة يصبحج بالخير.
- هله ومية هله خاله.
- كل وكت أشوفج تشترين خضرة وطماطه.
- أي. آنا الوحيدة عند أهلي. بس أنا عند أهلي. وامي تعبانه وكبرت. محد يساعدها. أيام هي تجي للسوق وأيام أنا أساعدها. هاي الدنيا خالة.

الأم تتأملها. وتسمع صوتها في ذاتها.
بنت عاقلة وشاطرة وحلوة.. أجتك القسمة يا إبني يا غانم
أم غانم بعد أن سمعت صوتها يرن في رأسها. سألتها:.
- وين ساكنين؟ بيتكم وين؟
- مو بعيد منا خمس دقائق وراء السوق.
- شسمك أنتي خاله؟
- بدريه..
- خلصتي شـراء.
- أي خاله خلصت.
- أنتظريني.. نروح سوا بـس أشـتري كيلـو لوبيـا. يـرحم أهلـك كيلـو لوبيـا بسـرعة.

سارت أم غانم مع بدريه وراحت تحاورها.
- شـيشتغل والدك؟
- يكوي ملابس. عنده دكان بنفس شارعنا.
- كم عمرك خالة بدريه؟
- ما أدري لو سبعة وعشـرين لو ثمانية وعشـرين سـنة. أبـوي يعـرف. يمكـن ثمانية وعشـرين.
- خالة بدريه أنا عندي أبني غانم ما عندي غيره بـس هلواحـد. ويشـتغل مثـل أبوك يكوي ملابس. ويريد يتزوج. وأنا كل وقت أشوفك بالسـوق وتمنيتـك زوجة إلى إبني. توافقين؟
- خاله ما أدري. انا أمي تعبانه وأخاف أتزوج منو يبقـى معهـا. مـن يسـاعدها ويشتري إلها خضـرة.
- ما يصير تبقين بلا زواج. بعدين إحنا مو بعيدين. شـيفصلنا عنكم غـير النهـر وهي عبرة جسـر. تتمكنين من مساعدتها. ومن نصير أهل إن شاء الله واحـد

يساعد الثاني.

- خليني أفكر خاله وآخذ راي أمي. هذا بيتنا. تفضلي شربي جاي.
- مرة ثانية إن شاء الله. مودعه بالله ومحمد وعلي

افترقتا، ودخلت بدريه دارها فيما واصلت أم غانم طريقها وقررت أن تعرج على غانم قبل الذهاب للدار.

الخطوبـــــة السابعة ـ بشرى سارة

وصلت أم غانم إلى دكان ولدها وهو يكوي الملابس. لم يكن ثمة شخص قرب الدكان. قالت لولدها غانم:

- شفتلك عروس تفك المصلوب من المشنقة. إسمها بدريه كل وقت أشوفها بالسوق واليوم سولفت وياها وراح تخبر أهلها وتنطيني خبر. لا توجد بنت أحلى منها.
- ماذا يعمل أبوها؟
- أوتجي. يكوي ملابس مثلك.

في بيت أهل بدريه جلست العائلة. أم بدريه وأبو بدريه. وبدريه. وبعض أقربائها من النساء والرجال وأيضاً غانم وأم غانم وهلال وسوادي ومجيد وعبد النبي وجلس بينهم الشيخ.

وضعت على طاولة صغيرة صينية وعليها سلة فيها حلوى مصقول ملون. وحولها ورود جوري حمراء بأغصانها. ووضعت خبزة صغيرة وقارورة نحاس فيها ماء الورد. كما أسندت مرآة صغيرة. وإلى جانبها المصحف الكريم بحجم صغير.

الشيخ وأمامه بضعة أوراق يقول:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

- بداية لابد من الصلاة على محمد وآل محمد.
- اللهم صلي على محمد وآل محمد.
- الزواج من طبيعة الحياة ونهجها وهو يؤدي إلى بناء الأسرة، وأن تكون الأسرة الصالحة التي تنجب الأولاد الصالحين.
- أول زوجين في الخليقة هما آدم وحواء.
- وقد بارك الله الزواج وباركته الأديان. جاء في القرآن الكريم وفي سورة الروم، الآية ٢١. بسم الله الرحمن الرحيم – ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.
- إن الرحمة والبركة تدخل بيوتكم إذا تفاهمتهم ورفعتم شأن دينكم كي تنجبوا أبناءً صالحين.
- لا يصح عقد النكاح إلا بولي وشاهدين. وزوجين خاليين من موانع النكاح، وإيجاب: كقول الولي زوجتك أو أنكحتك إبنتي، وقبول: كقول الزوج قبلت نكاحها أو تزويجها.
- الزوجة وإسمها بدريه بنت بريسم الصافي هل هذا صحيح؟
- نعم صحيح.
- هل أنت باكر؟
- نعم باكر.
- الزوج وإسمه غانم عبد الله سالم هل هذا صحيح؟

غانم لا يجيب. سوادي يلكزة بسرعة. غانم يجيب:.

- نعم صحيح.
- بدريه بنت بريسم الصافي هل تقبلين غانم عبد الله سالم زوجاً لك يتزوجك وينكحك ويمتعك. بصداق حاضر مقداره عشرين ديناراً عراقياً وبصداق غائب مقداره مائتين وخمسين ديناراً عراقياً. إذا قبلت فقولي نعم قبلت.

- نعم قبلت.
- غانم عبد الله سالم هل تقبل بدريه بنت بريسم الصافي زوجة لك تتزوجها وتنكحها وتمتعها بصداق حاضر مقداره عشرين ديناراً عراقياً وبصداق غائب مقداره مائتين وخمسين ديناراً عراقياً. فإذا قبلت فقل نعم قبلت.

غانم لا يجيب. سوادي يلكزة بسرعة. غانم يجيب:.

- نعم قبلت.

الشيخ يقول لهما:.

- تفضلوا وقعوا. تفضلي بدريه تعرفين توقعين؟
- نعم. أنا خريجة ابتدائية.
- ما شاء الله. تفضلي وقعي.

تنهض بدريه وتوقع على العقد. تنطلق الزغاريد من النسوة. تعود بدريه إلى مكانها. يطلب الشيخ من غانم التوقيع. يسأله:.

- تعرف توقع؟
- لا. ما أعرف.

الأب يتطلع إلى الأم. هلال يتطلع إلى الأب. سوادي يتطلع إلى هلال. عبد النبي يتطلع إلى بدريه

- تفضل أبصم بالأبهام الأيسر.

ينهض غانم ويقدم يده اليمنى. يقول له الشيخ:.

- إيدك الثانية. اليسرى الشمال.

غانم يقدم يده الثانية. أصبعه الأبهام. يساعده الشيخ في وضع إبهامه على الستامبا ثم يضعها بمساعدة الشيخ على مكان الإسم. تنطلق الزغاريد من النسوة.

- نريد أن يحضر شاهدين واحد من طرف عائلة الزوجة وواحد من طرف عائلة الزوج.

من أقرباء الزوجة يرفع رجل يده ويقول:.

- أنا شاهد من طرف أهل الزوجة وإسمي مرهون نعمه الخليل.

يرفع سوادي يده ويقول:

- أنا من طرف غانم وعائلته. وإسمي سوادي عبد الحسين الناهي.
- يتفضل الشاهد مرهون للتوقيع. تعرف توقع؟

ينهض الشاهد مرهون. يضع توقيعه على الوثيقة. تنطلق الزغاريد. يعود إلى مكانه.

- الشاهد الثاني سوادي تفضل. تعرف توقع؟
- لا والله بصمة بالإبهام.

عبد النبي يتطلع إلى هلال. هلال يتطلع إلى والد الفتاة. والد الفتاة يتطلع إلى عبد النبي. عبد النبي يتطلع إلى بدريه. بدريه تتطلع إلى أبيها. سوادي يقدم يده اليسرى وأبهامه. الشيخ يضع الإبهام على الأسم في الوثيقة. سوادي وهو يعود ويجلس يقول:.

- الله ما قسم إلنه نقره ونكتب. إن شاء الله البركة بأولادنا. الله أرحم الراحمين.

قال الشيخ:.

- بإسمه تعالى ختمنا عقد الزواج بين المتعاقدين المتزوجين المتناكحين المتمتعين.

وبتوقيع الشهود ورحم الله من صلى على محمد وآل محمد ثلاث مرات.

ردد الجميع الدعاء ثلاث مرات.

تنطلق الزغاريد من النسوة. أم غانم تفتح كيس قماش صغير فيه رز وترمي منه عدة مرات فوق رأسي غانم وبدريه. إحدى قريبات بدريه ترمي حلوى المصقول الملون وحلوى الملبس فوق رؤوس الحاضرين.

في بيت غانم جلس النداف زاير محمود ينتف القطن المتطاير لإعداد فراش الزوجية في بيت غانم الأوتجي وبعض النسوة صديقات أم غانم منشغلات. واحدة تسهم في إعداد الطعام للنسوة العاملات والنداف. امرأة تضرب على دف وتغني بصوت خافت:.

- ألوجن ألوجن يمه يا يا يمه.. يا هواي ألوج عليك
- أم أحمد ما عندك غير هالبستة. أشو كل يوم تغنيها
- ما أعرف غيرها. هل أنا مطربة؟!
- زاير محمود تريد شاي؟
- أي والله يطول عمرج حتى يتعدل راسي. هذا صوت الندف يرن بالراس. بالليل من أنام وأنا نايم أسمع نفس الصوت يرن بأذني وما أتمكن أنام.
- زين أذا راحت منك هذه المهنة شراح تسوي. اليوم جهاز العرس يجي مخيط وجاهز من الباكستان ومن سوريا ومن تركيا. بعد لا ندافة ولا هم يحزنون.
- وليش ما أشتريتي؟
- غالي.. ما عدنه إمكانية. بعدين حتى العالم تسمع الصوت. ويجون يباركون.
- سهلة الشغلة. إشتري فراش جاهز وهلهلي، زغردي. والناس تعرف. وبعدين تعرفين أم غانم والله من أجلك. أنا بعد ما بيه حيل بس أنت عزيزه علينا. يشهد الله. وينه غانم غير يجي نشوفه نبارك له.
- غانم الله يعطيه العافية هالأيام يشتغل ليل نهار حتى يجمع مصاريف الزواج. هو هنا بالخندك تعرف ما يوجد شغل لأن أهل الخندك ألله وفقهم وإنتقلوا للحارة الجديدة وصاروا يكوون ملابسهم ببيوتهم بمكاوي كهربائية. بس أبو مرته بدريه هو أيضا أوتجي وعنده شغل زين خير من الله بالعشار. فصار يعطيه قسم من الملابس يكويها حتى يساعده. ياخذ القمصان بالليل يكويها ويرجعها الصبح. غانم الله يحفظة أوتجي يفتهم بالصنعة مالته.
- أي صنعة يا أم غانم! هو يصنع طائرات؟. هاي أحنه الفقراء لا دخلنا مدرسة ولا تعلمنا. أنا مثلا نداف. العالم تطير طيارات وأحنه نطير قطن. الناس صعدت للقمر.
- لا تكفر زاير محمود لا يروح الله يقلبها بينا.
- لا والله معقولة أنا أكفر. الروس صعدوا كلبه للقمر. إسمها لايكا وإحنا

بعدنا أوتجيه على الفحم، وندافين. بهي بهي! وأنتي تقولين يروح الله يقلبها بينا. هو قلبها وإنتهت!

وقف غانم أمام الخياط ممتاز الباكستاني واختارا قماشا أزرق اللون لبدلة العرس. صار الخياط ممتاز يأخذ مقاسات غانم فسأله غانم:

- كم كلفة البدلة رجاء أسطه ممتاز؟
- ما تكلف شي! ونظر إليه ساخراً مستعرضا طوله وعرضه ما وراك ربح. متر قماش كافي وزيادة. أكتافك ضيقة ينرادلها قنوجات ما راح ناخذ فلوسهن منك.
- أسطه ممتاز هي بدلة واحدة لعقد الزواج وليلة الدخلة. ما عندي أشتري بدلتين.
- فهمت، فهمت. أنت مو إشتريت قطعة القماش. هذي تكفي ستره وبنطلون وراح يطلع لك منها يلك ما راح آخذ سعر تفصال اليلك هذي هدية مني. يوم عقد الزواج، البس القاط والقميص والباينباغ. وليلة الدخلة ألبس مع البدلة اليلك يطلع كأنه قاط ثاني. فهمت؟.
- رحم الله والديك.

جلست الفتيات الثلاث عند النهر يغسلن الصحون.

الفتاة ١:

- غانم الأوتجي راح يتزوج.

الفتاة ٢:

- أي سمعت راح ياخذ وحده من أهل العشار. مخلصة إبتدائية بس هو لا يقرأ ولا يكتب.

الفتاة ٣:

- وإذا لا يقرأ ولا يكتب. شيسوي بالقراية والكتابة. بالليل يقرأ لها جريدة؟!

فجأة يدركن النكتة وينفجرن ضاحكات. ويبقين يواصلن الضحك. ثم فجأة

يصمتن. تتطلع كل واحدة في وجه الأخرىٰ. تنفجر الفتاة الأولىٰ وتقول:.

- وإحنا، من أين يأتي النصيب. في البيت نقابل أربع جدران من الصبح لليل. وإهنا نقابل البستان. لا أنس ولا جن. سيد صمد مجنون ومات. وستار تخبل وراح، ولا أحد يعرف وين صار. ما نسمع غير صوت الحمام واليمام. ألمن نشوف؟ ومن يشوفنا؟

الفتاة ٢:

- وفوق هذا شبابنا. يخلصون ثانوية ويروحون إلىٰ بغداد. لو يدخل جامعة لو يشتغل بدوائر الدولة.

الفتاة ٣:

- شفتي عبد الباري طلع من الخندك وصار كابتن بعد ما درس البحرية. طيب ليش راح جاب وحده جيكية ما أحد يعرف أصلها من فصلها وشمسويه ما مسوية. ليش إحنا شبينه؟

الفتاة ١:

- شقراء.

الفتاة ٢:

- وشنو يعني شقراء. إعجوبه! نصبغ شعرنا أشقر إذا كان ولابد.

الفتاة ٣:

- خلقة الله. الشقراء أيضاً خلقة الله. ناس تحب السمار وناس تحب البياض. كل واحد وذوقه. إذا تشابهت الأذواق بارت السلع.

الفتاة ٣:

- آمنا بالله. ميخالف. بس روحوا وكملوا دراستكم ورجعوا وخدموا بلدكم وأخذوا من بناتكم. وجيبوا نسل عراقي.

الماء يترقرق ويصفو علىٰ صورتهن وصوت الفتاة الثالثة.

الصوت:

- ليش يروحون يتزوجون أجنبيات وبنات بلدهم ينتظرن النصيب، والنصيب ما يجي من النهر. النصيب ما يجي من الماي.. يجي بالسفينة والشراع.

سكتت الفتيات ولم تسمع سوى طقطقة الصحون في السلال.

وأختفت صورتهن من سطح الماء.

النداف

غرفة غانم للزوجية مطلية بالجص الأبيض. وثمة ثلاثة صور مزججة للإمام الحسين والأمام العباس والإمام علي بن أبي طالب متكئات على الجدار. وقفت أم غانم وصديقتها العجوز. أم غانم تحاول دق مسمار على الجدار لتعليق صورة ولكنها لا تستطيع .

المرأة:

- أيباه. عجبة. الغرفة صارت تلصف. صيحي النداف زاير محمود يدق البسامير ويعلق الصور. لا تخربين الحايط. حرام. الغرفة جديدة.

صاحت أم غانم:

- زاير محمود. يا زاير محمود؟

النداف المشغول بنتف القطن. والذي تكررت مناداته. يقف الندف.

- ماذا تريدين أم غانم؟

- عندي صور أهل البيت أريدك تساعدني نعلك صورهم بغرفة غانم.

ينهض النداف متجهاً نحو الغرفة.

يأخذ النداف المطرقة والمسامير ويصعد على كرسي. تقول له أم غانم:

- ثلاثتهم من هذي الجهة.

- يبدأ بدق المسامير ويتحدث.

النداف:

- زين سويتي. صور الأئمة تجيب البركة والخير.

وعكـة مجيد الأعـور

وقف سوادي في منزله. وبيده مفاتيح مخزن الحبوب وهو يحدث أمه:.

- مجيُّد البارحة مو على عادته ما مر علي. وهذا خطية عايش الوحدة. خاف ليكون مريض، محتاج مساعدة. أريد أروح أزوره وأتأكد. هاي مفاتيح المخزن. يرحم والديج روحي ساعة زمان لمخزن الحبوب وآنه أروح أشوف مجيُّد.

- بس أنا اللي أعرفه مجيُّد عايش وره بالمقبرة. والمقبرة خطرة بهذا الليل. كلها طناطل. شلون تمشي بالمقبرة. أخاف عليك يمه سوادي.

- ما تخافين علي يمه. وبعدين مأخذ معي ضوء. ويقولون الطناطل تخاف من الضوء.

- مع ذلك أخذ لك واحد يروح وياك.

- إذا وجدت واحد. ما وجدت أروح وحدي. ولا تتأخرين.

كان غانم منشغل بكي الملابس ليلاً. وصل سوادي سلم عليه.

- عليكم السلام. ما صرنا نشوفك يا سوادي.

- صرت حارس، وإذا أترك المخزن منو يحرس بمكاني. وما شاء الله شغلك صار بالليل. معاك حق مقبل على زواج.

- هو شغل ما موجود بعد لأن اللي يجيبون ملابسهم انتقلوا وما بقى بحارتنا غير الفقراء. ولا واحد يكوي ملابسه. أحيانا بعض المعلمين يكوون قمصانهم. بس عمي أبو مرتي تعرف هو أيضاً أوتجي تعرف أنت وعنده شغل زين بالعشار، فصار يعطيني شغل. أكوي الملابس بالليل وأعطيهياه الصبح. وهذا يساعدني أجمع لي شوية فلوس. الزواج مكلف. الزواج يحتاج مصروف.

- الحمد لله الله يوفقك ويرزقك. عندك نصف ساعة من وقتك نروح نزور مجيِّد في بيته. صار يومين وما مر علي أخاف صار بيه شي لا سمح الله.

جلس مجيِّد على فراشه في غرفته الطينية في المقبرة وأمامه فانوس. فراشه للنوم هو نفس فراشه الأرضي للجلوس. ثمة طباخ صغير يعمل بالنفط. وقد وضع قدر فيه باقلاء. وضع صحنا من الخيار والخيار المخلل وبعض الباقلاء في صحن من البلاستيك. وإلى جانبه ربعية العرق وقد وضع منه في الكأس. يتكئ على جدار الغرفة بدشداشته وقد لف رقبته باليشماغ. يحتسي من الخمر ويتناول قطعا من الخيار ويأكل من الباقلاء ويرمي القشور على أرض الغرفة. أصوات نباح كلاب تسمع من بعيد.

وصل سوادي ومعه غانم إلى أطراف المقبرة. لا يدخلانها حيث يسمعان وقع أقدام أو هكذا يخيل لهما. سمعا أصوات نباح كلاب، ذلك يدلل على وجود حركة في المقبرة.

- ليش ما نأجل الموضوع للصبح؟

- ما أصبر للصبح. أخاف مجيِّد مريض ويحتاج مساعدة.. ليش نأجل الموضوع للصبح؟

- ما تسمع صوت ناس تمشي. والكلاب تنبح. يعني الكلاب يسمعون الأصوات. أخي سوادي يوجد ناس مروا بالليل منا ومثلنا سمعوا أصوات. الموتى أرواحهم تبقى بين القبور. يتضايقون. أرواحهم تتضايق. تريد تتنفس. الأرواح الزينة النظيفة تطلع ملائكة. والمو زينه تطلع طناطل.

- أنت خايف؟

- أي والله خايف. بصراحة غير؟ خايف. وإنت ما خايف. ما سامع الأصوات.

- كأنه سامع الأصوات. صوت ناس توشوش بصوت واطئ. وناس تمشي تركض. وكأنه أسمع ضحك.

سوادي يسلط ضوء التورج على المقبرة ويقول:.

- المعروف الطناطل والجن يخافون من الضوء. نفتح الضوء ونتوكل بالله ونمشي.

- ننتظر شويه بلكي تسكت الأصوات. إطفئ الضوء حتى لا تفرغ البطارية.

مجيٌد يحتسي من كأس الخمر ويفرغ باقلاء من القدر الذي على الطباخ. ويأكل بضعة حبات من الباقلاء ويرمي قشورها في الأرض. صوت الكلب يقترب من غرفته وينبح بصوت عال. مجيٌد بعد أن يرشف من كأسه يضعه جانبا ويصيح على الكلب المستمر في العواء والبناح.

- ولك روح كلب بن الكلب.. روح خليني مرتاح بهمي.. خليني مرتاح.. روحي طلعت من التعب.. خليني مرتاح.

لا يزال سوادي وغانم ينتظران عند طرف المقبرة وسوادي يضيء المقبرة بالتورج تارة ويطفؤه تارة أخرى. هما يسمعان صوتا بعيدا مختلطا مع نباح كلب وعواء كلاب بعيدة. لم يتأكدوا أنه صوت مجيٌد ولكنهما يسمعان صوتاً غير متأكدين أنه صوت مجيٌد سمعا منه.

- خليني مرتاح بهمي. روحي طلعت. خليني مرتاح وظنا أنها أصوات الموتى تتحدث عن عذاب القبر وخروج الأرواح من الأجساد. وسمعا أيضاً صوت حجر يتدحرج ويضرب القبور وظنا انها حركة للشياطين تضرب قبور الموتى بالحجر ليلا.

قال غانم:

- سمعت؟

- أي سمعت.. سمعت صوت يقول روحي طلعت من التعب وصـوت يقـول خليني مرتاح.. مو؟

- آنا هم سمعت نفس الكلام. سمعت صـوت روحـي طلعـت مـن التعـب و خليني مرتاح.. وسمعت صوت حجر وكلاب تنبح. خل نرجع سوادي.

وقال غانم:

- مجيُّد شلون يعيش هنا؟

- يعيش؟! ليش هو عايش؟ ليش إحنا عايشـين؟

- خل نجرب نصيح على مجيُّد.

سوادي يضيء التورج ويطفؤه ويصـيح بصـوت عـال فيـتردد الصـدى ويـزداد صوت نباح الكلاب.

- مجيُّد... مجيُّد... مجيُّد...

يتردد الصوت ويأتي الصدى:

- مجيييييد.... ييييي.... ددد... مجيييد

سمعا صوت نباح الكلاب مع تردد الصوت.

مجيُّد يسمع صدى الصوت مع نباح الكلاب:

الصوت والصدى:

- مجيييييد.... ييييي.... ددد... مجيييد

مجيُّد يقول مع نفسه وهو يحتسـي الخمر.

- من بهذا الليل يصيح بإسمي.. لا.. ربما أنا سكرت.

تكرر الصوت والصدىٰ مع نباح الكلاب:

- مجيييييد.... ييييي.... ددد... مجيييد.

- منو يناديني بهذا الليل؟

نهض مجيٌد أخذ سكينته. حمل الفانوس وخرج. سار مترنحاً في المقبرة وبيده الفانوس يروح ويجيء وهو يمشي بين القبور وكلب أو أكثر يحوم حوله.

سوادي وغانم شاهدا شبحاً من بعيد وبيده فانوس يروح ويجيء مع ترنحه وعواء الكلاب وسط الظلام ويسقط الضوء علىٰ الكلاب فتهرب من الضوء.

قال غانم:

- يمكن طنطل.. تعال نروح. آنا خايف يا سوادي.

- لا تخاف. كأنه مجيٌد. أظنه مجيٌد

سوادي يصيح وهو يحرك ضوء التورج:.

- من اللي جاي صوبنه. مجيٌد؟

- أي مجيٌد.. كأنك سوادي.

- أي سوادي وغانم.

- هله بيكم.

وصل مجيٌد. وقف قربهما.

- سلام وعليكم. خير. صاير شي؟

أجابه سوادي:

- لا. ما صاير شـي. أجينه نزورك. ظل بالنا عندك.

- يله تفضلوا ليش واقفين؟

- شنتفضل. مخترقين المقبرة بهذا الليل.

- ميصير تفضلوا على العشا. طابخ باقلا.

يسـيران معه مخترقين المقبرة نحو غرفته الطينية. سأله سوادي:

- شارب.. مقندل؟

- شويه

- هذا خارج أتفاقنا؟

مجيٌد الذي يترنح قليلا. دفع باب غرفته برجله وقال لهما:.

- تفضلوا. زارتنا البركة.

دخلوا الغرفة. علق مجيٌد الفانوس على مسمار في الجدار.

- تفضلوا.

جلسوا. مجيٌد يضع مزيداً من الباقلا في صحن ثان. قال له سوادي:

- إنته مـو قلـت بعـد مـا أشـرب.. مـو قلـت هـذا الكـلام بحضـرة الإمـام الحسـين «عليه السلام»؟

مجيٌد لا يجيب.. صامت. قال له سوداي:.

- ها؟ ليش ما تجاوب؟

- صحيح. بس أنا بره ما أشـرب. بس يا سوادي يا صاحبي ويا أخي يا غانم أنا وحدي إهنا وسط الموتى والقبور. لا حـس ولا نفـس. كيـف أقضي ـ الليـل.

الليل يصير طويل. وبعدين تجيني أفكار وكأني أسمع سوالف الموتى وقصصهم. أحيانا أسمعهم يبجون. احط لي كاس. وألف راسي وأنام. والخمر يزيل الخوف ويروح المستحى.

- أنا حياتي عدم.. والله أوقات أفكر. أمسك هذي السكين وأقتل نفسي. وأوصي الدفان يرميني بواحد من هالقبور. مليت. اشوف كل شي كذب. كل شي بلا معنى. أنا مالي قيمة.. انا ولا شي. صفر.
- الباقلا مستوية. طفي النار. لا تروح تحترق. مع السلامة.
- أشكرك أخي سوادي وأخي غانم.. ما بيه حيل أوصلكم.. أريد أنام.

سار غانم إلى جانب سوادي الذي يضيء المقبرة قليلا بضوء التورج. قال غانم:

- أقول سوادي صحيح الخمر يروح المستحى؟

ليلة زفاف غانم الأوتجي

في ليلة الجمعة تلألأت مصابيح الكهرباء المشدودة فوق سطح بيت أبو هلال الذي اتخذ مكانا لانطلاق زفة العرس، وأجتمع أبناء حارة الخندك فوق السطح، فيما جلس غانم بجسمه النحيل وقامته القصيرة، وشد لأول مرة ربطة العنق الحمراء على ياقة قميصه الأبيض، مرتديا البدلة الزرقاء التي خاطها له الخياط ممتاز الباكستاني وكان هلال يلتقط له ولبعض الحاضرين الصور الفوتوغرافية. جلس عبد الصاحب مع فرقته الغجرية والمكونة من ضارب الطبلة وعازف الربابة، ومعهم صبي صغير البسوه الملابس المزركشة يرقص بين الحاضرين ويتعالى التصفيق، وعبد الصاحب يغني بصوته الناعم .. سوده شلهاني يابوية.. سوده شلهاني.. ما رحت ويه هواي.. سوده شلهاني .

يشرف سوادي على توزيع الشربت على الحاضرين وينظم الحفل، ويوجه المغني، ويهز كتفيه بين الحين والحين. وضع بعضهم كؤوس العرق أمام بعض المدعوين مع اللبلبي والكل يردد مع المغني سوده شلهاني وغانم الأوتجي يحاول أن يخفي ارتباكه، ويمسح العرق بمنديله الأبيض بين الحين والحين.

دخل مجيّد الأعور بعد أن اجتاز السلالم متعثرا. كان قد جاء ثملا ليقدم التهاني إلى عريس الحارة غانم الأوتجي حالما طل مجيّد الأعور فوق السطح، حتى نهض سوادي من مكانه، مرحبا ومعلقا. هله.. هله ولك هله.. هله ومية هله .

هله يالمعتني بشخصه.. هلاوين.

عليه وتنشد الوادم.. هله وين.

يجرح اللي بقلب خلُك.. هليون.

أداوي يا جرح وجروح بيه.

رد مجيّد الأعور:

- ثوادي اللي عرف ربعه وخله.

وسكت مجيّد ولم يستطع إكمال الأبوذيه، فقال له سوادي:

- أي كمل. ما يجوز تنطق الإبوذية وتسكت من أول مقطع؟، وأكمل سوادي شعر الأبوذية قائلاً:

سوادي اللي عرف ربعه.. وخله.

نظيف وما عليه زله.. وخله.

السفيه الما يحب تركه.. وخله.

يموت بلا ندم تحت الوطيه.

صفق الحاضرون وانتشى سوادي من مديح الحاضرين على شعر الأبوذية الارتجالي، والتفت إلى مجيّد الأعور قائلا:.

- اضحك. اضحك. الليلة عرس أخوك غانم.. يا سبحان الله، ولا يوم شفت مجيّد يضحك، يمكن ولدته أمه بيوم معركة الطف.

ضحك الجميع، وعقب مجيّد الأعور قائلا:.

- تعتقد وجهك أحسن. أكيد ما عندكم بالبيت مرايه تشوف بيهه وجهك الأسود، وجهك مثل دعاية بهارات الهنود.

ضحك الجميع، وقال مجيّد الأعور.. وين غانم؟، وين أخي غانم؟ نهض غانم وتقدم مجيّد نحوه وعانقه وقبله قائلا مبروك وبالسعادة إن شاء الله و بالرفاه والبنين.

سأله سوادي:

- مجيّد بروح الوالدة، صاحي لو سكران؟

أجاب مجيّد :

- نص ونص.

تناول سوادي قدحا من منضدة عليها أقداح وعصير وثلج وصب شيئا من العرق وسكب عليه قليلاً من الماء وقدمه إلى مجيّد الذي جلس إلى جانب سوادي ثم صاح سوادي مخاطباً المغني عبد الصاحب الكاولي:

- بمناسبة وصول النجم الخندكي الأستاذ مجيّد الأعور نستمع إلى وصلة غنائية من فرقة الكاولية العالمية. يله عبد الصاحب الكاولي، سمعنه أغنية بصوتك الكلكلي.

نقر ضارب الطبلة على طبلته، وحرك عازف الربابة قوس ربابته على أوتارها، ونهض الصبي يرقص ويهز كتفيه على إيقاع الطبل، وغنى عبد الصاحب:.

سلمىٰ ياسلامه.. خنتي العهد وياي.

والليل ما أنامه.. يشهد علي غطاي.

وصاح سوادي مكملا..

سلومه..

ووسط الأغاني والتصفيق وزغاريد النسوة وصل صالح وناصر لتهنئة غانم بزواجه، وهما أشبه بشرطة الأخلاق الذين يريدون أن يسير كل شئ في الحارة علىٰ أحسن ما يرام. ارتبك مجيّد وانتابه شعور بالإحراج خشية أن يكون صالح وناصر قد سربا خبر حادثة إهانته إلىٰ بعض أبناء الحارة، فأراد أن يعيد الاعتبار إلىٰ نفسه. أفرغ بقايا العرق في جوفه، ثم أدار كأسا أخرىٰ، والتفت نحو أحد الحاضرين، وهو يحيىٰ الذي يجلس إلىٰ جانب بعض أصحابه وهم يمزحون ويقهقهون، وكانوا لا يكفون عن الضحك وهم ينظرون إلىٰ مجيّد فأحس بأنه موضع استهزاء، وفي محاولة منه لرد الاعتبار إلىٰ نفسه صاح بصوت عال:.

- لك يحيىٰ علىٰ من تضحك؟

رد يحيىٰ قائلاً:.

- مو عليك مجيّد لا تاخذ علىٰ نفسك!

أجاب مجيّد :

- بسيطة. بسيطة يحيىٰ أنا إلك. لو ما الليلة عرس أخي غانم كان علمتك شلون تتمضحك. أنا إلك. دوني!

رد يحيىٰ قائلا:.

- أنا دوني مجيّد بسيطه. نتواجه إنشاء الله.

صاح سوادي:.

- هاي شنو يا جماعة. إنتو إخوة.

علق صالح مخاطبا سوادي:.

- ما كان لازم تقدمون خمر.

أجاب سوادي:

- يا أخي يا صالح، إنت تعرف، بعض من جماعتنا ما يكدرون إذا ما يشـــربون، ولا توجد ليله أحلىٰ من هذي الليلة. فرحـة أخونـا غـانم هيـه فرحـه وحـدة بالعمر. وما حصل شـي. يله يا جماعة الزفة إستحقت. وصاح بصـوت عـال باتجاه باحة الدار حيث يجلس النسوة.

- ألف أصلي وأسلم عليك.. يا حبيب الله يا محمد.

زغردت النسوة ونهض غانم مرتبكا ونهض معه وزيراه الأيمن والأيسـر، ونهض الجميع، وبعضهم حمل اللوكسات – الفـوانيس المضـاءة حتىٰ خرجـوا إلىٰ الشـارع وإنتظم موكب الزفة. ووسط نقر الدفوف ساروا باتجاه بيـت العـريس غـانم وكـان سوادي يدعو النساء للزغردة صائحاً:

- يله خواتي هلهلن، فتزغرد النسوة، ومع كـل زغـرودة يحـث سـوادي ويـنظم الآخرين ليلكزوا غانم في وسط خلفه، فيقفز غانم مرتبكاً.

توقف الموكب عند مدخل الزقاق المؤدي إلىٰ دار غانم وودعوه بالقبل، وحـرص سوادي أن يأخذ معه مجيّد ليبعـده عـن أي مشـكلة متوقعـه، وذات الشـــيء عمـل أصحاب يحيىٰ الذي كان غاضباً طـوال مســيرة الموكـب، فأخـذوه إلىٰ بيتـه. وعـلىٰ مسافة وقف ناصـر وصالح يراقبان انتهاء ليلة الزفاف كي تنتهي بسلام.

التقط هلال بضعة صور بكامرته الفوتوغرافيه وطبع قبلة على خد صديقه غانم وغادر المكان حاملا كامرته في أزقة الحارة.

كانت تلك الليلة هي أول علاقة حميمة بين هلال والكاميرا.

سار غانم مع هلال مساء في شارع الحي الجديد لحارة الخندك. وأسره غانم قائلا:.

- أخي هلال بصراحة أنا صار لي يومين، وما تمكنت من زوجتي. ولـلآن محد يعرف غيرك.

أجابه هلال بعد أن تأمل قليلاً:.

- أنصحك تاخذ الليلة قنينة نبيذ، وتشرب كاس واحد، وأنا متأكد راح تفض الليلة.

- بس انتبه لا تشرب أكثر من كاس واحد.

قال غانم:

- انا سمعت الخمر يزيل المستحى، بس أنا ما شارب قبل.. يدوخ؟

- شوي. بس ما تكثر منه. تره مو زين، وأخذ وياه شوية فستق.

قال غانم:

- إمشي معي، نشتري قنينة نبيذ، لأن أستحي أروح وحدي.

بدرية..!

جلس غانم في الليلة الثالثة من زواجه. إتكأ على المخدة وسحب من كيس إلى جانبه قنينة النبيذ وقال لزوجته بدريه:.

- إعطيني كاس وصحن أخلي بيه فستق.

نهضت بدريه وقدمت له قدحاً وأخرج نصف قنينة نبيذ صغيرة. فتحها بالمفتاح وقال لها:.

- أرد أشرب شوية عصير عنب.

- وليش ما نشرب سوا؟

رشف غانم رشفة من النبيذ وتقلصت أسارير وجهه وقال:.

- هذا مو زين على النسوان يأثر على الحمل. أنا أشرب شويه يقولون يزيل المستحى.

- أخاف هذا عرق يا غانم.

- العرق أبيض. هذا عصير عنب أحمر.

- إنطيني أشمه. عصير العنب يبين.

تقدمت بدريه وأخذت القنينة وشمتها فأحست بأن رائحتها غريبة وسألته:.

- بلا ما تشمينه. أنا خبرتك هذا عصير يزيل المستحى.

ورشف رشفة منه.

نظرت بدريه نحوه نظرة غاضبة وقالت له بحزم:.

- أسمع غانم تطلع بره. تـروح ترمـي هـذا بالزبالـة. وإلا أروح أقـول لعمتـي وبكره أخبر أبوي وأسويها عليك مصيبة. شلون يزيل المستحىٰ. أنته مو زلمه؟ بعدين أنت جالس بغرفة العرس وأمامك صور الأئمة وأهـل بيـت الرسـول الحسـين والعباس وعلي بن أبي طالب«عليهم السلام». مو عيب عليـك. الخمـر يزيـل المستحىٰ؟ منو ضحك عليك. وليش مستحي؟ أنت مو رجال؟

خرج غانم كما الذليل وقبل أن يرمي القنينة في النفايـات شـرب رشـفة أخـرىٰ منها. عاد ليجدها نائمة تبكي علىٰ الفراش. فأطفـأ الضـوء وكـان يحـس بشـجاعة لم يألفها وتأكد له أن الخمر الذي رشف منه يزيل المستحىٰ حقاً.

وأحس أنه قادر علىٰ امتلاكها في تلك اللحظة. وهذا ما حصل تلك الليلة.

زهــرة الملايــة

دروس الإملاء

الملاية زهرة وهي تقطع عنق البامية في صينية وأمامها الفتيات الثلاث. تقول لهن.

الملاية:

- خليني أشوف شلون كتبتن الدرس. كل وحدة تفتح الدفتر. نشوف درس الإملاء.

نهضت الملاية وتطلعت إلى الدفاتر لتقرأ ما هو مكتوب في دفتر الفتاة الأولى.

الفتاة ١:

- هذا المقطع نقلته من المقتل.

الملاية:

- وقف زهير بن القين إلى جانب الإمام الحسين«عليه السلام» وخاطب جموع الأعداء.
- أيها القوم إذا وقع السيف بيننا إنقطعت العصمة وصرنا أمة وصرتم أمة. أن يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد لن تحصدوا من سلطانهما غير السوء. والله لينكلان بك ويسملان عيونكم وبعلقانكم على جذوع النخيل.
- تطلعت إلى دفتر الفتاة الثانية وقرأت:.
- قال الحسين في خطبته قبل أن يتوجه نحو العراق. كأني أرى وحوش الفلوات يملأن مني كروشاً خاوية وأجربة سغبا بين النواويس وكربلاء.

تتطلع إلى دفتر الفتاة الثالثة وتقرأ فيه:.

- أتت العقيلة زينب سلام الله عليها بفرس الحسين الأبيض وقدمته إليه. وقالت له: عندما كنت صغيرة سمعت أمي تقول إذا شاهدت الحسين وحيداً

في كربلاء قبليه في نحره. ثم ذهبت زينب ونظرت إلى الأفق وصاحت بصوت فيه الكثير من الحنان. أماه، لقد نفذت وصيتك.

الملاية تخاطب الفتاة الثالثة:.

- راح أخلي الرز على النار. وناخذ درس جديد. زين قويات باللغة والإملاء. ما شاء الله. ما شاء الله ما ناسيات. المستوى أعلى من خريجات إبتدائية.

نهضت الملاية وذهبت بإتجاه المطبخ ووضعت قدر الرز على الطباخ النفطي. ونهضن ليقفن قربها يحدثنها.

الفتاة ١:

- خاله زهرة كم جميل إسم زينب سلام الله عليها. والله العظيم إذا أجتني القسمة من تصير عندي بنت راح أسميها زينب.

الفتاة ٢:

- أنا إذا أجه النصيب وصارت عندي بنت أسميها سكينة.

الفتاة ٣:

- أنا أسميها زهرة على إسم فاطمة الزهراء سلام الله عليها وهم على إسمك لأن أنتي تعلمينه الدين والقرآن.

في بيت الفتاة الأولى

في بيت الفتاة الأولى كانت الأم تعد طبخ الطعام. وإبنتها تقرأ في صحيفة اليقظة. تقول لأمها:

- أسمعي ماما المكتوب بالجريدة عن مجلس النواب. مجلس النواب جعجعة بدون طحين.

- وشنو معنى هذا الكلام؟
- معناها مجلس النواب يتناقشون ويتعاركون ويصيحون ويجتمعون وكلشي ما يحققون للشعب. مثل وحدة تدير بالرحى وتطلع صوت يدوخ الراس وبدون طحين.
- ماما، أحنا وديناك تتعلمين قراية وكتابة عند الملاية زهره حتى تقرأين عن السياسة. تقرأين قرآن تقرأين مقتل الإمام الحسين«عليه السلام» بعاشوراء مو تقرين الجرايد والمشاكل اللي ما وراها غير دوخة الراس.
- وين المشكلة لو قريت جريدة!؟ حتى واحد يعرف شيصير ما يصير بهذا العالم.
- وهاي منين جبتي الجريدة؟
- الجريدة اللي يقراها أبي كل يوم.

في بيت الفتاة الثانية

جلست الأم تعد الطبخ وتجلس الصبية الثانية في باحة البيت وهو تتصفح مجلة. تقول لأمها:.

- شاديه يمكن راح تتزوج عماد حمدي
- منو هي؟
- شاديه
- ما عندنا في الحارة وحدة بهذا الأسم!
- مو بحارتنا. ممثلة مصرية بالسينما يمكن تتزوج من الممثل عماد حمدي.

- وأنتي شعرفك بالسينمات ماما. أحنه وديناك للملاية زهرة تتعلمين قراية وكتابة حتى تقرين أخبار الممثلات؟! غير حتى تقرين القرآن تقرين المقتل بعاشوراء. بعدين منين جبتي هاي المجلة.
- أخي سالم يشتريها كل أسبوع!

في بيت الفتاة الثالثة

في باحة بيت الصبية الثالثة جلست الأم تعد الطبخ وجلست الصبية الثالثة تتطلع في مجلة وتقرأ بها. تقول:

- أزياء الصيف القادم. تعالي ماما تعالي شوفي ملابس الصيف. مو هذا الصيف. الصيف اللي بعده.

الأم تترك إعداد الخضار وتذهب لتنظر بالمجلة. تشاهد سيدة في ملابس قصيرة

الأم فتقول:.

- هاي يا ملابس. وينها الملابس.. ما لابسه شي. إحنا وديناك للملاية زهرة تتعلمين قراية وكتابة غير حتى تقرين القرآن تقرين المقتل بعاشوراء موتقرين هذي المجلات. بعدين أنتي منين جبتي هذي المجلة؟
- أبي يشتريها كل شهر.
- أبوك؟ راح يعرف، شراح أسوي بيه؟

مصارحة

جلست الفتيات الثلاث عند ضفة النهر يغسلن الصحون.

الفتاة ١:

- الله يطول بعمرك يا ملاية زهرة من علمني حرفا ملكني عبداً.

الفتاة ٢:

- أخي عنده مكتبة ويشتري قصص. أسمها روايات الجيب. كتاب زغير يدخل بالجيب. أخذت قصة من مكتبته. وبديت أقرأ بيها بالليل. ما كدرت أنام.. تخبل. راح أجيبها حتى تقرأوها وما تضيعوها. حتى أرجعها إلى مكتبته وكل مرة آخذ منه قصة.
- قصة تخبل.

الفتاة ٣:

- يطول عمرك ملاية زهرة بسببك راح نصير مثقفات. بعد ما نقبل نتزوج أيا كان. أقل شي معلم.

الفتاة ١:

- لو موظف بالميناء.

الفتاة ٢:

- لو موظف بشركة النفط.

الفتاة ٣:

- مو يكوي الملابس بمكوى الجمر. ماذا ينقصنا؟

صورة الفتيات الثلاثة منعكسة في الماء وصوتهن.

صوت الأولى:

- جمال جمال.

صوت الثانية:

- ثقافة ثقافة.

صوت الثالثة:

- شرف شرف.

الفتاة ١:

- تعتقدين سهيل جاد بكلامة؟

الفتاة الثانية والثالثة:

- من هو سهيل؟

الفتاة ١:

- سهيل اللي يبيع عطور بكربلاء. اللي إشترينه منه عطور.

الفتاة الأولى والثانية:

- وشلون عرفتي إسمه؟ تشتغلين من وره ظهرنا!

الفتاة ٢:

- هاي من بعد ما رحنه طلبنه مراد من الإمام ورجعنه، معناها رحتي عليه.

الفتاة ٣:

- آنا قلبي علمني وإحنا بكربلاء من رجعنه أنت قلتي أريد أروح أشوف مدينة كربلاء.

صورة الفتاتين االثانية والثالثة فقط على سطح الماء. صورتهن على صفحة الماء الصافي.

صوت الفتاتين:

- كيدهن عظيم!

عطر الفراشة

في غرفة بيت الفتاة الأولى العروس وهي تستعد للسفر إلى كربلاء. بين المتواجدات الفتاتين الثانية والثالثة تقبلان صديقتهما.

الفتاة ٢:

- حبيبتي بالأفراح والسعادة. جيبي ثلاثة. ولد إثنين وبنيه. ما تنسين وصيتي.

نزلت دموعها وقالت:.

- دموع الفرح.

الفتاة ٣:

- حبيبتي. كثري من أكل حلاوة جزر. تقوي البنية. لا تحملين همنا. الله أرحم الراحمين.

نزلت دموعها وقالت:

- دموع الفرح.

قالت العروس:

- راح أتوحشكم والعباس أبو فاضل راح أتوحشكم.

نزلت دموع العروس وقالت:.

- تره هذي دموع الفرح. راح أطلب مراد وأنذر نذور إن شاء الله يجي النصيب.

الصبيتان الثانية والثالثة تزغردان. ويغادر الجميع الغرفة مع أهازيج.

- شايف خير وتستاهلها.

وقفت سيارتان واحدة للعريس والعروس والثانية لأهل العروس. عند الباب بعض أقرباء العروس ينثرون حلوىٰ الملبُّس وحلوىٰ المصقول. والفتاتان تنثران الرز فوق رأسي العروس والعريس. ويدخلان في السيارة.

تحركت السيارتان. الفتاتان تنظران إلىٰ السيارتين. دموعهما تنساب علىٰ خديهما وهن يزغردن:

يا مسعده.. وبيتج علىٰ الشط

جلست الفتاتان الثانية والثالثة يغسلن الصحون. قالت الفتاة الأولىٰ:

- راح تسبح بالعطور وصارت تردد يا مسعده وبيتج علىٰ الشط.. منين ما ملتي غرفتي.

الثانية تغني معها منين ما ملتي غرفتي ثم تكمل مقطعا ثانيا وتستلم منها الصبية الأولى لتكمل المقطع معها.

- وبماينا بس يسبح البط.. وبشريعة الخندك زلكتي

الإثنان يغنيان معا.

- وبين الجرف والماي رحتي.. وفوق التعب ضاعت قسمتي.

الفتاة ٣:

- الله يوفقها راح تستحم بعطر الفراشة.

الفتاة ٢:

- يومية تستحم بعطر الفراشة. الله يسعدها. أي والله من كل قلبي.. تستاهل. بس بيني وبينك.. شاطرة. دبرتها.

الفتاة ٣:

- أسكتي أجو خطابه.

في البستان مشى عبد النبي وحسن الشاوي بين النخيل يتطلعان إلى الفتاتين.

عبد النبي وحسن يمشيان ويتظاهران بلم الرطب ويأكلان. قال عبد النبي:.

- حلوات.. الإثنين حلوات.

- يمكن خريجات متوسطة.

- لا. ابتدائية ويدرسن دين وقرآن عند زهرة الملاية.

كانت الفتاتان تنظران نحوهما تارة وتارة ينشغلن بغسل الصحون.

الفتاة ٢:

- أعرفهم. هذوله من جماعة يعيش ويسقط.

الفتاة ٣:

- هذا اللي على يمينك تخرج من دار المعلمين الإبتدائية وتعين معلم بالجبيلة. الثاني. خلص ثانوية وتعين بشركة يسموها شركة التأمين.

الفتاة ٢:

- زين يطلع إلهم راتب كل واحد ١٨ دينار.

الفتاة ٣:

- وأهلهم حالتهم زينه. إن شاء الله وتجي قسمتنه سوا. ونسويها كولبة بالقطار من البصرة البغداد وللموصل وبمصيف بسرسنك.

الفتاة ٢:

- ينرادلها بخت. لكن إذا ما يترك اليعيش ويسقط ما راح أوافق. وإذا ألله راد وأجت القسمه. ما أخليه يتحرك بعد ما يطلع من الدوام. رجلي على رجله.

الفتاة ٣:

- وآني مثلك. واحدة تتزوج وتحمل وتجيب وبعدين شايله طفل على هالكتف وطفل على هالكتف وماخذتهم ورايحه على سجن نقرة السلمان. وفوق هذا نحمل سلة بيها طبيخ وفواكه. على شنو هالشدة.

الفتاة ٢:

- ويا ريت يطلع ألهم شي. يدفعون التبرعات وتنزل بجيوب غيرهم، وهمه يعيش ويسقط. عمال مساكين بالدوكيار تحت نار جهنم يقطعون من خبزة

أولادهم ويدفعون تبرعات. والما يخافون من الله واحدهم كرشه كأنه حامل بالتاسع. وشوفيهم هالمساكين جلد وعظم.

الفتاتان بصوت منخفض وهن يتطلعن إلى عبد النبي وحسن:.

- والله إذا صارت القسمة لنلوي أذاناتكم لوي ونشوفكم نجوم الظهر إذا ما تتركون اليعيش ويسقط.

- يبينون ناوين عليها.

عبد النبي وهو بين أكل الرطب المتساقط ويتحدث مع حسن يتطلعان بين الفينة والأخرى نحو الفتاتين. يبتعدان قليلا ويتحدثان. قال عبد النبي:.

- بعدين من الناحية الاجتماعية ممتازات. لا هن من الطبقة الفقيرة ولا من الطبقة البرجوازية. إثنيناتهن من الطبقة المتوسطة. أو البتي برجوا

- أقول لك. أحنا راح نأسس حزب؟! بابا نريد نتأهل ونسوي بيت. وأنت جاي تتحدث عن الطبقات.

في ديوانية والد الفتاة الثانية

في ديوانية بيت الفتاة الثانية. جلس الأب وجلس عبد النبي وعمه. قال العم وهو يرشف الشاي:

- تعرف أنا مثل أبوه. وربيته على أيدي من وفاة والده الله يرحمه. وأحنا يشرفنا أن نطلب له أيد المحروسة بنتك.

في غرفة صغيرة تجانب الديوانية جلست الفتاة الثانية وأمها يصغيان للحديث. حينما يقول الأب:

- وإحنه أيضا يشرفنا. بس المشكلة وين؟ المشكلة الأستاذ عبد النبي شاغل نفسه بالسياسة. وبصراحة السياسة ما توكل خبز. وبعدين صعب علينا

يومية الأمن والشـرطة يطرقون باب البيت. هذا في أقل تقدير ناهيـك إذا مـا دخل سجن لا سمح الله. وبالتالي لو بسجن نقرة السـلمان لـو بسـجن الحلـة. وتعال يا عمي شـيلني!

في ديوانية والد الفتاة الثالثة

في ديوانية بيت الفتاة الثالثة. جلس والدها وأخوهـا. إلى جانـب حسـن ووالـده وأخوه وهم يرشفون الشاي.

في غرفة صغيرة تجانـب الديوانيـة جلسـت الفتـاة الثالثـة إلى جانـب أمهـا وهمـا يسمعان صوت والد حسن:

- ويشـرفنا نطلب أيد محروستكم إلى ولدنا حسن.

قال الأب:

- إحنا أيضا يشـرفنا. أحنا أهل وأبنـاء حـارة واحـدة. الله يشـهد. وطبعـا لازم ناخذ رأي البنت. بس بصـراحة حسن بدل ما يطور نفسه بالدراسة والتجارة شاغل نفسه بهذي الشغلة اللي ما توكل خبز. يوم يعيش ويوم يسـقط وهـذي وين راح توصله؟

قال والد حسن مخاطباً إبنه:.

- سمعت يا حسن.

عقب والد الصبية قائلاً:.

- إحنا ما عدنا مانع غير هذا المانع وطبعا بعد موافقة البنت نفسها.

كانت الصبية الثالثة تصغي لآخر ما قاله والدها وإبتسمت بالرضا. انهى والـدها الحديث بالقول.

- شوف أبناء الخندك ما شاء الله. اللي طلع مـنهم الطبيـب والـوزير والمهنـدس والمعماري والتاجر. هذا نديم ما شاء الله عليه. فتح له محل أسـتيراد ثلاجـات وراديوات ومروحات كهربائية لأنه شغل نفسه على التجارة. بالسـياسة مـاذا

تفتح؟ تفتح سجن؟

وحين إلتقت الفتاتان عند النهر بعد الخطوبة قالت الفتاة الثانية:

الفتاة ٢:

- والدي تحدث معاهم بصراحة. سياسة ويعيش ويسقط ما نريد. واحد يتزوج ومن البداية يعرف السياسة راح يتم أطفاله!؟

الفتاة ٣:

- والله أنا نفس الشي. والدي أتكلم وياه كلام. يعني كلام ذهب.

الفتاة ٢:

- أبوي قال له ما عندي مانع ويشرفنا بس يترك السياسة.

الفتاة ٣:

- وأنا نفس الشي أبوي قال له ما عندي مانع بس تبطل من السياسة.

حسن وعبد النبي مشيا على القنطرة. عندما وصلا البستان وجلسا تحت نخلة. قال حسن:

- ما تقول لي شحصلنا من السياسة. أشو جماعتنه كلهم بالسجن. وإحنا كل يوم جاك الواوي وجاك الذيب.

أجاب عبد النبي:

- وأنا طول الليل أفكر بالموضوع. للصبح ما نمت. صحيح. اللي يريد شي يعوف شي.

تحت النخلة وهما يأكلان الرطب المتساقط قال حسن:

- صراحة. إحنا نضحك أحيانا على سوادي بس الحكمة الشعبية مهمة. الناس تحكي عن تجربة. السياسة بحر واللي ما يعرف يسبح يغرق.

عقب عبد النبي:

- أتذكر يوم صار عصبي وياك من شافك حزين على بولغانين من مات. صحيح حسن ما تقول لي شنو علاقتنا أحنا في بولغانين.

نظر حسن نحو الفتاتين وقال:.

- شوفهن حلوات على النهر. حلوات وبنات حارتنا وخلينا نطلع من هذا الجو اليابس. أمشي نصارحهن ونواعدهن بعد ما ألنا علاقة بالمشاكل مال السياسة. ونقول إلهن نريد نبني عائلة.. ونقسم بالإمام الحسين ما نشتغل بالسياسة.

نهضا. مشيا. وصلا مقابل الفتاتين في الجانب الآخر من النهر. المشهد التالي يتم بالإشارات وبضعة كلمات. بين الحديث والإشارات تمت المحادثة.

الفتاتان إنتبهتا إلى عبد النبي وحسن وهما يمشيان ويتوقفان أمامهما من الضفة الأخرى.

الفتاة ٢:

- كشخة!

الفتاة ٣:

- لابسين بايمباغات.

الفتاة ٢:

- لا ترفعين صوتك. يروح يسمعون.

ابتسم عبد النبي وحسن.

الصبيتان إبتسمتا. أخفضن رأسيهما. شاهدا صورتيهما على سطح الماء. إلتفتن نحو حسن وعبد النبي.

حسن وعبد النبي أشارا بالأيدي ما معناه. نريد أن نأتي صوبكما .

الفتاتان أعطتا الإشارة بالرفض بحركة من رأسيهما.

حسن وعبد النبي أشارا بيديهما ما معناه نريد التحدث معكما.

الفتاتان أشارتا بالرفض بحركة من رأسيهما.

يشق ماء النهر ذات المشحوف الذي يمر بين الحين والحين ويجذف فيه نفس الشخص الذي يمزح معهن. قال صاحب الزورق:.

- وين صاحبتكم الحلوة الثالثة؟

ضحكت الفتاتان:

- تزوجت؟

إلتفت صاحب الزورق نحو حسن وعبد النبي وقال لهما:.

- تريدون أعبركم إلى ذاك الصوب.

ضحك حسن وعبد النبي وضحكت الفتاتان. ضحك صاحب الزورق. تعالت أصوات الضحكات وراح صاحب الزورق يجذف بالماء ويبتعد بزورقه. فتحركت صورتهما على الماء ثم صفا الماء وركد وإنعكست صورتيهما في الماء وهن مبتسمات.

جماهير المودعين

إزدحمت المحطة بالمودعين. العروستان الصبيتان الثانية والثالثة ومعهما العريسان عبد النبي وحسن والعائلات يرمون بحلوى الملبس وحلوى المصقول والرز ومصور الفوتوغراف يصور الزفاف. صعدوا القطار. الصبيتان العروستان إنسابت دموعهما وهما ينظران من شباكي عربة القطار. عبد النبي قال لعروسته وهو ينظر للمودعين.

- والله هذا الحشد من الجماهير بحاجة إلى هتاف.

- والعباس أبو فاضل أرميك من شباك القطار.

في الشباك الثاني قال حسن لعروسته:.

- ما كنت أتوقع هذا العدد من الجماهير يحضر توديعنه.

- هذوله أهلي وأهلك.. يا جماهير؟ إن شاء الله تريد تهتف؟ قسما بالحسين أرميك من شباك القطار.

صفر القطار وتحرك. والعائلات تودع أبناءها. إبتعد القطار وهو يصفر.

ظلال شجرة السدر

غرفة الماكياج

جلس هلال على ضفة نهر الخندك تحت الجسر الذي يقرأ عنده مهاوي سورة يوسف. وإلى جانبه غانم وهما يبثان الهموم. قال غانم:

- الشغل ما عاد مثل الأول. ثلاث أربع قمصان في اليوم. ولو ما عمي أبو مرتي يعطيني شغل. الحياة تصير صعبة يا هلال.

ومرتي يمكن حامل. واحد يصير عنده طفل. ينراد مصرف:

- وشلون عرفت مرتك حامل. متأكد؟
- أمي قالت لي. مرتي أوكات تصير عندها دوخة. وأنت شايف المحل فارغ. ما أقدر أصرف فحم من أجل قميص أو قميصين. أكوي القميص بعشرين فلس! وأنت شراح تسوي هلال؟
- أنا أفكر أروح البغداد. أشتغل بالإذاعة بالصحافة. أقدم لمعهد الفنون الجميلة.. بس من أروح إلى بغداد أحتاج شوية فلوس. يمكن أشتغل كاتب بشركة شحن أسجل الحمولات والصناديق الصادرة والواردة. أنت ليش ما تشوف إلك شغل عامل.
- أي شغل يا هلال؟ أنا لا أقره ولا أكتب. ما أعرف الجك من البك. شأشتغل؟!

والخندك فرغت من أهلها. حسن وعبد النبي تزوجوا وما عاد يجون صوب الدكان. نديم وأهله وأهل مرته صاروا بالبيوت الجديدة. سوادي أشتغل بمخزن الحبوب. نصف الحارة إنتقلت. عبد الباري راح صار بحار. هادي دوغلاس بعد ما يمر ولا يسلم حتى بالإنكليزي.. ما بقى أحد. صارت الحارة وحشه. والحارة بأهاليها مو بشوارعها ولا ببيوتها. ما قيمة البيوت إذا كانت خالية. وأنت راح تسافر.

سكتا لبعض الوقت. يضيف غانم :

- إذا سافرت أنا أجي أودعك بالمحطة.
- إذا أسافر ما أحب أي شخص يودعني. حتى أهلي ما أحب يودعوني. ما أحب الوداع. لقد قررت السفر إلى بغداد لدراسة المسرح، وصار يمثل يقول المخرج والكاتب قاسم حول في مسرحية غرفة الماكياج. المسرح هو الحياة، والحياة هي المسرح والفرق بسيط بينهما، ففي المسرح تدفع الثمن وتشاهد المسرحية، أما في الحياة فإنك تشاهد المسرحية وبعد ذلك تدفع الثمن.

وبينما كان يمثل وغانم مندهش من أدائه، سمعا صرخة هزت الحارة فالتفتا نحو مصدر الصرخة، فإذا يحيى وهو يطعن بالسكين مجيّد الأعور طعنة في الرقبة، ثم في الخاصرة، وتركه يسقط على الأرض والدم ينزف منه.

تقدم غانم وهلال قليلاً وتجمع المارة قرب المكان وقد وقف يحيى عند جثة مجيّد الأعور والشرطة خرجوا من المخفر ووقفوا دون أن يتقدم أحد منهم ويحيى بيده السكين. وصل سوادي راكضا، وشاهد مجيّد على الأرض والدم ينزف منه. صاح يحيى بصوت عال وكأنه ممثل يؤدي دورا أمام المشاهدين.

- لك مجيّد عرفت منو هو يحيى بن جواد؟ أنا يحيى بن جواد آنه مو دوني، سمعت؟ سديت حلكك للأبد.. سافل!

رمى السكين فوق جثة مجيّد الأعور وتوجه نحو الشرطة الذين ساروا خلفه، وسار نحو مخفر الشرطة.

انسحب الناس.. هلال بقي واقفا معتقدا إن المشهد ليس سوى امتداد لمسرحية كان يلقي مقطعا منها قبل لحظات، وقد وقف سوادي وهو يبكي بصمت.

نبتة الريحان

كان سوادي يسقي نبتة الريحان عند قبر مجيٌد ودموعه منسابة على خده. وقف خلفه دفان الموتى. قال له:.

- المرحوم أخوك؟
- مثل أخي. وآنه جيتك الحقيقة حتى أعطيك فلوس الدفن. هو ما عنده أحد. هاي خمس دنانير.
- لا. خلي فلوسك بجيبك عمي. المرحوم كان جاري. كان جار كل اللي دفنتهم. الله يرحمه. كان صوت الكلاب يسليني بآخر الليل. الكلاب بالليل صوتها حلو يطرد الوحشة. كلما أسمع صوت الكلاب أعرف مجيٌد متوجه إلى غرفته. الآن صنطة. سكتة.. الحياة عمي أمرها عجيب. ما أحد يعرفها غير دفانها. ما تسوه!

أحـــلام ســـوادي

في هور الصحين

في سفينة راسـية أمام مخزن الحبوب. جاءت المعيدية تسواهن وسألت السفانة:

- تريدون كيمر؟

أجابها أحد السفانة:

- شلون ما نريد كيمر. أنتي كيمر. تعالي جيب إلنه خمس صحون كيمر.

ظهر سوادي من المخزن بعد أن سمع صوت تسواهن وهي تقول للسفان:

- تريد كيمر تعال أخذ. ما معنىٰ هذا الكلام. أنتي كيمر وأصـعدي جيبـي ألنـه كيمر. لا يكون حاسبني جايه من الهور وما عندي أحد. أنا مو تايهة!

تدخل سوادي:

- عمي. ما معنىٰ هذا الكلام اللي ما له معنىٰ. تريد كيمر إشتري كيمر وأدفع إلها حقها. ما معنىٰ أنتي كيمر وصعدي للمهيلة. أنا سمعتك. هـذا كـلام مـا لـه معنىٰ.

- شفت. انا مو تايهة.

- كفرنا؟ ما كفرنا؟ يا كلمة ردي المكانك..

نزل السفان متوجها نحو تسواهن وسوادي. سألها:

- كم سعر صحن القيمر؟

- بميه وخمسـين فلس.

- كم يكون الحساب؟

- اليكون.. كم اليكون سوادي؟

- كم اليكون خمس مواعين على ١٥٠ فلس؟ اليكون. عندك كل ما عون بماية وخمسين فلس. عندك خمس مواعين. اليكون.. يمكن فوك النص دينار؟

قالت تسواهن:

- على مية خمسمية. على خمسين ميتين وخمسين. اليكون سبعمية وخمسين.

وضعت تسواهن طبق القيمر على الأرض. وعزلت خمسة صحون.

- هذا دينار. رجعي لي ميتين وخمسين. غيرّي هذا الصحن. أنطيني هذا اللي فيه كيمر زايد.

- لا. هذا مو للبيع. هذا صحن سوادي .

- ها...

- بس يرحم أهلك الصحون لا تذبهن من تخلصون الأكل. خليهن عند سوادي.

أعادت له تسواهن المتبقي من الحساب وحملت طبق القيمر وذهبت مع سوادي بإتجاه مخزن الحبوب. قالت له:.

- سوادي اشو أنت ما تعرف تحسب.

- لا. بس بالكيمر ضعيف بالحساب. بقية الأمور، لا. ممتاز.

- صكد؟ أحلف بالعباس.

- والعباس أبو فاضل.

- فدوه رحت لأسمه.

وضعت تسواهن صينية القيمر على الطاولة الخشبية القديمة. قالت:.

- أسويلك جاي، بس أشعل الموكد.
- أكلك سوادي. ما راح تودي خطابه لهلي؟
- خل تمر أربعينية المرحوم مجيًّد.. مجيًّد يا تسواهن ترك جرح في قلبي. ما عنده أحد بهلدنيا. وراح بالخالي بلاش. خلي تمر الأربعين لأن لسه دمه ما نشف. الله يرحمه.
- أي والله. الله يرحمه. إله وحشة. مكانه خالي.. مبين عاقل. وساكت. لا يقول لا يحجي. أقول سوادي يوم من الأيام أحب أروح أسلم على أمك. آخذ إلها صحن كمير دبل وأسلم عليها.
- إن شاء الله تسواهن إن شاء الله.
- ليش ما تجينا للهور.. تعال أنا عازمتك. آخذك وياي بالمشحوف وتسمع الأغاني الحلوة والهور ينعش الفؤاد. أنت ما شايف هور الصحين؟
- لا. ما رايح ولا مره للهور. هور الصحين في مدينة العمارة؟
- لا. مدينة العمارة في هور الصحين. هور الصحين أكبر كثير من مدينة العمارة.
- يرحم أبوك تعال إلنه. أنا عازمتك وأشوي لك سمج. بس أريد منك وعد.
- تأمرين أمر تسواهن.
- إذا الله كتب ألنه قسمه. كون كل سنة تاخذني للزيارة. زيارة أبي عبد الله الحسين.
- تأمرين أمر. أنا كل سنة أروح للزيارة ولا سنة ما رحت. خو آخذج وياي.
- صكد؟ جا بعد شريد بالدنيا؟ ينراد إلها بخت.
- من تريد تجي للصحين أنطيني خبر. حتى أنطي خبر لأمي.

أحلام المتعبين!

على ضوء القمر أستلقى سوادي على فراشه غارقاً في حلم جميل فوق سريره الخشبي. نام على صوت بضعة يمامات على هامات النخيل. يسمع سوادي صوت مغن من السفانة بين الحلم واليقظة. ويشعر أنه جالس معهم في مقدمة ظهر السفينة. وكان أحد السفانه يشكو له تعبه.. شاهدهم وهم يشدون السفينة بالحبال على أجسامهم ويسحبون السفينة بمحاذاة الساحل والماء يسري بعكس إتجاه السفينة.. صار السفان يسحب السفينة لوحده وهو يشكو لسوادي وسرب من اليمام يلتم عند وجهه وينقر حبات الشعير..

- خبرني يا سوادي، ما هو مستقبلنا. رايحين جايين بهذا النهر. نروح الى نسوانه تعبانين. وخاصة من السفينة تمشي بعكس الماي ونضل نسحبها بالحبال وإحنه على ساحل النهر. من أنام بالليل أظل أون من الوجع. وأصرخ بأحلامي الله وكيلكم ومحمد كفيلكم.. أصرخ وأنا نايم. وأحيانا الجيران يفزون. الصبح الجيران يسألون عائلتي البارحة شبيه أبوكم.. سمعناه يصرخ.

صحا سوادي من منامه وكان السفان الذي شكا تعبه لسوداي يغني عند الفجر.

سوادي أخذته الإغفاءة ثانية مع بقايا صوت اليمام وراح يحلم وهو مستلق فوق تلال القمح والشعير المغطاة بالجتري. ومتكئة إلى جانبه تسواهن وبينهما صينية القيمر. وصوت اليمام يسمعه كما الصدى

- يرحم أبوك سوادي شكد تحبني؟!
- أنا بيا حال وأنتي تسأليني هيجي سؤالات صعبة.
- ليش شبيك سوادي.
- أنا مشغول. مشغول يا تسواهن مشغول. أريد أجمع لي جم فلس وأتزوج. تسواهن اليوم الماعنده فلس ما يسوه فلس.

تسواهن تغني الأبو ذيه كما السفان ومن ذات اللحن.

تسواهن:

آ ياويلي آ يا ويلي. آه.. أويلاه

سكارىٰ بعطر وجدك ونتمايل

ومرات نتكابل وأنت مايل

يدور الفلك بيه وأنت مايل

دعدله وسكت الآهات بيه

سوادي نزلت دموعه في الحلم ثم صار يضحك. قالت له تسواهن:

- شبيك سوادي أشو جنت تبجي وصرت تضحك ودموعك بعدهي مبلله خدك.
- تذكرت والدي ألله يرحمه فد يوم قال لي الفقير فوك الجمل والكلب عضه.
- سوادي جبت لك كيمر دبل.

مع صوت صياح الديكه تسواهن واقفة قرب سرير سوادي وهو في بقايا إغفاءته.

قالت له تسواهن:

- سوادي جبت لك قيمر دبل..

صحا سوادي من حلمه ومن نومه سوادي:

- هله ومية هله تسواهن مصبحج بالخير.
- شنو ما نايم البارحة؟
- أي والله ما نمت. السفانة يغنون وأغانيهم حلوة غناهم طالع من القلب. مهمومين. حالهم مثل حالي.
- أسم الله. أكعد غسل وجهك وأنا أخدر لك الشاي حتىٰ تاكل قيمر. فدوه رحتلك سوادي والعباس البارحة أندعيت لك بالضريح مال فواده أم هاشم، كون الله يوفقك.

مشـروع زواج

غروباً جلس سوادي في مخزن الحبوب وإلى جانبه أمـه يرشـفان الشـاي. صـوت غناء السفانه يسمع بعيداً. قال سوادي لأمه:

- أحس بوحشة يمه.

أجابته الأم:

- ينراد لك مرة تتعارك وياها. وينراد لك أولاد يتعاركون ويـاك. حتـى واحـد يلتهي. وينقهر ويتصالح. كان المرحوم والدك كل وكت عنده مشاكل ويـاي. من توفه حسـيت بوحشه. أشتهيت واحد يتعارك معي.

سكتا. رشفا من الشاي. قال لها سوادي:

- الحارة صارت وحشه

- شوف لك مرة.

- بس المرة وأهلها يطلبون الجاه. أول سؤال يسألونه، شـيشتغل؟

- حارس. حارس معمل الحبوب. بصـراحة هـذي مـو شـغله. نخـدع نفسـنا. الشغل بالنسبة للناس معلم، كاتب بشـركة، تـاجر. مـو حـارس. حـارس؟ شـيعمل الحارس، يحرس الحبوب من الحمام. هذي شغلتي مثل الصـدقة مـن الحاج سلمان أبو داود الله يرزقه إن شاء الله. خلصني من بيع حلوى الحـامض حلو للأطفال. بعدين لا تنسـين أنا كبرت. الإنسان يكبر مـو يصـغر. لـذلك أريد أصارحك ماما. واحد يتزوج مثل حاله. المعيدية اللي تجيب لي كيمر كـل يوم الصبح. بصـراحة حبيتها وهي هم حبتني.

- إن شاء الله، الله يوفقك. المعدان أهلنه. ومدبرين أحوالهم. عايشين فوق الماي وينزلون بالماي ويقصون القصب ولا يصيحون آخ. توكل بالله. وأندعي لك بالموفقية. أنا هم صرت أريد أشوف أولادك يا سوادي.

- هيه عزمتني للهور.

- روح شوف أهلها، وأنا أحرس لك المخزن. لا يكون لك فكر.

في رحاب الهور

انساب القارب في هور الصحين وقد جلس فيه سوادي وهو يلبس الكوفية والعقال. وتسواهن تجذف. سوادي المنبهر بجمال الطبيعة. قال لها:.

- ما أصدق عيوني تسواهن والله العظيم ما أصدق عيوني. هذا شلون جمال.

- لو تشوف الإنكليز. يجون وجايبين معهم مكائن تصوير.

- كاميرات..

- يرحم والديك كاميرات.. كل واحد حامل الكاميرا. وياخذون إلنه عكس، صورة. ما أدري شعاجبهم بينه. ما أدري ليش ما ياخذون صور لنسوانهم الشقر. بس كلما يجون يوصلون الكوت حفيظ ويرجعون. يخافون.

- وليش يخافون؟

- لأن مرة أجه واحد إنكليزي هو ومرته. وراحوا الكوت حفيظ وما رجعوا. ما بقى إلهم أثر. ومن ذاك الوكت صارت الناس تخاف توصل إلى كوت حفيظ. يقولون، إستغفر الله، محد يعرف. موجوده بيوت تحت الماي بيها الناس من أهل قبل. ما يقبلون واحد يوصل القبورهم. اللي يوصل أهناك يطلعوله فوق الماي ويغرقوه وياخذوه وياهم. وما يبقى له أثر.

وصل إلى جانب زورقهم زورق آخر فيه معيديتان. قالتا لتسواهن:.

المعيدية ١:

- يصبحج بالخير تسواهن.

- يصبحج بالخير خيه.

المعيدية ١:

- هذا صاحبج اللي أجه يخطبج؟

- أي هو.

المعيدية ١:

- شسمه؟

- تجيب تسواهن ومعها سوادي.

- سوادي.

- سوادي مؤكداً.

- سوادي سوادي.

المعيدية ١:

- ياخذج للولاية؟

- إن شا الله

المعيدية ٢:

- وياخذج للسيلما؟

ضحكن وأسرعن الجذف.

عند كوخ طاف فوق الماء وإلى جانبه جزيرة صغيرة فيها جاموستان. أم تسواهن تشوي السمكة وقد نبتتها في الجزيرة القصبية والنار في مواجهتها. وقد وضعت بصلا وطماطم. وإلى جانبها تنور الخبز.

في داخل كوخ أم تسواهن حيث فرشت أرضية الكوخ بالفراش السميك وعليه مخدات مطرزة ووضعت صينية السمك المشوي مع البصل والخبز وهم يأكلون السمك. قالت له تسواهن:

- لو ما كلام الناس. كان قلت لك بات الليلة عندنا، ونروح الصبح.
- أنتي ليش تجين بالأسبوع مرة مو كل يوم؟
- حسب الجواميس ما تذب حليب. حسب ما تنطي حليب نسوي كيمر حتى واحد يدفع أجرة السيارة ويجي. وإذا الحليب قليل يكون القيمر قليل ونبيعه بمدينة العمارة. لكن بالعمارة ما يدفعون زين. صحن القمير بأربعين فلس. البصرة يدفعون ميه وخمسين. من عرفتك صرت بعض الأوقات أجي كل يوم.

منحة زواج

جلس الحاج سلمان أبو داود وثمة عمال ينقلون أكياس القمح إلى السفينة. عدد من الحمالين يخرجون من المخزن ويذهبون للسفنية ويرمون الأكياس فيها. الحاج سلمان جلس على كرسي وراء المنضدة القديمة وهو يضحك متمتعا بسفرة سوادي للهور.

- أي سوادي. رحت إلى هور الصحين ها؟
- أي والله عمي.

الحاج سلمان يواصل الضحك.

- وجلبت معك معيدية؟

- أي والله عمي.

الحاج سلمان يواصل الضحك.

- إن شاء الله حلوة؟

- أي والله عمي حلوة. جداً حلوه.

الحاج سلمان يضحك أكثر وأكثر.

- يعني راح تشبع كيمر.

- عمي بصراحة إذا ما أخذ المعيدية محد ينطيني مرة. كل الناس تسأل عن معلم عن كاتب بوظيفة. أنا لا قراية ولا كتابة. ما عندي غير رحمة الله وعمي الحاج سلمان.

مسح الحاج سلمان دموعه بمنديله من شدة الضحك.. قال له:.

- تستاهل تستاهل. بس خليها تجيب إلنه كيمر زين.

عاد الحاج سلمان ضاحكاً:

- متى ناوي تتزوج؟

- حسب التساهيل.

غرق الحاج سلمان بالضحك المتواصل وسأل سوادي:

- وأمك موافقة تاخذ معيدية؟

أكثر الحاج سلمان من الضحك وإستمر ضاحكا وهو يستمع لحديث سوادي:

- أي عمي قالت لي أريد أشوف أولادك وانا بالحياة. عمرها وعمرك طويل. تعرف قلب الأم.

مسح الحاج سلمان دموعه بمنديله. أخرج محفظته.

- أنت إلك عندي هدية الزواج. مئة دينار تكفيك.

- كثير وكافي عمي الحاج سلمان. لو عندي مية دينار آخذ معلمة.

عاد الحاج سلمان للضحك. وهو يعد النقود ويضحك ويقول:.

- لا. لا. أخذ معيدية أحسن.

يعود يضحك ويضحك ويضحك... يعطيه النقود.

- هاي مئة دينار. أتهنئ سوادي. إتهنئ. تستاهل كل خير.

- عمي. ما عندي كلام أقوله. كل اللي أقوله أدعي لك بالخير بزيارتي للإمام الحسين«عليه السلام» أن يوفقك ويكثر من أمثالك.

- بس عندي شرط واحد. ما تجيب سيرة الفلوس اللي أعطيتها لك. هذا كل اللي أريده. سلم لي على والدتك وبالرفاه والبنين.

عرس سوادي وتسواهن

جلس رجل الدين وأمامه أوراق وعلبة الحبر للختم. وفي الكوخ سوادي بعباءته وغترته وعقاله. وإلى جانبه غانم وهلال وهناك ستارة تفصل بين سوادي وتسواهن والشيخ يراهما. الشيخ يقول:.

- تسواهن بنت حفيظ البردي هل تقبلين سوادي بن عبد الحسين الناهي زوجا لك يتزوجك وينكحك ويمتعك. فإذا قبلت قولي نعم قبلت.

- نعم قبلت.

- سوادي بن عبد الحسين الناهي هل تقبل تسواهن بنت حفيظ البردي تتزوجها وتنكحها، زوجة لك. فإذا قبلت قل نعم قبلت.
- نعم قبلت.

إنطلقت المشاحيف وركابها يرفعون البنادق ويطلقون النيران. العروس تسواهن جالسة في الطرادة وهو المشحوف المطرز بالفرش. وقد جلست إلى جانبها صبيتان. في زورق آخر أم العروس وأم العريس. الزوارق المصاحبة يطلقون النيران.

إنطلق الموكب بين قصب الأهوار وهم يطلقون النيران وتسواهن سعيدة وهي متكئة على وسائد مطرزة في الطرادة وهو الزورق الخاص للعرس. الزورق ينساب بين القصب على مياه الأهوار وسط الزغاريد وإيقاعات الدفوف.

مـــاء السبيـــل

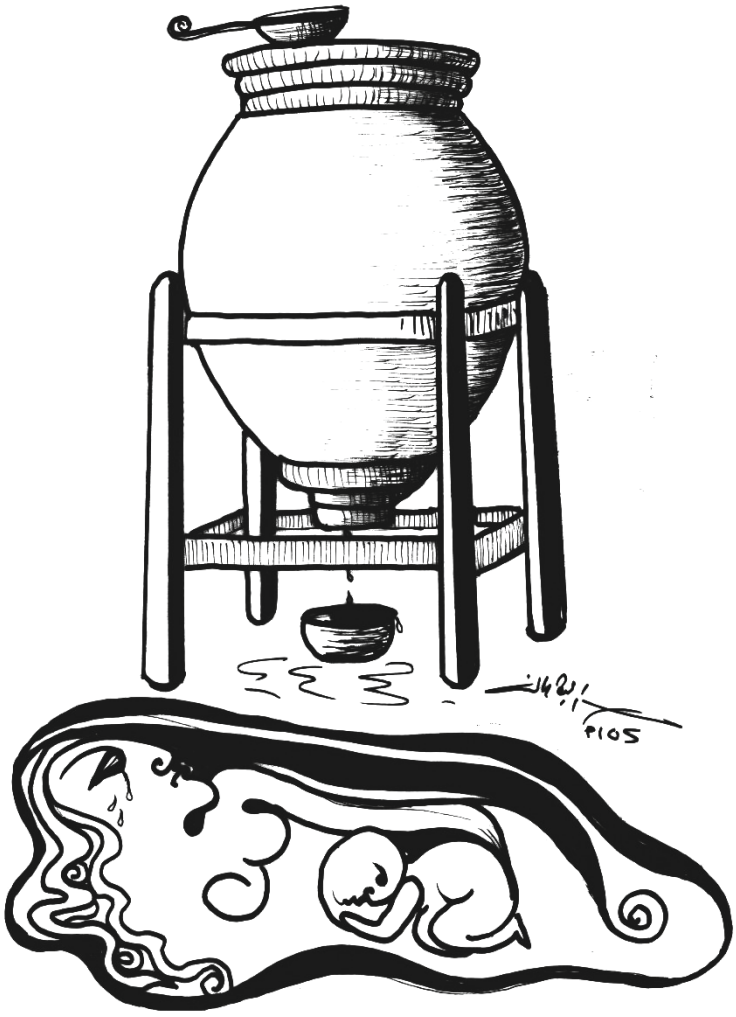

البحث عن حليمة

تجمع العمال يصبغون سفينة راسية في الميناء عند الدوكيار وستار يصبغ جدار الباخرة ولا يتحدث. قال الباكستاني مهر دين:.

- بابا ستار أنت ما يصير ما يتكلم. صار سته سبعة شهر وأنت ما يتكلم. أنت ياخذ إجازة. يروح إلى كربلاء وهناك يشوف مرتك. ويشوف قضية شنو. مرة يروح مرة يجي. روح شوف.

عقب مظلوم:.

- صحيح أخي ستار بداية إحنا أخوانك وصير صريح معنا. نتعاون ونشوف الحل. تريد تروح الكربلاء تبحث عن مرتك، أنا مستعد أروح معاك الى كربلاء. إتكلم أخي ستار ليش ساكت. أنت صنم. أنطق. إفرض زوجتك توفت لا سمح الله. روح أعرف وين قبرها.

رمى ستار بفرشاة الصبغ وغادر العمل. ذهب إلى حافة النهر. جلس وحده على ضفة الشاطئ، وأتخذ مع نفسه قراراً بالسفر. إلى أين؟ لا يدري إلى أين!

قال مهر دين معنفا مظلوم:.

- أنت ليش يقول هذا كلام لستار. مرتك ماتت. أنت ليش ما يفتهم!

بقي ستار واجماً يتأمل نهر شط العرب والنخيل الباسقات على ضفتيه.. طفرت دمعة من عينه. وقرر السفر إلى كربلاء يبحث عن زوجته ويبتعد عن لغط الناس.

وسط كورال الزائرين

دخلت حليمة في حضرة المرقد الحسيني وهي تحمل طفلا عمره ساعات وهو ملفوف بالقماط. وضعته في زاوية قرب مرقد الإمام ومسكت بشباك الضريح وهي ترتجف من ألم المخاض وترتجف خوفا. رأت زوجها ستار عن بعد يصلي فإزدادت رعباً. إنتظرته حتى ركع ومرت قربه مسرعة وخرجت من الباب الرئيسي وهربت. إستمر ستار في أداء الصلاة وجلس يعبث بمسبحته ويتمتم بالدعاء.

أصوات الزائرين تسمع من بعيد. سمع ستار صوتاً ثم شاهد أحد سدنة الروضة الحسينية، يضع على راسه الكشيدة ويرتدي العباءة السوداء الخفيفة وهو يحمل طفلاً وليداً وينادي.

- من ضايع له طفل.. من فقدت طفلاً وليداً أيتها الزائرات، من ضايع له طفل!

صار السادن يلف بين الزائرين وهو ينادي:

- من ضايع له طفل.. من فقدت طفلاً وليداً أيتها الزائرات؟

بكى ستار وكان يتمنى أن يكون الطفل الضائع وليده الذي تمناه.

وقفت حليمه عطشانه في مدخل السوق. ثمة كوز ماء كبير من الفخار، وقد علق في مقبضها قدح من قشر جوز الهند. وكتب أمامها ماء السبيل وقفت حليمه وهي ترتجف وتبكي. شربت بيد مرتجفة كثيراً من الماء. فجأة شعرت بالقشعريرة وبقيت تختض حتى فقدت المقاومة على الوقوف فجلست منهارة. أغمضت عينيها وراحت في غيبوبة. انتبه إليها أحد الباعة. مسك الهاتف وإتصل بالشرطة. جاءت الشرطة ثم وصلت أسعاف ونقلوها إلى سيارة الأسعاف.

في غرفة في المستشفى كانت حليمه قد فارقت الحياة. غطت الممرضة وجهها بشرشف أبيض. طبيب وقف إلى جانب السرير. قال. ماتت المرأة بسبب ولادة، كانت قد ولدت طفلاً قبل ساعات. وأضاف:

- أبلغتنا شرطة كربلاء بأن شخصاً من البصرة أسمه ستار عبد الواحد مفقودة زوجته. بلغوا الشرطة عن وجود امرأة مجهولة الهوية وجدت مغمى عليها في السوق وفي سيارة الإسعاف فارقت الحياة. ربما تكون هي زوجته التي يبحث عنها.

جثمان حليمه مغطى بشرشف أبيض عندما وصل ستار الغرفة في المستشفى. تدخل الممرضة. ترفع الشرشف الأبيض عن وجهها. ستار ينظر إليها. تنهمر دموعه. يشعر أن ساقية لا تحملانه. يجلس على الأرض. يبكي بصمت. الممرضة تعيد الشرشف الأبيض وتغطي وجه حليمه.

دفن ستار زوجته حليمه، وذهب باتجاه السوق. شعر بأن فمه جاف. شاهد قارورة ماء مكتوب عليها ماء السبيل. تقدم نحوها وشاهد قدحا من جوز الهند مربوط بسلسلة داخل القارورة. أخذ رشفة من الماء وشعر بإعياء شديد. مشى قليلا حتى وصل مرقد الإمام الحسين. وعند مدرج من المرمر خلع غترته ووضعها تحت رأسه كوسادة وشعر ببرودة المرمر وراح في إغفاءة طويلة.. وانقطعت أخباره بعدها.

ما بين النهرين

جلس هلال على كرسي المخرج، وأمامه عدد من الممثلين وبعض الممثلات. ستارة المسرح مفتوحة. بعض العمال يرسمون خلفية الديكور وهي لوحة تجريدية لحارة الخندك. هلال يتحدث مع الممثلين:

- مسرحيتنا ما بين النهرين أنا أخذتها من حارتنا، حارة الخندك بعد ما تم بناء حارة جديدة قريبة منها. وراح نفترض مجموعة من الحكايات الاجتماعية والعاطفية وحتى الاقتصادية. وكل حكاية سوف تتطور إيجابا أو سلبا. مثلا قصة حب ما بين شاب وفتاة في حارة واحدة. أهل الفتاة أصبحوا في موقع اجتماعي أفضل.. ماذا يحصل... وهكذا. شخوص المسرحية اللي قريناها هي شخصيات حقيقية، بعضها بأسماء مختلفة والبعض الآخر بأسمائهم ومنهم شخصية المجنون سيد صمد الذي شفناه بالحارة ميتاً وجثته طافية بالنهر. والتعبير عن هذا الواقع راح يكون بصيغة غير واقعية وحتى نوصل الماضي بالحاضر هناك. راوية بين الفصول تتحدث فيها سيدوري عن الحضارة السومرية ورحلة كلكامش بحثا عن الخلود بعد أن مات صديقه أنكيدو، وشاهد الدود ينخر جسده القوي فذهب إلى الحانة يشكو حاله إلى صاحبة الحان سيدوري. الموت هنا ليس موت أنكيدو العظيم أنما هو موت الناس الفقراء.. هو موت حليمه وموت الطالب حسيو وموت سيد صمد مجنون الحارة، والنوارس تبكيه فوق جسده على سطح الماء. سيدوري تفتح المسرحية

كراوية:

- سيدوري:

- إلى أين تسعى يا جلجامش.

- إن الحياة التي تبغي لن تجد.
- إذ لما خلقت الآلهة البشـر.
- قدرت الموت على البشـرية.
- واستأثرت هي بالحياة.
- أما أنت يا جلجامش فأجعل كرشك مملوءاً على الدوام.
- وكن فرحاً مبتهجاً ليل نهار.
- وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك.
- وأرقص وألعب مساءً ونهاراً.
- وأجعل ثيابك نظيفة زاهية.
- وأغسل وأستحم في الماء.
- ودلل الطفل الذي يمسك بيدك.
- وأفرح الزوجة التي بين أحضانك.
- وهذا هو نصيب البشـر.

إن مسـرحيتنا هذه والمعنونة ما بين النهرين تقدم بصيغة فيها الكثير من التعبيرية. خلينه نصعد المسـرح.

توجه الجميع للمسـرح. توزعوا على الخشبة ويقول لهم هلال:.

- بداية الفصل الثالث. بين أمل ومهند.

مسكت الممثلة بالمسـرحية المكتوبة وأيضاً مهند وهما متقابلان.

- يوجد جدار بيني وبينك..

- أحطم الجدار.

- الجدار عالي.. مخيف.. صعب.. ما أقدر أشوفك.

- ما تقدر تشوفني؟ أعتلي الجدار مهما كان صعبا. أعتلي الجدار وأشوفك مثل سيد صمد المجنون.

مهند الذي يلعب شخصية المجنون، يصعد على جدار من الطين وهو يردد..

- نكون أو لا نكون؟ ذلك هو السؤال. أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه، أم يشهر السلاح على بحر من الهموم، وبصدها ينهيها؟ نموت.. ننام.. وما من شيء بعد.

صاح هلال:

- جميل.. هذا مجرد مثال. الآن نواصل القراءة وتحليل أبعاد المسرحية الفكرية والجمالية.

جلس الممثلون فوق خشبة المسرح يشكلون قوساً أمام هلال الذي جلس على كرسي المخرج وهو يحدثهم عن حارة الخندك التي تقع ما بين نهرين.

هلال – هذه الحارة التي هي نموذج العراق الذي نعيش فيه ما بين نهرين، محاولة واعية لجدل العلاقة بين حاضر العراق وماضية.. لقد بحث أهلنا في بلاد سومر وفي بلاد ما بين نهري دجلة والفرات مسألة الوجود والعدم، وهي حقيقة أزلية كانت ولا تزال قائمة.. دعونا نبحث في فصول المسرحية جدل العلاقة بين الأمس واليوم وصولا إلى بلاد ما بين النهرين وسوف نتناول في هذه المسرحية موضوع الإستخارة وكيف تلعب دورها في رسم مسار الناس والحياة في بلاد ما بين النهرين.

أسدلت الستار على المشهد الأخير لمسرحية ما بين النهرين وفي اليوم التالي حمل هلال حقيبته وذهب وحيدا نحو محطة قطار البصرة.

وسط زحام المحطة. حمل هلال حقيبته وصعد القطار.

جلس قرب شباك القاطرة. تطلع إلى المدينة المضاءة بأضوية المصابيح الزيتية الخافتة الأضواء.

صرخ القطار بصفارته. انبعث الدخان منه مع صرخة الصافرة. تحرك القطار رويداً. ابتعدت المحطة عن القطار. هلال ينظر من نافذة القطار الذي يجتاز البيوت الطينية البسيطة الغافية مع أول المساء.

لا أحد في كابينة القاطرة سواه. نظر إلى المدن التي يجتازها القطار، وكانت شبه منطفئة الأضواء، سوى بعض الفوانيس الزيتية تبدد شيئا من وحشة ظلام المدن. قال هلال مع نفسه:

- أتمنى أسافر بقطار ما يوصل!

بغداد آب ٢٠٢١

فهرس المحتويات

الحارة ٥
النجامون ٢١
اقتصاد أهل الخندك ٢٣
النجامون ٢٧
سوادي ٢٩
مجيد الأعور ٣١
مجيِّد ٣٣
في أزقة الخندك ٣٦
ناصـر وصالح ٣٧
نكون أو لا نكون ٤١
في بستان النخيل ٤٣
لغط في حارة الخندك ٤٨
البيت المجنون ٥٣
النوارس ٥٩
انتقال عائلة أبو سامي ٦٢
هادي دوغلاس ٦٥
كيرك دوغلاس ٦٧
البلياردو ٧٠
في سـينما الحمراء ٧٠
وجهاً لوجوه ٧٦
موطني ٨١
حسـيو .. والمعلمون ٨٣

الحفل السنوي للمدرسة ٩٣
مسـرح الصـريفة! ١٠٢
شـيوعيو الخندك ١٠٥
تلاوة قرآنية شـيوعية! ١٠٧
في وداع حسـيو.. ..... ١١٢
السـياسة بحر ١١٦
يتيكا ١١٧
لو بالسـراجين لو بالظلمة ١١٩
يوم الانتخاب.. ..... ١٢٠
بولغانين ١٣٥
وفاة بولغانين ١٣٧
أحلام المخاض ١٤١
في منام حليمة ١٤٣
في سوق الخضار ١٤٦
أيام عاشوراء ١٥١
الحارة مجللة بالسواد ١٥٣
منائر الذهب ١٥٦
في اسواق كربلاء ١٦٨
غرفة للإيجار ١٧٣
البحث عن حليمة ١٧٥
أحلام الفتيات الثلاث ١٧٧
منامات ١٧٩
الحارة الجديدة ١٨٧
حارة الفقراء ١٨٩
معرض محمد راضي ١٩٣

تأميم قناة السويس ١٩٧
تحت أعمدة الكهرباء..... ١٩٩
في مقهى عبد الله الصاحي..... ٢٠١
تسواهن..... ٢٠٩
مجُيد الأعور، نصير بريطانيا ٢١١
محكمة الآر أف..... ٢١٣
تلفزيون ٢١٦
راديو مورفي..... ٢٢١
زهور حسين..... ٢٢٣
عند مغيب الشمس..... ٢٢٩
قطار بصرة بغداد ٢٣٤
البحث عن زوجة لغانم ٢٣٩
الخطوبة الأولى ٢٤٤
الخطوبة الثانية ٢٤٥
الخطوبة الثالثة ٢٤٥
الخطوبة الرابعة ٢٤٦
الخطوبة الخامسة ٢٤٦
الخطوبة السادسة..... ٢٤٩
الخطوبة السابعة – بشرى سارة ٢٥١
النداف ٢٥٨
وعكة مجيد الأعور..... ٢٥٩
ليلة زفاف غانم الأوتجي ٢٦٧
بدرية..!..... ٢٧٣
زهرة الملاية ٢٧٥
دروس الإملاء ٢٧٧

في بيت الفتاة الأولى ٢٧٨
في بيت الفتاة الثانية ٢٧٩
في بيت الفتاة الثالثة ٢٨٠
مصارحة ٢٨٠
عطر الفراشة ٢٨٢
في ديوانية والد الفتاة الثانية ٢٨٦
في ديوانية والد الفتاة الثالثة ٢٨٧
جماهير المودعين ٢٩٠
ظلال شجرة السدر ٢٩١
غرفة الماكياج ٢٩٣
نبتة الريحان ٢٩٥
أحلام سوادي ٢٩٧
في هور الصحين ٢٩٩
أحلام المتعبين! ٣٠٢
مشـروع زواج ٣٠٤
في رحاب الهور ٣٠٥
منحة زواج ٣٠٧
عرس سوادي وتسواهن ٣٠٩
ماء السبيل ٣١١
البحث عن حليمة ٣١٣
وسط كورال الزائرين ٣١٤
ما بين النهرين ٣١٧

ما بين النهرين

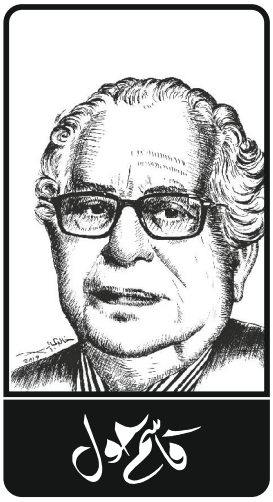

قاسم حول

قاسم حول السينمائي والكاتب العراقي، وفي روايته الوثائقية غير التقليدية في البناء، والمعنونة ما بين النهرين تقترب مثل كل رواياته وقصصه القصيرة من السيناريو السينمائي. رواية ما بين النهرين هي حكاية شعب، يعيش في حارة الخندك بالعراق الذي كان يسمى بلاد ما بين نهرين هما نهرا دجلة والفرات.. وحارة الخندك هي أيضا ما بين نهرين هما نهر الرباط ونهر الخندك المتفرعان من نهر شط العرب والذي يتشكل من التقاء نهري دجلة والفرات. نهرا الأقوام السومرية وما تلتها من الحضارات العظيمة. لكن هذه الحارة التي تقع ما بين النهرين لم يدون أهلها حياتهم اليومية على رقم طينية كما الأقوام السومرية في بلاد ما بين النهرين، ولا في صحيفة ورقية، نقرأ في أزقتها وعلى سطوح منازلها سمات الفقر والموت والمذلة، وقصص الأديان والأحزاب والصبايا الحالمات والخرافات والاستخبارات والعشاق والمجانين.

تدور أحداث هذه الرواية في الحقبة الملكية الدستورية في العراق في منتصف أعوام الخمسينات من القرن العشرين في حارة البصرة بمدينة الخندك.

الناشر

ضوابط النشر:

- أن يكون الكتاب عن البصرة تحديداً.
- موضوعات الكتب في ((التاريخ، الجغرافية، الفكر الادبي، الفنون، التفسير، اللغة، المخطوطات...)).
- ان لا تزيد صفحات الكتاب على ٣٠٠ صفحة.
- أن يكون سالماً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.
- أن لا يتجاوز المؤلف على الثوابت الوطنية والدينية والديانات، والقوميات والأعراف بأي شكل من الأشكال.
- ان تكون المادة المدروسة فيه بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن الإسفاف .
- أن يلتزم المؤلف بشروط البحث العلمي من حيث المصادر والمراجع وطريقة البحث.
- أن يرفق المؤلف قدر الإمكان الصور والخرائط والرسومات البيانية.
- أن لا يكون منشوراً من قبلٍ، أو منشور منذ عقود وله أهمية تاريخية.
- أن يعطي الكتاب صورة حقيقية وعلمية عن البصرة وتأريخها وثقافتها وتراثها.

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

اصدارات عام 2021

ت	اسم الكتاب	المؤلف
1	البصرة مدينة الطيبة والجمال	باسم حسين غلب
2	حين لقاء	علاء المرقب
3	ما تشتهي خطاي	أحمد العاشور
4	ثلاثة أعلام في الثقافة البصرية	د. حامد الظالمي
5	بين الرمل والماء	محمد سهيل أحمد
6	القصّة البصريّة من ١٩٩٠ ـ ٢٠١٥	كاظم حنون صجم الخفاجي
7	قراءات في السرد	ياسين شامل
8	دراسات نقدية في الأدب البصري الحديث	ياسر جاسم قاسم
9	حين يتكلم التراب	علي الامارة
10	الوجيز في المشهد الثقافي البصري	عبد الحليم مهودر
11	المسرح البصري في خمسة عقود	مجيد عبد الواحد
12	الشاطئ والسفح قراءات نقدية	محمد جواد البدران
13	البصرة في خمس وعشرين رحلة اجنبية	د. حامد الظالمي

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

اصدارات عام
2023

ت	اسم الكتاب	المؤلف
1	البصرة العنقاء بأقلام الشعراء	علي الامارة
2	المذاهب المسيحية وكنائسها في البصرة	هند عبد المطلب حرب المبارك
3	أدب الاستنساخ في العراق	كريم عباس زامل
4	دراسات فِي اللغة والقرآن	علي ناصر غالب
5	تاريخ الحركة الرياضية في البصرة	ياسمين لفتة، لفتة حميد سلمان
6	التراث العربي وتحقيقه	أ.د. سامي علي جبار
7	ما بين نهرين	قاسم حول
8	مقالات في تاريخ البصرة المَنسِي	جمع أ.د. حامد الظالمي
9	يوم الحسين	جمع وتعليق: حليم مهودر
10	تجارب في التشكيل البَصْري	خالد خضير الصالحي